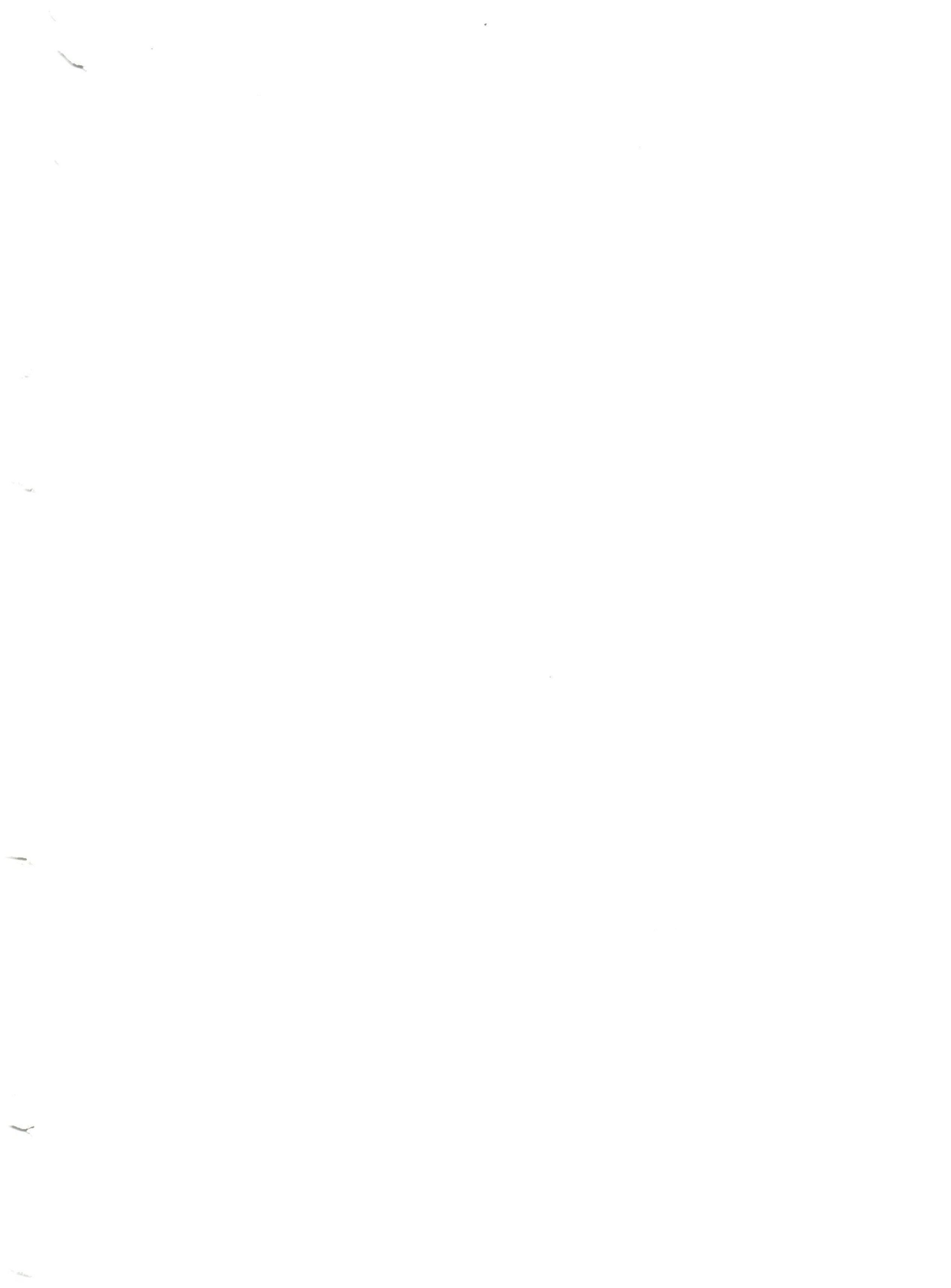


دراسة تاريخية

المؤلفون

الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي — الدكتور عماد عبد السلام رؤوف
الدكتور علاء موسى كاظم نورس — الدكتور ياسين عبد الكريم
الدكتور مهدي جواد حبيب — الدكتور صالح العابد
الدكتور مصطفى عبد القادر النجار





المحتويات



المقدمة

لم تكن الحدود الشرقية للوطن العربي في أي زمن مضى أقل اثارة منها الآن ، فعلى مدى سبعة آلاف عام ومنذ بدء الحضارة قدر لها أن تؤدي دورا مهماً نتيجة عوامل حضارية عامة شاملة ، واسهام حضاري انساني فيما يخص التجارة العالمية وتسويق البضائع على مر العصور • ونتيجة عوامل الاندفاع البشري الآسيوي من الشرق الى الغرب ، ومن أبرزه زحف المغول ، وما ترتب عليه من تماس خطوط السيادة القومية والحضارية لنمطين حضاريين أحدهما يقترن بالعرب بشكل خاص وينهج خطاً من توازن القيم الروحية والمادية بين الكون وواقع الحياة ، والآخر يتبنى البعد الواحد (إما المادي المطلق أو الروحي المطلق) •

وعبر مسيرة التاريخ الطويل للحدود الشرقية ، كانت هناك ظروف دقيقة شهدت اختراقاً للسيادة القومية ، وعطلت الدور الحضاري للأمة العربية وشلت فاعليتها وفرضت عليها نوعاً من الانكفاء ؛ وبين حالتي المد والازدهار ، والانكفاء والتخلف ، اعترى الحدود الشرقية للوطن العربي خلل ، أخذ مدياته كلها وبالدرجة نفسها ، ليس من حيث شمولها (الأرض والمعالم الحضارية والسكان) ، انما أيضاً في فعله السلبي بتلك المجالات ، مما خلق للأمة العربية أوضاعاً ومشكلات حدودية معقدة ومتعددة معاً ، جعلت حدود الوطن العربي الشرقية الواضحة موضع اختلاف وأخذ ورد واجتهادات • وعموماً هناك اعتقاد ان الشعوب الشرقية لا يمكن أن تنظم قضايا حدودها ، وربما نجم هذا الاعتقاد المنطلق من مقياس عام عن نظرة

قاصرة الى تاريخ الحدود الشرقية • وفي تقديرنا ان مشكلة الحدود الشرقية نابعة من نوعين من العوامل ، النوع الأول : مشكلات عامة رئيسة هي السعي المستمر لتغيير الثوابت الحقيقية في المنطقة (السكان ، المعالم الحضارية ، الوضع القانوني) واستبدالها بمتغيرات تمهد لخلق ثوابت مصطنعة • فطوال الحقبة الممتدة ما بين سقوط بغداد والعصر الحاضر ، شهدت الحدود الشرقية قضايا مهمة متعددة ناجمة عن غياب السلطة القومية ومن ثم تصرف القوى المحتلة والمتصارعة ، دون التفات الى ارادة الشعب ، في التنازل وتقرير شكل التعامل السياسي والقانوني للحدود كما تعبر عن ذلك الاتفاقيات والمعاهدات بين الاطراف المختلفة (فرس ، عثمانيين ، قوى أوربية) كما تشهد أيضاً تشجيع الهجرة أياً كان مصدرها طالما انها تقرر الغاء الارادة القومية • وضمن هذه السعاية تأتي التوجهات الأخرى وخاصة ما يتعلق بتغيير المعالم الحضارية والافادة من تقادم الزمن ، والنوع الثاني : مشكلات تفصيلية تتعلق بحركة القبائل والتجارة الدولية ومنافع السيطرة على طرقها وتحريض القوى الأوربية ذات المصالح والأطماع السياسية لأطراف الاحتلال والصراع •

ولكن هل يمكن حقاً تغيير هوية أرض ، أية أرض لمجرد إرادة قوى غازية أو متغلبة ؟ الواقع انه لا التاريخ ولا المنطق يقران حدوث هذا الأمر • وعلى العكس ، فان عوامل التضاد والتناقض تنمو وتنضج كلما ازداد التركيز على الغاء الثوابت أو تعطيلها وإن رافق ذلك تشويه وافساد وسياسة قهر واضطهاد وإبادة ، بدليل استمرار هذه الهوية واستمرار الاحساس بها بالرغم من مراحل قد يضعف فيها هذا الاحساس • وفي أحيان أخرى يعبر استمرار الهوية عن نفسه عندما يثبت فشل قوى التغلب والاحتلال في استخدام المنطقة حضارياً بالكفاءة نفسها والمستوى الابداعي الذي يصنعه شعبها الأصلي •

والحدود الشرقية للوطن العربي سـواء في قسمها المائي (الخليج العربي) أو امتدادها البري عربستان والمناطق الحدودية الأخرى الى شمالها ، عانت من الاستلاب والاضطهاد والتزييف ومحاولات أطراف عديدة لالغاء الثوابت الحقيقية فيها ، ومن أبرزها عروبتها وسمات حركتها التاريخية القومية . وفي هـذا المجال نميز بين نوعين من القوى الفاعلة سلباً ، النوع الأول : القوى الأوربية ابتداء من البرتغاليين ومروراً بالفرنسيين والهولنديين والانكليز وغيرهم وصولاً الى الامبريالية الاميركية ، وكان السعي الى التجزئة هو الهدف المركزي دوماً ، وتكشف المراسلات التي دارت بين الدوائر السياسية في تلك الدول وقناصلها أو مبعوثيها الى المنطقة عن هذا التوجه ، فسياسة التجزئة لا تحقق للاستعمار فقط الاضعاف الذاتي للخصم أو تمهد لتزييف الحقيقة التاريخية وتمهد لالغاء الثابت الأساس ، وانما أيضاً من خلالها يمكن جر الأطراف التي أفرزتها التجزئة الى صراع داخلي يغني المستعمر عن استخدام السلاح وارسال الجيوش . ونجح الانكليز بسياستهم السيئة في تحقيق هذا الهدف عبر أربعة قرون من السيطرة أينما حلوا وكان لهم وجود ، وأبدع فكرهم الاستعماري كل الصيغ والوسائل المتداولة الآن في تفريق الشعوب ، فالتجزئة على أساس الدين والمذهب والقبيلة وتعزيز الولاء للمدينة والاقليم هي من انتاج عقلهم الاستعماري . وطوال القرنين التاسع عشر والعشرين أثبتت فرق العمل الاستعماري قدرتها على الاستمرار ، مرتدية كل الأزياء ، منتحلةً كل ما يمكن أن يخدم تحقيق أهدافها .

شهد النصف الأول من القرن العشرين استثمار نتائج هذه السياسة وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى . وفي الحدود الشرقية ابتدأ العمل لالغاء عروبة المنطقة لكونها أبرز الثوابت بتغيير السكان ، فتشجيع الهجرة الأجنبية واحلال القوى المتغلبة محل السكان الأصليين وإفقار القوى المغلوبة هي

السمات الرئيسة في السياسة الاستعمارية ، واذا كان العرب غير مدركين خطورة هذه السياسة الآن فربما يقرع المستقبل القريب أجراس الخطر الداهم ، ولكن بعد فوات الأوان . فأقطار في الخليج العربي سوف يؤثر في مستقبلها القومي تزايد العناصر الأجنبية الوافدة عندما تصبح أغلبية طارئة غريبة عن الانتماء القبلي والقومي . والنوع الثاني : نعني به القوى المحلية الغالبة التي استطاعت أن تتحكم في شؤون الوطن العربي ، ففي القرن السادس عشر تغلب العثمانيون على الوطن العربي وعملوا على إلغاء بقايا السيادة العربية ، وفي ذلك الوقت بدأ الصفويون بالتكون السياسي في بلاد فارس ثم بدأ صراعهم مع العثمانيين ، وتعددت وتنوعت أسباب الصراع بين الطرفين ، غير ان المهم فيها هو التأطير الديني الذي مارسه الطرفان . اذ بالرغم من كونهما مسلمين فقد فرضت عليهم أو اختلقوا عوامل لتبرير الصراع بضغط من القوى الاوربية ونصائحها التي تكرس وتؤكد اعتناق سياسة طائفية وهكذا بدأت صراعات وحروب جوهرها المصالح المادية والتحريض الأوربي للطرفين ، وظاهرها مذهبي . وخطورة هذه الحروب انها لم تحدث في أراضي القوتين المتصارعتين انما اتخذت لها من العراق ميداناً ومن شعبه وقوداً ، وهكذا قدر للعراق أن يدفع ثمن هذا الصراع أرضاً وشعباً واستطاعت أوربا أن تورث العراق نزعة طائفية ناجمة عن الانحياز الى أحد طرفي الصراع ، ومن ثم ايجاد ولاء يغلب على الولاء القومي تستطيع أن تستخدمه باستمرار . واستطاع الفرس ، منذ الصفويين الى سنة ١٩٧٥ من حكم الشاه ، الحصول على امتيازات ستراتيجية لايران في طول الحدود الشرقية للوطن العربي نتيجة سياسة التقدم البطيء الذي مارسوه ، ففي معاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧ اقتطعت ايران عربستان ، وفي بروتوكول عام ١٩١٣ استولت على مسافة سبعة كيلومترات وربع من شط العرب أمام المحمرة ، وفي معاهدة عام ١٩٣٧ انتهبت سبعة كيلومترات وثلاثة أرباع الكيلومتر من شط العرب أمام عبادان .

أما في الحدود البرية الاخرى شمال عربستان الى نقطة التقاء الحدود العراقية ـ التركية ـ الايرانية فقد مارست ايران زحفاً عسكرياً تدريجياً يحاول تحقيق عوامل التوطن ببناء المخافر الحدودية وإلغاء الأسماء التاريخية للمواضع والمدن العراقية ٠

ان ايران اتخذت في زحفها وتقدمها نحو الحدود الشرقية للوطن العربي ثلاثة مسارات :

الأول ـ التقدم الى وسط العراق واحداث حالة امتداد في الأراضي العراقية وضم أجزاء منها بحيث يكون ذلك الامتداد قريباً من بغداد فيسهل الانقضاض عليها وضربها ويمنح الفرس قدرة في توجيه قواهم شمالاً أو جنوباً وممارسة الضغط المستمر على العراق والتدخل في شؤونه ٠

الثاني ـ التقدم نحو عربستان وشط العرب ٠

الثالث ـ اختراق الخليج العربي (البحرين ثم الجزر العربية الثلاث) ٠

وأدت هذه السياسة الى تمكين ايران من التهديد على طول الحدود الشرقية ٠ وفي السبعينات اتضح ذلك جيداً عندما ارتبطت ايران كلياً بالستراتيجية الاستعمارية فقد امتدت الأصابع الايرانية الى شمال العراق لدعم الجيب العميل وانتقلت الى عُمان لضرب بؤرة الثورة ، ولو استمرت الحال لانتقلت الى الساحل الغربي كله ٠ غير ان الأهم في هذه الحركات كلها ، قدرة التهديد المستمر لحركة القومية العربية والتلويح بفتح جبهة ثانية ضد العرب تشكل مع الكيان الصهيوني ضغطاً على حركة القومية العربية ، وخاصة أن تحالف الشاه مع الكيان الصهيوني قطع أشواطاً بعيدة آنذاك ، ، وابتدأ موقف ايران يكشف عن عدوانية شرسة سواء في تصريحات حكامها أو اتجاهات التنمية والتسليح أو عداء حركة القومية العربية ٠

ثم شهدت ايران أحداثاً عبرت عن رفض الشعوب الايرانية لسياسة حكام ايران وهي الأحداث التي أنهت حكم الشاه وجاءت بحكم الآيات وعلى رأسهم الخميني ، وساد الاعتقاد في الوطن العربي ان الحكم الجديد في ايران وقد أسقط نظام الشاه ، سوف يصحح الكثير من المواقف الخاطئة التي وقفتها ايران ضد الأمة العربية ويزيل آثار تلك المواقف وخاصة ان هذا الحكم يتخذ من الاسلام شعاراً له ، ولكن تطور الأحداث كان سريعاً ليس في تواليه وعلى المنوال السابق نفسه في إظهار العداء للأمة العربية ، وانما في تعزيز القناعة ان ما حدث في ايران كان اسقاطاً للشاه وليس للمطامع الفارسية في الحدود الشرقية أو عداء الفرس للأمة العربية ، وهكذا عادت الممارسات العدوانية على طول الحدود الشرقية التي نجملها فيما يلي :

١ – استمرار حالة الاحتلال الفارسي للجزر العربية الثلاث .

٢ – العودة الى المطالبة بالبحرين .

٣ – الاصرار على أن يعد الخليج العربي فارسياً .

٤ – عدم تنفيذ نصوص اتفاقية الجزائر المنظمة للعلاقات العراقية – الايرانية .

٥ – بدء الاعتداءات على المخافر الحدودية العراقية وضرب القرى والمدن بشكل مناف لاتفاقية ١٩٧٥ .

٦ – التدخل السافر في شؤون الدولة العراقية وارسال المتسللين والتحريض المستمر ضد السلطة الثورية في العراق بشكل يناقض روح حسن الجوار كما ورد في اتفاقية ١٩٧٥ .

٧ – تهديد استقلال وسيادة العراق في أقوال تضمنتها تصريحات رئيس الدولة الايراني والعديد من المسؤولين في ايران تحولت

الى أفعال عن طريق استخدام الأسلحة الهجومية الثقيلة في ضرب المدن العراقية يوم ١٩٨٠/٩/٤ •

وأدت هذه الحالة الى استمرار التوتر في الحدود الشرقية للوطن العربي ومما يزيد في خطورة هذه الأوضاع اتخاذ حكام ايران الاسلام شعاراً عاماً يمارسون من خلاله الاثارة الطائفية والتهديد بها وايجاد مبررات وحجج لتمزيق الأمة العربية وإرباك ولاء أبنائها لأهدافها ومصالحها في الوقت الذي تجابه به هجمة امبريالية ـ صهيونية شرسة تهدف الى تشتت اجتماعي وسياسي في العراق العربي يقوم على أسس دينية أو ثقافية كما يحصل في لبنان لتصل من خلاله الى تبرير لوجود الكيان الصهيوني وادامة خضوع الأمة العربية للمرحلة الاستعمارية الاستغلالية بشكل يعيق تقدمها وبناء قوتها واقتصادها واكمال استقلالها وسيادتها القومية •

إزاء هذه الأوضاع رأت جمعية المؤرخين والآثاريين في القطر إسهاماً منها في تعزيز صمود الأمة العربية ضد الهجمة الجديدة وكشفاً للحقائق التأريخية المحيطة بتطور الأوضاع على الحدود الشرقية للوطن العربي ، أن تدعو نخبة من الاساتذة المتخصصين في شؤون هذه الحدود الى تقديم صورة واضحة لها ولتطورها التأريخي ولشكل العلاقة بين العرب والفرس وطبيعة المواقف الفارسية القديمة الجديدة والنتائج المترتبة عليها • وفي هذا الكتاب ، وهو الأول ، تم تناول الحدود الشرقية وشكل وضعها التأريخي ، منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين • ان قارىء هذه البحوث يرى جيداً انها تطرح مسائل جوهرية عديدة أهمها :

أولا ـ ان الوحدة الستراتيجية والجغرافية للوطن العربي وحدة فاعلة لا تحتمل الخلل في أي من أجزائها وان أية عملية طمس لانتماء أي من

هذه الأجزاء عملية خاسرة حتماً لعوامل تاريخية وجغرافية وحضارية ، وان الحدود الشرقية للوطن العربي تشـــمل الخليج العربي والأرض الممتدة الى جبال زاجروس شرقاً وان هذا الامتداد مدعوم بأدلة كثيرة ، منهـــا :

أ ـ إنه امتـداد جغرافي طبيعي للوطن العـــربي بســـبب التكوين الجغرافي الواحـد والملامح العامـة المشـــتركة للمنطقة حتى في امكاناتها الاقتصادية .

ب ـ إنه امتداد تأريخي تفرضه طبيعة سكانه الذين ينتمون ، منذ أقدم العصـــور حتى الوقت الحاضر ، الانتماء القومي العربي ذاتـه مما جعل حركتهم التأريخية جزءاً من عموم الحركـة التأريخيـة للأمة العربية ومن ثم حـدد وضـعهم الطبيعي في أنهم جزء من الوطن العربي .

جـ ـ إنه امتداد للدور الحضاري العربي في التأريخ القديم والاسلامي والحديث بدليل الانتشار السكاني العربي والنشـــاط الملاحي والدور التجاري وهي ظواهر لم يكن للفرس نصيب فيها بل ان أشد ما ينفر منه الفرس في تأريخهم هو البحر وركوبه .

ثانياً ـ وللعوامل التي ذكرناها كان الوضع السياسي للمنطقة باستمرار وضعاً عربياً باستثناء الحقب التي شهدت اختراقاً للسيادة القومية العربيـة ، فقـد تمتعت المنطقة في الأغلب باســـتقلالها الذاتي ، وكانت جزءاً من الحضارة السومرية ثم دولة مدينة ثم جزءاً من دولة أكـد ثم جزءاً من مملكة القطر البحري مع بلاد بابل ثم دولة قائمة بذاتها في عصر (دولة ميسان) ثم جزءاً من ولاية البصرة في الاســلام ثم امارة مســـتقلة للمشعشعين وامارة الحويزة ثم امارة كعب .

ثالثاً ـ ان تأثير النتائج السلبية في وضع الحدود الشرقية نجم عن وقوع المنطقة تحت الاحتلال العثماني والصراع الذي دار بينهم وبين الفرس وهما طرفان اصطرعا في أرض عربية لم يقيما وزناً أو يعيرا اهتماماً لارادة شعبها ، لذلك ليس هناك قبول إرادي بأي موقف سلبي لحق بحقوقهم •

رابعاً ـ ان ايران حققت امتيازاتها الجغرافية والسياسية في الحدود الشرقية عبر زحف بطيء منذ عهد الصفويين حتى عام ١٩٧٥ وان التراجع العثماني امام المطالب الفارسية كان نابعاً من حرص العثمانيين على أراضيهم في الأناضول واستعدادهم للتضحية ببقية الأراضي التابعة لهم خارج الأناضول فهم محكومون بأمتهم ومصالحهم وليس بحقوق الشعوب التي حكموها •

خامساً ـ ان حكام ايران لا يحترمون الاتفاقيات الدولية ولا يلتزمون بها ويفهمونها على انها مستوى محدود لتحقيق أطماعهم يستخدمونه في تهيئة أرضية ستراتيجية لتحقيق مستوى آخر وان أية اتفاقية لا تشل فاعلية التحرك الايراني لتحقيق مطامعه لن تحسم الصراع مع الفرس •

سادساً ـ ان وسائل ايران في تحقيق مطامعها لم تقتصر على افتعال الحروب وخرق الاتفاقيات وانتهاك السيادة انما اقترن نشاط الفرس دائماً بتشجيع اتجاهات فكرية وتيارات سياسية مضادة لعقيدة العرب • وفي التأريخ الذي يعرض له الكتاب نلاحظ جيداً كيف استخدم حكام الفرس السلبيات الموجودة في موقفهم من العرب لضرب الأمة العربية فقد شكلوا قاعدة للحركة الشعوبية ثم تبنوا الحركة البابية والبهائية وعملوا على تصديرها الى الوطن العربي ثم اعتمدوا الحركة الطائفية في التعامل مع حركة القومية العربية •

يبدأ الكتاب ببحث عن الحدود الشرقية عبر التأريخ يستعرض حقبة من التأريخ القديم والاسلامي ، ويوضح صيغة المواكبة التي عاشتها المنطقة مع الوطن العربي • وفي البحثين الثاني والثالث استعراض لمراحل السيطرة الأجنبية والصراع بين القوى الغالبة عبر الحدود الشرقية ودوافع هذا الصراع وانعكاساته وتأثيره في الأرض والسكان بالنسبة الى العراق والخليج العربي • وفي البحث الرابع تم استعراض الحدود الشرقية في قسمها البري والآثار التي ترتبت نتيجة الصراع بين الصفويين والعثمانيين على المظاهر العمرانية خاصة ، والظروف التي أحاطت بالمنطقة بشكل عام • وفي البحث الخامس استعراض للاتفاقيات المعقودة بين الفرس والعثمانيين والظروف التأريخية المحيطة بها • وفي البحث السادس سلطت الأضواء على عربستان عبر قرنين من الزمن شهدا استقلالاً نسبياً للمنطقة • وفي البحث السابع تم عرض التجاوزات الايرانية في التأريخ المعاصر وما ترتب عليها من نتائج •

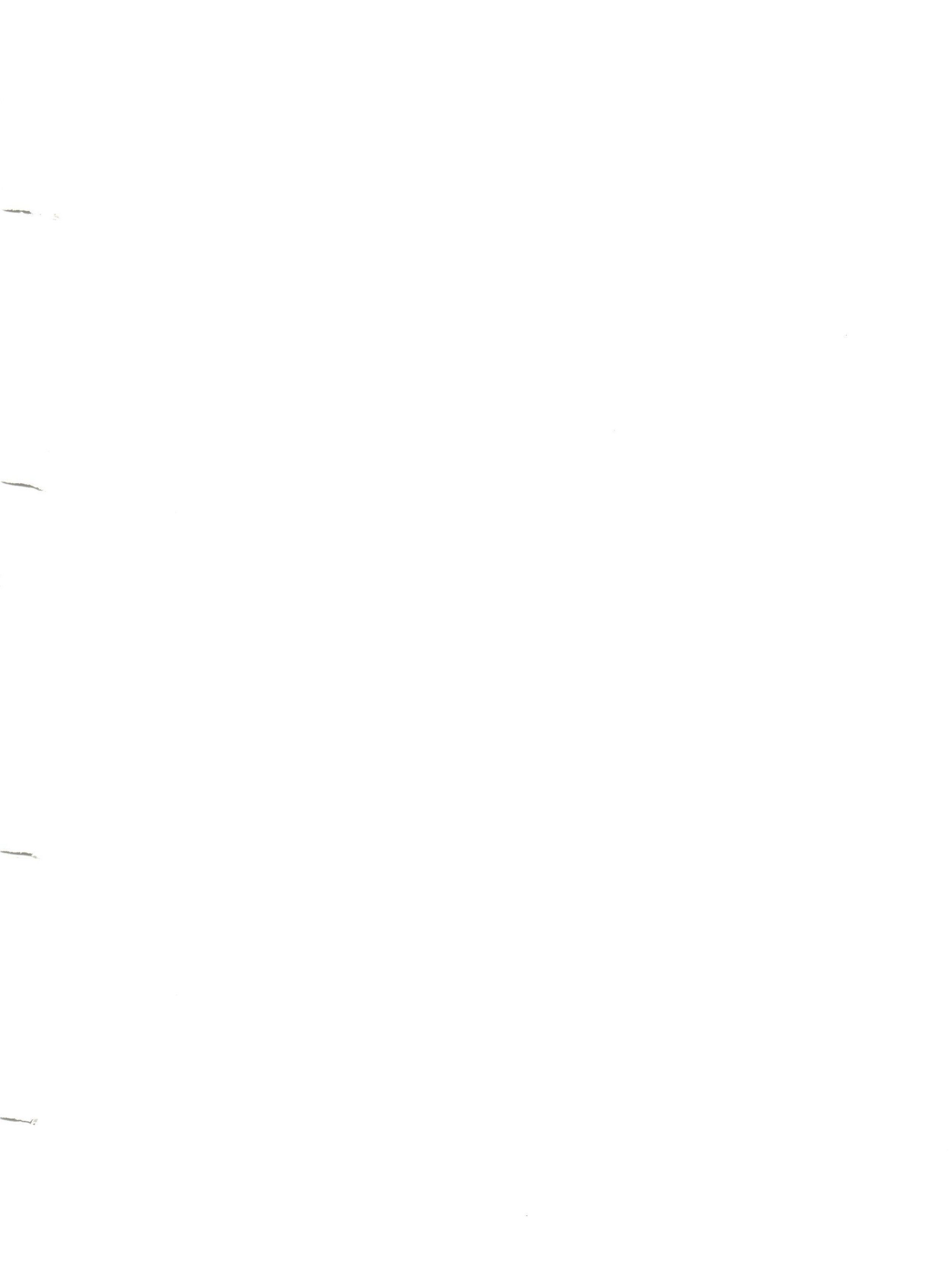
لقد حرصنا على أن نرفق الكتاب بمجموعة من الخرائط التي توضح ما جاء في أبحاثه من أحكام وتجعلها أكثر نفعاً وجدوى ، وقد أسهم في اعدادها الأستاذ عدي مخلص ، ويعبر هذا الكتاب عملياً عن جهد متكامل لأعضاء جمعية المؤرخين والآثاريين اسهاماً منهم في المعركة القومية •

الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي
رئيس جمعية المؤرخين والآثاريين
في العراق

الفصل الاول

الحدود الشرقية للوطن العربي عبر التاريخ

د . نزار عبداللطيف الحديثي
عميد معهد الدراسات القومية والاشتراكية



نعني في هذه الدراسة بمصطلح الحدود الشرقية للوطن العربي الاراضي والمياه الممتدة من الشمال الى الجنوب التي تفصل الوطن العربي عن الاقاليم الواقعة الى شرقه • وبدءا نشير الى ان الحدود الشرقية كانت موضع صراع عثماني ـ صفوي ترتبت عليه اوضاع جغرافية وسياسية في الحقوق الوطنية والسيادة القومية عبرت عنها اتفاقيات ومعاهدات أهون ما يمكن ان توصم به انها عقدت بين طرفين كلاهما محتل ومن ثم فقد أهملت ارادة سكان المنطقة موضع الصراع •

يشكل كل من الخليج العربي والارض البرية ، في شماليه وشماليه الشرقي ، من الناحية الجغرافية ، ارض الحدود الشرقية للوطن العربي واذا آمنا بالحقيقة الجغرافية التي تؤكد ان الخليج مساحة مائية قديمة فالارض أصلا تكونت بانحسار جزء من تلك المياه وشكل معظمها سهلا فيضيا وخاصة في قسميها الاوسط والجنوبي • وتكون هذا الجزء الفيضي من العراق بفعل ترسبات دجلة والفرات والدجيل ، حيث تمثلت نهايته عند الخليج بفيض واسع يعرف قسمه الغربي ، بفيض دجلة وقسمه الشرقي بفيض دجيل • وبسبب من حداثة تكون الارض ورخاوتها ، وعدم العناية بالضفاف ، كانت الانهار تغير مجاريها بأستمرار ، فقد ترك دجلة مجراه القديم وانحدر عبر ما يعرف الآن بالغراف • أما دجيل فهو تجمع للعديد من الانهار والروافد ، مثل نهر جندي سابور ونهر الكرخة وكولكو وخرماباد ، التي تجتمع بدجيل في اراضي الحويزة غرب الاحواز ، بعد اجتيازها مدينة (سوس) ومن هذا الملتقى يتشكل فيض دجيل الذي يسير بموازاة فيض دجلة ، حيث يفرغان مياههما في الخليج العربي • والظاهر ان هذا الفيض كان واسعا ، وانه يصلح لسير السفن التي كانت جميع

اتجاهاتها تلتقي عند مدينة الاحواز ، غير ان المياه بدأت تدريجيا بالانحسار ، وظهرت جزر طينية اتسعت وأنشئت فيها مراكز استيطان ، أشهرها (رباط عبـاد بن الحصين) صاحب شرطة مصعب بن الزبير ، والي البصرة الذي انشأه للدفاع عن الملاحة في شط العرب • وقد تميزت هذه المنطقة بالذات بموضعها الاقليمي المنفتح خارجا ، عبر الممر الملاحي الذي يخترق نهري دجلة والفرات أو عبر شط العرب ، باتجاه الخليج أو عبر الطرق المخترقة للاودية والمنافذ في التخوم المحيطة بهذه الارض •

لا نستطيع تحديد بداية الحضارة ، في الحدود الشرقية للوطن العربي ، طالما ان كشفا علميا دقيقا وشاملا لآثار المنطقة لم يجر بعد ، ولكننا ندرك في الاقل ان الحضارة بزغت في العراق حوالي سنة ٥٠٠٠ ق•م ، وأبرزت لنا في وقت مبكر صلات حضارية اجتماعية (تجارية وثقافية) بين مراكز الاشـعاع الحضاري في العراق ، ومراكز اخرى في المنطقة ، ظهرت في زمن مقارب لمراكز الحضارة العراقية وخاصة في الخليج (دلمون ومجان) ، وتجمع معظم الدراسات المعروفة على انهما البحرين وعمان ، ثم في بلاد عيلام (القسم الجنوبي الشرقي من سهل العراق) ، حيث ظهرت الحضارة في زمن واحد مع بلاد وادي الرافدين منذ العهد السومري وفي العهد شبه الكتابي وخاصة في حدود ٣٠٠٠ ق•م ، ظهر فيها خط على غرار الخط المسماري القديم عرف بالخط المسماري العيلامي القديم[١] • وكما حلت اللغه الاكـــدية بديلا للسومرية ، كذلك حلت بديلا للعيلامية ، وهكذا أدت الحركة التأريخية المشتركة ، الى تطور اجتمـــاعي واقتصادي وسياسي وثقافي مشترك يقوده العراق وخاصة عندما تم توحيـد دويلات المدن في دولة مركزية واحدة ، نجحت في ان تشمل بنفوذها الحضاري

---

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ٣٨٢ • والعيلاميون شـــعب كالسومريين من ســـكان المنطقة القدماء لا يمتون بصلة الى الاقوام الهندو آرية أو فرعها الفارسي •

السياسي الخليج العربي كله من الشمال حتى مجان،ويبدو ان النشاط التجاري، كان محور هذه العلاقة وأساسها ، واستمر هذا التطور حتى سقوط بابل سنة ٥٣٨ ق٠م ، على يد كورش الاخميني الذي اجتاح المنطقة حتى مصر ٠

يدين الفرس الاخمينيون ، بالفضل الى بلاد وادي الرافدين ، في نظمهم الاجتماعية والسياسية وخبرتهم العامة ، وفي الخط الذي استخدموه في الكتابة وبالرغم من ذلك فقد كان موقفهم من بلاد وادي الرافدين سيئاً وعدوانياً ، وحاول الفرس السيطرة على الملاحة والتجارة في الخليج العربي، غير أن جهودهم فشلت ، وبدلا من ذلك ازداد الدور العربي فاعلية ، واتسع انتشار القبائل العربية ، ليغطي الحدود الشرقية للوطن العربي ، سواء عبر الخليج العربي ، باتجاه الساحل الشرقي ، أو عبر البر في العراق ٠ ومع اننا لا نعرف بالتحديد الزمن الذي حدث فيه ذلك الانتشار ، الا ان ارتباطه باخبار واحدة من الهجرات العربية القديمة يجعلنا نعتقد انه حدث في حقبة صادفت قيام الدولة الفارسية الثانية (الفرثية) ، ففي تلك المرحلة يشار الى قيام امارة ميسان العربية ، في جنوبي وجنوبي شرقي العراق ٠

دولة ميسان العربية[٢] :

نشأت دولة ميسان العربية ، في الربع الاخير من القرن الثالث ق٠م (٢٢٥ ـــ ٢٢٠) ، ودام حكمها ٤٥٠ سنة ، وامتد سلطانها في بعض مراحل تاريخها ، الى نهر دجيل (الكارون) ، حتى فم الصلح (قرب مدينة الكوت) ، وهذا يعني عمليا ، انها سيطرت على جنوبي العراق كله ٠ ان شعب دولة ميسان عربي وكذلك ملوكها الذين حملوا لقب « ملك العرب » ، اذ كانوا يكتبون بخط اشبه بالخط الذي يكتب به الصابئة، واشتغلوا بالتجارة ، وبسطوا نفوذهم

(٢) نودل مان : شيلدون ارثر ، دولة ميسان والكرخ العربية في جنوب العراق والاحواز ٠ BERYTUS X III. 1960, pp. 83-121.

على الطريق التجاري مع الهند ، سواء البري الصاعد عبر الساحل الشـــرقي للخليج العربي ، او البحري الذي يخترق الخليج ، وكلا الخطين ينتهيان عنـد دولة ميسان التي كانت لها علاقات تجـــارية مع الجرعاء في البحرين ، ومع السلوقيين والانباط ومصر ٠

وتجمعت قبائل هذه الدولة في مدينة بناها الاسكندر ، عند ملتقى نهر دجيل مع نهر دجلة ، وحملت اسـمه (الاسكندرية) ٠ وبعـــد زوالهـا أنشأ العرب (كرخ ميسان) التي أزدهرت بديلا لمدينة الاسكندرية وقد أفاد سكانها من الصراع بين السلوقيين والفرثيين ليوسعوا نفوذهم على حســاب الطرفين وليعلن حكامها أنفسهم ملوكا ، سنة ١٤١ ق٠م اذ سكوا النقود على الطراز السلوقي ، وفي زمن لاحق استولى ملكها (حسباو سينس) ، على بابل وأعلن نفسه ملكا عليهــا ٠ ثم انشأ قرب اســكندرية الاســكندر (كـــرخ حسباوسينس) أي قلعة حسباوسينس ٠ وبقيت هذه المدينة تعرف بالكرخ حتى مجيء المسـلمين ، وفي ســنة ١٠٩ ق٠م ، قــام الملك ابو داكوس بن حسباوسينس ببناء اسطول ضخم قاعدته الكرخ، وفي عهد تيريوس سنة٩٠ق٠م ابتدأت حركة يمكن أن نسـميها حركة (تعريب) ، فقد لبس الملك زي السكان المحليين وسك نقودا وضع عليها صورته بلحية صغيرة ، واعتنى بعبادة (نيخا) الهة الحب العراقية ، وعاصر الملك الحارث الاول ملك الانباط ، فقوى صلاته به ، واتخذ الاله الحارث (اله الشمس) الهـاً لدولته ٠ وقد استمر هذا التوجه في عهد اخيه تيريوس الثاني الذي ازداد عناية بالتقاليد العراقية ، وعمل على اقصاء آخر آثار الحضارة الاغريقية فأحل الكتابة الآرامية على النقود محل الاغريقية ٠

تعاقب على حكم الكرخ ، ثلاثة ملوك حملوا جميعا اسم عبد نرجال ، ابتداءً من سنة ٨ ق٠م ، وفي عهدهم اتسع نفوذ الدولة الى اربيل ، حيث انشأوا صلات بمملكة (حدياب) ٠ اشتهر من أهل الكرخ علمـــاء عديدون ، منهم

ديونيسيوس الكرخي الذي ألف كتابا في وصف البلاد للامبراطور الروماني اغسطس ، ومنهم العالم الجغرافي المشهور ايسيدور الكرخي ، الذي ألف كتابه المشهور (المحطات الفرثية) وألف أيضا كتابا في التأريخ • ووصلت شهرة دولة ميسان الى ايطاليا ، حيث وجدت نقوش بأسم (ابن نرجس) ، الذي كان يقيم في بومبي بايطاليـا •

انتشـار القبائل العربية :

يشار اولا الى انتشار الازد[٣] ، الذي اعقب انهيار سد مأرب ، ضمن الهجرة التي عرفت بهجرة سبأ ، فقد استمر الازد في انتشارهم ، وعبروا الخليج العربي ، الى الساحل الشرقي ، وانتشروا في بقاعه المختلفة ، بين مكران وفارس، وصعدوا شمالا الى الاحواز • وعلى الارجح بخطين الاول شرقي الخليج ، عندما تقدم الذين عبروا الخليج شمالا ، والثاني غربي الخليج ، عندما تقدمت القبائل الاخرى باتجاه الأبلة ، ثم الاستقرار في الاحواز •

كما يشار الى هجرة عبد القيس من البحرين وكاظمة وهجر ، متجهة الى الساحل الشرقي ، مدفوعة بسوء الاحوال الاقتصادية ، دون ذكر سـبب هذا الوضع السيء الذي ربما نشأ عن حملة سابور ذي الاكتاف ، التي دمر بها المدن ، وخرب مواقع الماء ، وأباد السكان وحيواناتهم في شرق الجزيرة العربية• والظاهر ان الهجرة كانت واسعة بدليل غلبة المهـــاجرين على تلك الاراضي وما فيها[٤] • ومع ان الروايات اشارت الى ان سابور قام بنقل عرب هــذه

---

(٣) الاصطخرى : مسالك الممالك : ١٤١ • الهمداني : صفة جزيرة العرب ٢١١ • ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٢٩٢ •

(٤) تأريـخ الطبري : ٢/٥٠ ، ابن قتيبـة : المعـارف ، ٦٥٦ـ٦٥٧ ، الدينورى : الاخبار الطوال ٤٩ـ٥٠ المسعودي : مروج الذهب ١/٢٥٤ـ٢٥٦ ، الثعالبي : غرر السير ، ٥١٤ هـ ، تأريخ ابن الوردي ، ١/٤١ـ٤٢ ، النويري نهاية الارب ، ١٥/١٧٣ـ١٧٤ ، ابن خلدون : العبر ، ٢/٣٤٧ـ٣٤٨ •

المناطق الى الساحل الشرقي ، الا ان ذلك غير معقول اذ ليس معروفا ، ان يقوم المهاجم بنقل السكان من الاراضي التي يهاجمهم فيها وهي غير خاضعة له الى أراضي دولته ، يضاف الى هذا عدم امكانية قيامه بهذا النقل لصعوباته الكثيرة وعدم ضرورته • وأغلب الظن ان العرب ، بحكم دورهم الملاحي ، اعتادوا على عبور الخليج العربي الى الساحل الشرقي ، وانهم اختاروا تلك المنطقة ، لقربها منهم ، وبعدها عن الدولة الساسانية ، بدليل الاشارة الواردة في الروايات الى انهم « تغلبوا » أي انهم انتزعوا الارض انتزاعا •

تمتاز الهجرات العربية ، بسمتين بارزتين ، الاولى انها هجرات واسعة وشعبية ، فهي اذن عملية ارتحال جماعي للقبيلة بما تملك ، وانها تتم وتتكامل تدريجيا ، والسمة الثانية انها حضارية فما ان يستقر المهاجرون حتى يبدأ العمل والانتاج وتنظيم الاستقرار ، وتهيئة ما يتطلبه ، والتكيف الاقتصادي مع المنطقة ، وخاصة في مجال الملاحة والتجارة ، حيث تنسب اغلب القلاع البحرية على الساحل الشرقي اليهم ، بدليل اسمائها المشتقة من اسماء القبائل او رؤسائها(٥) •

ومع تلك الهجرات أو بعدها ، تقدمت بطون قبلية واسعة شمالا ، بمحاذاة الخليج العربي ، او من الحجاز باتجاه العراق ، حيث يشار الى وصول قبيلة أياد ، الى المنطقة المحيطة بتكريت ، والمناذرة الى تخوم الفرات الوسطى حول الحيرة ، كما تقدمت بعض بطون بكر بن وائل من عجل وسدوس وشيبان وبني حنظلة الى منطقة السماوة والابلة والاحواز(٦) • واذا كان المناذرة قد

---

(٥) أنظر الخارطة رقم (١) •

(٦) تأريخ الطبري : ٥٩٣/٣ ، ٧٢/٤ ، ابن الاثير : الكامل في التأريخ ٣٩٣/١ •

نجحوا في اقامة امارة لهم في الحيرة ، فلا يبدو ان عرب الاحواز تمكنوا من ذلك ، اذ ان الساسانيين بعد اسقاطهم امارة ميسان ، وضعوا المنطقة تحت سيطرة عائلة معروفة تدعى سيرين التي يترأسها الهرمزان ، ويشير الطبري الى انها ليست عائلة فارسية[٧] ، والراجح ان الفرس لم يكونوا من ضمن العناصر التي شكلت سكان الاحواز حتى سقوط الدولة الساسانية .
وعلى الاغلب فان العناصر الرئيسة من سكان الاحواز هم العرب من بقايا دولة ميسان والعرب المهاجرون من الجزيرة العربية ، والعرب السريان الذين هاجروا هربا من جحيم الاضطهاد البيزنطي ، وسكنوا في مدينة جندي سابور على حافات اقليم الاحواز الشرقية ، يضاف اليهم الاساورة والسيابجة جماعة الهرمزان وبعض الزط .

لقد واجهت السيطرة الفارسية مقاومة شديدة من سكان الخليج العربي والعراق ، وصلت أعلى مراحل نضجها في القرن السابع الميلادي، حينما انتفضت القبائل العربية ، ضد الاحتلال الساساني في شرق الجزيرة العربية والعراق ،على أن أبرز الوقائع تأريخياً كانت معركة ذي قار التي هزم فيها الفرس وقال عنها الرسول الكريم « هذا يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا »[٨] .

واستمرت المقاومة العربية بعد ذي قار وكان غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي من أبرز قادتها في الاحواز ، وقطبة بن قتادة السدوسي في منطقة الابلة (البصرة) ، والمثنى بن حارثة الشيباني فيما بين الابلة والحيرة[٩] .

---

(٧) تأريخ الطبري : ٧٣/٤ .

(٨) تأريخ الطبري : ١٩٣/٢ .

(٩) تأريخ الطبري : ٥٩٣/٣ ، ٧٣/٤ .

تحرير العراق :

وعندما توحد العرب بالاسلام ، ووعوا رسالتهم الانسانية ، اتجهوا الى تحرير الاراضي العربية المحتلة ، فالتقت القوى العربية في الجزيرة العربيـــة بالقوى العربية في العراق التي سارعت بالانضمام الى جيش التحرير وخوض المعارك معه ، فانضم قطبة والمثنى الى جيش خالد بن الوليد ، وبعد استشهاد المثنى ، بقي جيشه مع ســـعد بن أبي وقاص ، فيمـــا عملت قوات البصـــرة والاحواز في جيش عتبـــة بن غـــزوان يوم انتـــدبه الخليفـــة عمـــر بن الخطاب لتولي قيادة العمليات الحربية في جبهة الابلة والاحواز ، فلما حل محله ابو موسى الاشعري اخذت المعارك شكلا منظما ومستقرا ومتواصلا . وكان لبني حنظلة في الاحواز دور بارز في هذه المعارك يقودهم غالب الوائلي[١٠] . فلما اكمل العرب تحرير الاحواز اصلحوا أحوالها ، فابتدأوا بشق الانهـــار وتعمير الموات من الاراضي[١١] ، بينما استمرت حرب التحرير حتى تم تحرير اراضي العراق ، فلما وصلت انباء الانتصار الى الخليفة قال قولته المشهورة « وددت لو أن الله جعل بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم »[١٢] .

عندما اكملت الجيوش العربية المرحلة الاولى من مهام التحرير في العراق والشام قام الخليفة باجراء تنظيماته للدولة اقتصـــاديا واجتماعيا وعسكريا واداريا فقسم الدولة على وحدات ادارية واهتم اولا بقضايا ملحة كثيرة ، وفي العراق كانت الضرورات العسكرية في مقدمة ما حظي برعاية الخليفة فقسم العراق على ولايتين هما البصرة والكوفة،وفي هذا التقسيم كانت الاحواز جزءاً

---

(١٠) تأريخ الطبري : ٧٢/٤ انظر ايضا الخارطة رقم (٢) عن سير حروب التحرير في الاحواز . وأنظر أيضا ملحق رقم (١) ص ٢٩ .

(١١) ن . م : ٧٧/٤ .

(١٢) ن.م : ٧٩/٤ .

من ولاية البصرة ، التي ضمت في اوقات متتابعة مناطق البحرين واليمامة وعمان وولى عليها أبا موسى الاشعري الذي استعان بعمال يديرون مناطق ولايته.

غير ان الاحواز نفسها قسمت على ست مناطق تولى كلا منها عامل[١٣] ، وقد حرص الخليفة على ابقاء الوضع القانوني لاراضي الاحواز كما فعل في السواد فلم يصادر أرضها ولم يوزعها على المقاتلين لانه عدها جزءاً من السواد فأجرى عليها حكمه في اراضي السواد[١٤] .

استمرت الاحواز في وضعها الاداري ، طوال عهد الراشدين ، وعندما اضطربت الاوضاع الداخلية ، في خلافة الامام علي بن ابي طالب ، وما اعقبها من ظهور حركة الخوارج وتسلم الامويين قيادة الدولة العربية ، اصبحت البقاع المحيطة بالبصرة ، منطقة نشاط سياسي وعسكري للخوارج ، الى ان تمكن والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي من تنظيم شؤون العراق والاراضي الشرقية وتأمين استقرارها .

واستمر وضع المنطقة اداريا ، بهذه الصورة ، في الدولة العربية حتى سقوطها ، باستثناء بعض الاوقات التي تفرض خروجا عن هذه القاعدة لمتطلبات سياسية او اقتصادية استثنائية ومؤقتة . غير ان تطورا مهما حصل في العهد العباسي ، عندما عزت ولاية البصرة باسطول فرض نوعا من التطور الاداري مما تطلب ان يصبح والي البصرة قائدا للاسطول بحيث يكون مشرفا من خلال

---

(١٣) انظر ملحق رقم (٢) للاطلاع على الولاة . وقد بحثت ادارة البصرة واعمالها بشكل تفصيلي في كتاب الدكتور صالح احمد العلي عن التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، كما بحث الدكتور عبدالرحمن عبدالكريم ادارة البحرين وعمان في كتابيه عن البحرين في صدر الاسلام وعمان في العصور الاسلامية ، وتناولت ادارة اليمامة في رسالتي : اليمامة وردة مسيلمة وفي البحث المنشور عن ادارة اليمامة في مجلة كلية الاداب . أنظر ايضا ملحق رقم (٣) ص٣٣

(١٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ٥٣٨ ، ٥٤١ .

حركة ذلك الاسطول في البحر على الخليج العربي كله • ولا شك في ان هذا التطور لم يكن مصادفة أو اعتباطيا ، انما جاء نتيجة ظروف وعوامل متعددة ، لعل ابرزها ظهور اخطار تهدد أمن الخليج العربي تمثلت في الهجمات التي شنتها قبائل (الميذ) البحرية فهددت بها أمن الخليج وأمن الملاحة والتجارة فيه[١٥] •

كانت النظرة العربية الى منطقة البصرة وتوابعها (الاحواز والبحرين وعمان) تنطلق من موقف أساس هو كونها وحدة ادارية متكاملة جغرافيا وبشريا واقتصاديا ، ضمن الدولة العربية الواحدة ، تساق العوامل الايجابية المتحققة من وحدتها الادارية ، لخدمة اهداف الدولة وحركتها التأريخية وفاعليتها الحضارية •

واستندت هذه النظرة الى الخلفية التأريخية للمنطقة ، وهي خلفية مؤثرة ليس بالامكان اهمال قيمتها وأهميتها تتلخص في ان هذه المنطقة يتمثل فيها نشاط حضاري متكامل وحركة تأريخية واحدة منذ أقدم العصور ، فالعلاقات الاقتصادية والسياسية التي اقامها السومريون بين اطراف الخليج الشمالية والجنوبية ازدهرت زمن الاكديين وتكاملت لتصبح علاقات حضارية أيضا عبر عصور التفاعل والتواكب بين اطراف منطقة تأكدت وتأصلت الخصائص الواحدة فيها •

تضاف الى هذا العامل قضايا ذاتية ناتجة من التطور التاريخي سياسيا بشكل خاص ، وهي :

١ـ المنطقة عبارة عن خط ممتد ، من الاستقرار الاجتماعي المتصل المتمركز حول الخليج ، وهذا الوضع الجغرافي اوجد وحدة ادارية ، أريد لها ان تخدم عسكريا ، دور البصرة كقاعدة لحروب جنوب المشرق •

---

(١٥) انظر بحثنا عن اليمامة في الادارة العربية ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ، العدد ٢٢ ، شباط ١٩٧٨ ، ص ٢٨٥ ، ٣٠٥ •

٢ ـ ان هذه المنطقة ، بسبب من طبيعتها اصبحت تعتمد أساسا على النشاط التجاري بطريقيه البري والبحري ، وعلى ما يجود به الخليج العربي من اللؤلؤ والاسماك ، منـذ أقـدم العصور ، وجاء التنظيم الاداري والاقتصادي للدولة العربية ، ليعزز هذا الوضع الذي فرض على الامويين جعل المنطقة تابعة لوالي العراق او لوالي البصرة ، وهو نفسه الامر الذي فرض على العباسيين العمل بموجبه ، عندما اصبح العراق مركز الدولة الاداري والسياسي والاقتصادي .

٣ ـ ان ازدهار الدور التجاري للخليج العربي في القرنين الثـاني والثالث للهجرة ، اوجد ضرورة خاصة لوحدة الارض المطلة عليه اداريا ، وعندما ظهرت أخطار تهدد أمن الخليج والتجارة فيه ، اصبحت الوحـدة الادارية للاراضي المطلة عليه ضرورة ملحة لاعطاء العمل العسكري المرونة الكافية في الدفاع والتحشيد والحركة .

يكشف لنا هذا الاستعراض التأريخي لحدود الوطن العربي الشرقية، عن طبيعتها الواحدة وخصائصها المشتركة وحركتها التأريخية والحضارية ، فهي من حيث النشأة التأريخية كانت جزءاً من ظهور الاستيطان الحضاري في العراق، لذلك حملت خصائصه ، وكانت مسرحا لدوره الحضاري الطبيعي طبقا لمكونات المنطقة الجغرافية والبشرية ، فسكانها ما كانوا في يوم من الايام فرسا أو يمتون الى الفرس بصلة ، انما سبقوهم في نشأتهم . فالاستقرار الاجتماعي يعود ظهوره في المنطقة الى زمن لم يظهر الفرس فيه بعد على مسرح التأريخ .

وهي من حيث النشاط الحضاري، ارتبطت بالعراق وتحدد دورها العالمي، ضمن الدور الحضاري للعراق عامة ، من خلال شيوع المعتقدات الدينيـة والثقافية العراقية ، وضمن الدور التجاري خاصة ، فقد شكلت منطقة الاتصال الملاحي لاغراض التجارة وكذلك منطقة الاتصال البري بين العراق ومناطق

الخليج العربي وميلوخا ثم استمر هذا الدور في شكل ادارة لطريق التجارة العالمي مع الهند بقيادة دولة ميسان ثم البصرة في العصور الاسلامية اللاحقة •

يكشف لنا هذا الاستعراض التأريخي الدور البارز لسكان غربي الخليج العربي ، في الملاحة والتجارة، وبالتالي تمتعهم بمرونة وقدرة الانتشار ،وتأسيس المراكز البشرية على ساحل الخليج العربي الشرقي خاصة ، بل ان نشوء المراكز في الساحل الشرقي وبروز دورها في التجارة البرية أرتبط بالعرب ، ودورهم الملاحي • فكان من الطبيعي ان يتطبع الخليج العربي بصفات الشعب الذي عاش على سواحله ، واستخدم جزره وممراته المائية ، وبالتالي تصبح العوامل الجوهرية مثل الاصول الاجتماعية لسكان الحدود الشرقية ، الذين عاشوا فيها واستخدموها ، وتركوا بصماتهم الحضارية على تأريخها ، وكذلك عناصر الفعل الحضاري والعلاقات التي اوجدوها وتعاملوا بها والارتباط الرئيس اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا بهذه المنطقة ، هي العوامل المقررة لوضعها القانوني ولشكل السيادة الحقيقية عليها ، وهي كلها عوامل تجعلها عربية •

الملحق رقم (١)

قواد تحرير الاحــواز

١ ــ عتبة بن غزوان حتى سنة ١٦ هـ

٢ ــ المغيرة بن شعبة سنة ١٦ هـ

٣ ــ ابو موسى الاشعري سنة ١٧ هـ

٤ ــ عمران بن الحصين الخزاعي

٥ ــ الربيع بن زياد

٦ ــ عاصم بن قيس بن الصلت السلمي

٧ ــ سمرة بن جندي

٨ ــ أبو مريم الحنفي

٩ ــ حارثة بن بدر الغداني

١٠ــ عبدالله بن عامر

١١ــ عمار بن ياسر

١٢ــ جرير بن عبدالله البجلي

١٣ــ البراء بن مالك

١٤ــ مجزأة بن ثور الدوسي

١٥ــ انس بن مالك

١٦ـ البراء بن عازب الانصاري

١٧ـ حذيفة ن اليمامة العبسي

١٨ـ قرظة بن كعب الانصاري

١٩ـ النعمان بن مقرن المزني

٢٠ـ منجوف بن ثور الدوسي

٢١ـ ثات بن ذي الحره الحميري

٢٢ـ عثمان بن ابي العاص

الحكم بن أبي العاص

٢٣ـ سوار بن هميان العبدي

٢٤ـ هرم بن جيان العبدي

٢٥ـ نفلة بن عبدالله الاسلمي

٢٦ـ معقل بن بشار المزني

٢٧ـ عمران بن الحصين الخزاعي

٢٨ـ عبدالله بن عامر

٢٩ـ خالد بن المعمر الدخيل

٣٠ـ مجاشع بن مسعود

الملحق رقم (٢) ولاة البصـــرة

الخليفـة	ولاة البصرة	منـاذر	سرق	الاحواز	السوس	جندي سابور	رامهرمز
عمر بن الخطاب	عتبة بن غزوان ١٤–١٦هـ المغيرة بن شعبة ١٦ هـ أبو موسى الاشعري١٦–٢٨هـ	عاصم بن قيس بن الصلت(١) الربيع بن زيـاد الحارثي	جزء من معاوية	سمرة بن جندب		بشر بن المحتفز	ابو مريم الحنفي
عثمان بن عفان علي بن ابي طالب	عبدالله بن عامر ٢٨–٣٥هـ عثمان بن حنيف ٣٥ هـ عبدالله بن عباس ٣٥–٣٨هـ ابو الاسود الدؤلي٣٨–٤٠هـ						
معاوية بن ابي سفيان	جمران بن ابان ٤١ هـ بسر بن أرطاة عبدالله بن عامر ٤٣–٤٤هـ الحارث بن عبدالله الازدي ٤٤ هـ زياد بن ابيه ٣٤–٥٣ هـ سمرة بني جندب ٥٣–٥٤هـ عبدالله بن عمرو بن غيلان ٥٤–٦٠هـ		حارثة بن بدر الغداني	حارثة بن بـدر الغداني عمرو بن معاوية	أمية بن عبدالله بن خالـد ابن عياش	ابو الغســير	ابو مريم الحنفي
يزيد بن ابي سفيان (ثورة اهل البصرة)	عبيدالله بن زياد حتى٦٤هـ عبدالملك بن عبدالله بن عامر٦٤ عبدالله بن الحارث بن نوفل٦٤						
عبدالله بن الزبير	عمـر بن عبيدالله بن معمـر ٦٤ – ٦٥هـ مصعب بن الزبير ٦٥–٦٧هـ حمزة بن عبدالله بن الزبير٦٧هـ مصعب بن الزبير ٦٧–٧١هـ			مطرف بن سيدان الباهلي المهلب ابن ابي صفرة			
عبدالملك بن مروان	خالد بن عبدالله ٧١–٧٣هـ بشر بن مروان ٧٣ هـ عبيدالله بن خالد بن اسيد ٧٤ هـ الحجاج بن يوسف الثقفي ٧٣–٩٥ هـ						
يزيد بن عبدالملك	مسلمة بن عبـــدالملك ١٠٢ – ١٠٦ هـ عمر بن هبيرة ١٠٢ هـ عبدالملك بن بشر بن مروان ١٠٢ هـ						

(١) ذكرت الروايات توليهما المركزية الادارية .

الخليفة	ولاة البصرة	مناذر	سرق	الاحواز	السوس	جندي سابور	رامهرمز
هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري ١٠٦-١٠٩هـ						
	يزيد بن عمر بن هبيرة						
ابو العباس السفاح	سفيان بن معاوية المهلبي						
ابو جعفر المنصور	سلمان بن علي الى١٣٨البصرة واعمالها وكور دجلة والبحرين واليمامة والعرض والاحواز						
	اسماعيل بن علي نقل الى البصرة والراجح انها ضمت لسلمان/٤٦٧ ١٤٤ هـ						
	سفيان بن معاوية ١٣٩هـ-١٤٤هـ		محمد بن الحصين				يعقوب بن الفضل
	محمد بن الحصين						
	سالم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ١٤٥ هـ						
	محمد بن سليمان بن علي ١٤٦ هـ						
	محمدبن ابي العباسي١٤٧هـ						
	عقبة بن مسلم ١٤٧هـ-١٥١هـ						
	جابر بن توبة الكلابي ١٥١هـ						
	يزيد بن منصور ١٥٢ هـ						
	عبدالملك بن ايوب ١٥٣ هـ						
	الهيثم بن معاوية ١٥٥هـ						
محمد المهدي	عمارة بن حمزة ١٥٦هـ كور دجلة والاحواز وفارس						
	محمد بن سلمان ١٦٠هـ ١٦٤ هـ البصرة واعمالها القرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاحواز						
	صالح بن داوي بن علي ١٦٤هـ						
	المعلى مولى المهدي ١٦٥هـ						
	محمد بن سلمان بن علي ١٧٠هـ ١٧٤هـ						
هارون الرشيد							

الملحق رقم (٣)

ولاة المقاطعات التابعة للبصرة

ثانيا ـ كور دجلة

الابلـة : ابن أبي بكرة

خبيبة بن كناز (يعمر)

كلاب بن امية (لزياد بن أبيه)

أمية بن عبدالله بن خالد (كذلك)

أنس بن مالك (لابن الزبير)

كراز السهمي (للحجاج)

أبو المليح الهذلي (؟)

فرات البصرة : الحجاج بن عتيك (لعمر)

ميسان : الحصين بن الخشخاش (لعبيد الله بن زياد)

الحصين بن الحر

النعمان بن عدي

ثالثا ـ فارس :

المغيرة بن أبي العاص (لعمر بن الخطاب)

الحارث بن راشد الناجي (لعثمان)

شريك بن الاعور (لعبدالله بن عامر وعبيدالله بن زياد)

زياد بن أبيه (لعبدالله بن العباس)
عبدالله بن خالد (لزياد وعبيدالله بن زياد)
يزيد بن الحكم (للحجاج)
محمد بن القاسم (للحجاج)
عمر بن عبيد الله بن معمر (للحجاج)

اردشير خرة : عبدالله بن خالد (لزياد)
عبيد الله بن عثمان بن ابي العاص (لزياد)
مقاتل بن مسمع

سابور : عامر بن مسمع
عبدالله بن الحشرج

اصطخر : المنذر بن الجارود (علي)
المغيرة بن المهلب

دار ابجرد : عامر بن مسمع

توج : زهير بن عبدالله

فساودرابجرد: مسمع ن مالك

رابعا ـ سجستان :
عبدالرحمن بن سمرة (لعبدالله بن عامر)
أمير بن احمر اليشكري (كذلك)
عبدالرحمن بن حسكة (لعلي)
عون بن جعدة (لعلي)
ربيع بن كاس

عبدالرحمن بن سمرة (لعبدالله بن عامر)

الربيع بن زياد الحارثي (لزياد)

عبيدالله بن أبي بكرة

عباد بن زياد

سلم بن زياد (لعبيد الله بن زياد)

يزيد بن زياد (لسلم بن زياد)

طلحة بن عبدالله (كذلك)

عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر (للحارث)

امية بن عبدالله

عبيد الله بن أبي بكرة (للحجاج)

خامسا ـ كرمان :

مجامع بن مسعود

عبيد الله بن الاهثم (لعلي)

شريك بن الاعور (لعبيد الله بن زياد)

قطن بن قبيصة (للحجاج)

الحكم بن نهيك (كذلك)

سادسا ـ ثغر الهند :

حكيم بن جبلة (عبدالله بن عامر)

راشد بن عمرو (لزياد بن أبيه)

سنان بن سلمة (لزياد)

المنذر بن الجارود

ابن حري (لعبيد الله بن زياد)

سعيد بن أسلم

سابعا ـ خراسان :

قيس بن الهيثم السلمي (لابن عامر)

عبدالرحمن بن ايزي (لعلي)

جعدة بن هبيرة (لعلي)

قيس بن الهيثم (لمعاوية)

خالد بن المعمر (لمعاوية)

قيس بن الهيثم (لابن عامر)

عبدالله بن خازم (لابن عامر)

الحكم بن عمرو (لزياد)

الربيع بن زياد (كذلك)

عبدالله بن الربيع

عبيد الله بن زياد (لمعاوية)

سعيد بن عثمان (لمعاوية)

عبدالرحمن بن زياد (لمعاوية)

سلم بن زياد (ليزيد)

عبدالله بن خازم

بكير بن وشاح (لعبدالملك)

امية بن عبدالله

ثامنا ـ ولاة البحرين	الوالي
الرسول (ص)	العلاء بن الحضرمي
أبو بكر الصديق	العلاء بن الحضرمي
عمر بن الخطاب	العلاء بن الحضرمي
	عياش بن ابي ثور
	قدامة بن مظعون
	ابو هريرة
	الربيع بن زياد الحارثي
	عثمان بن أبي العاص
عثمان بن عفان	عثمان بن ابي العاص
	عبدالله بن سوار العبدي
	مروان بن الحكم
علي بن ابي طالب	عمر بن أبي سلمة
	النعمان بن العجلان الانصاري
	قدامة بن العجلان
	عبيدالله بن العباس
معاوية بن أبي سفيان	الاحوص بن عبد امية
	مروان بن الحكم
يزيد بن معاوية	سعيد بن الحارث الانصاري
عبدالملك بن مروان	ابن اسيد بن الاخنس بن شريق الثقفي

	سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي
	موسى بن سنان
	سعيد بن حسان الاسيدي
	زياد بن الربيع الحارثي
	محمد بن صعصعة الكلابي
	قطن بن زياد بن الربيع الحارثي
الوليد بن عبدالملك	قطن بن زياد بن الربيع الحارثي
سليمان بن عبدالملك	الاشعث بن عبدالله بن الجارود
عمر بن عبدالعزيز	صلت بن حريث
	عبدالكريم بن المغيرة
يزيد بن عبدالملك	ابراهيم بن عربي
هشام بن عبدالملك	محمدبن زياد بن جريربن عبدالله البجلي
	هزاز بن سعيد
	يحيى بن اسماعيل
	يحيى بن زياد بن الحارث
	عبدالله بن شريك النميري
	محمد بن حسان بن سعد الاسيدي
	المهاجر بن عبدالله الكلابي
الوليد بن يزيد	محمد بن حسان بن سعيد الاسدي
مروان بن محمد	بشر بن سلام العبدي

تاسعا ـ ولاة اليمامة[16]

الخليفة	الوالي
١ ـ ابو بكر الصديق	رجل من الانصار
٢ ـ عمر بن الخطاب	سلامة بن وقش
٣ ـ عثمان بن عفان	سلامة بن وقش
٤ ـ علي بن ابي طالب	ـ (تغلب بن نجدة بن عامر الحنفي)
٥ ـ معاوية بن ابي سفيان	أبو حفصة ، تابع لوالي المدينة الشماخ ، تابع لوالي البصرة
٦ ـ يزيد بن ابي سفيان	ـ (تغلب بن نجدة بن عامر الحنفي)
٧ ـ مروان بن الحكم	ـ (تغلب عمير بن سلمى الحنفي)
٨ ـ عبدالملك بن مروان	جرير بن يبرس نويرة المازني ابراهيم بن عربي
٩ ـ الوليد بن عبدالملك	ابراهيم بن عربي
١٠ـ سليمان بن عبدالملك	سفيان بن عمرو الفضيلي نوح بن جبيرة
١١ـ عمر بن عبدالعزيز	زرارة بن عبدالرحمن
١٢ـ يزيد بن عبدالملك	ابراهيم بن عربي

(١٦) انظر دراستنا عن ادارة اليمامة في : اليمامة وردة مسيلمة : رسالة ماجستير جامعة بغداد كلية الآداب ، ١٩٧١ ، ص ١٨٤ ـ ٢٠١ ودراستنا عن اليمامة في الادارة العربية ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ، العدد ٢٢ شباط ١٩٧٨ ص ٢٨٥ـ٣٠٥ .

١٣ـ هشام بن عبدالملك	ابراهيم بن عربي
	المهاجر بن عبدالله الكلابي
١٤ـ الوليد بن يزيد	علي بن المهاجر
١٥ـ مروان بن محمد	المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة
١٦ـ ابو العباس[(١٧)]	داود بن علي ١٣٢ هـ
	زياد بن عبيد الله الحارثي ١٣٣ هـ
١٧ـ ابو جعفر المنصور	السري بن عبدالله حتى ١٤٣ هـ
	قثم بن العباس ١٣٢ ـ ١٥٩ هـ
١٨ـ المهدي بن المنصور	قثم بن العباس ، عزله ١٥٩ هـ
	بشر بن المنذر البجلي حتى ١٦١ هـ
	جعفر بن سليمان بن علي ١٦١ـ١٦٦هـ
	عبيدالله بن قثم
	عبدالله بن مصعب الزيدي (؟)
١٩ـ هارون الرشيد	سويد بن ابي سويد ١٦٩ هـ
	محمد بن سليمان بن علي ١٧٠ـ١٧٣هـ
	عمر بن عبدالعزيز بن عبيد الله
	المعلى بن طريف مولى المهدي
	محمد بن زياد بن عبيد الله (؟)
	حماد بن زياد بن عبيدالله
٢٠ـ المأمون	؟
	داود بن ماسحور ٢٠٦ هـ

(١٧) بقيت اليمامة حتى ١٦٩ هـ غير مستقرة الى أن أعيد الحاقها بالبصرة.

٢١ـ المتوكل/المنتصر/المعتز	محمد بن اسحق بن ابراهيم ٢٣٥ هـ
	« بعد هذا التاريخ يتغلب بنو الاخيضر على اليمامة »
	محمد بن ابي عون (؟)
	سعيد بن صالح (الحاجب) « ؟ »
٢٢ـ المعتمد / الموفق	بارجوج ٢٥٧ ـ ٢٥٨ هـ
	مسرور البلخي ٢٦٠ هـ
	ابن ابي الساج بعد ٢٩٦ هـ
٢٣ـ المعتضد	عباس بن عمرو الغنوي ٢٨٧ هـ

عاشرا ـ ولاة عمان

الخليفة	العامل
١ ـ أبو بكر الصديق	حذيفة بن محصن
٢ ـ عمر بن الخطاب	حذيفة بن محصن
	بلال الانصاري
٣ ـ علي بن أبي طالب	الحلو بن عوف الازدي
٤ ـ عبدالملك بن مروان	موسى بن سنان بن سلمة
	طفيل بن حصين البهراني
	حاجب بن شيبة
	مجاع بن سعر
	محمد بن صعصعة
	سورة بن الحر

	سعيد بن حسان الاسيدي
	الخيار بن سيرة المجاشعي
٥ ـ الوليد بن عبدالملك	عبدالرحمن بن سليم الكلبي
	عبدالجبار بن سبرة المجاشعي
	سعيد بن الهاني الهمداني
٦ ـ سليمان بن عبدالملك	عبدالرحمن بن قيس الليثي
	صالح بن عبدالرحمن الليثي
٧ ـ عمر بن عبدالعزيز	سعيد بن مسعود المازني
	عمرو بن عبدالله الانصاري
٨ ـ الوليد بن يزيد	الفيض بن محمد بن كردم بن بيهس
٩ ـ ابو العباس السفاح	جناح بن عبادة بن قيس الهنائي
	محمد بن جناح
١٠ـ محمد المهدي	الحسن بن تسنيم الحواري

المصادر والمراجع

(١) ابن الاثير : ابو الحسن عزالدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ) الكامل في التأريخ ، دار صادر ـ دار سيرويه للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .

(٢) الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤١هـ) مسالك الممالك ، دى غويه ، بريل ـ ليدن ١٨٧٠ .

(٣) البلاذري : أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن جابر . فتوح البلدان ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٧ .

(٤) الثعالبي : ابو منصور عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) تحرير السير ، مكتبة الاسدي ، طهران ١٩٦٣ .

(٥) ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٥٦ .

(٦) الدينوري : احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) الاخبار الطوال ، بريل ـ لندن ١٩١٢ .

(٧) رضا الهاشمي : صلات العراق القديم التجارية بمناطق الخليج العربي ، جامعة البصرة ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٧ سنة ١٩٧٢ ، ص ٣٥ .

(٨) صالح احمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩ .

(٩) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الطبري ، دار المعارف ، مصر (نشره محمد أبو الفضل) .

(١٠) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، مطبوعات دار المعلمين العالية ، بغداد ١٩٥٦ .

(١١) د . عبدالرحمن عبدالكريم العاني :
ـ عمان في العصور الاسلامية الاولى ، جامعة بغداد .
ـ البحرين في صدر الاسلام، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ـ كلية الآداب، ١٩٧١ .

(١٢) ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) المعارف ، مطبعة دار الكتاب ، القاهرة ١٩٦٠ .

(١٣) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٤م .

(١٤) المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٨ .

(١٥) النويري : شهاب‌الدين احمد عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ) نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .

(١٦) د . نزار عبداللطيف الحديثي :

- اليمامة وردة مسيلمة ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ـ كلية الآداب ١٩٧١ .
- اليمامة في الادارة العربية ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٢٢ ، شباط ١٩٧٨ .

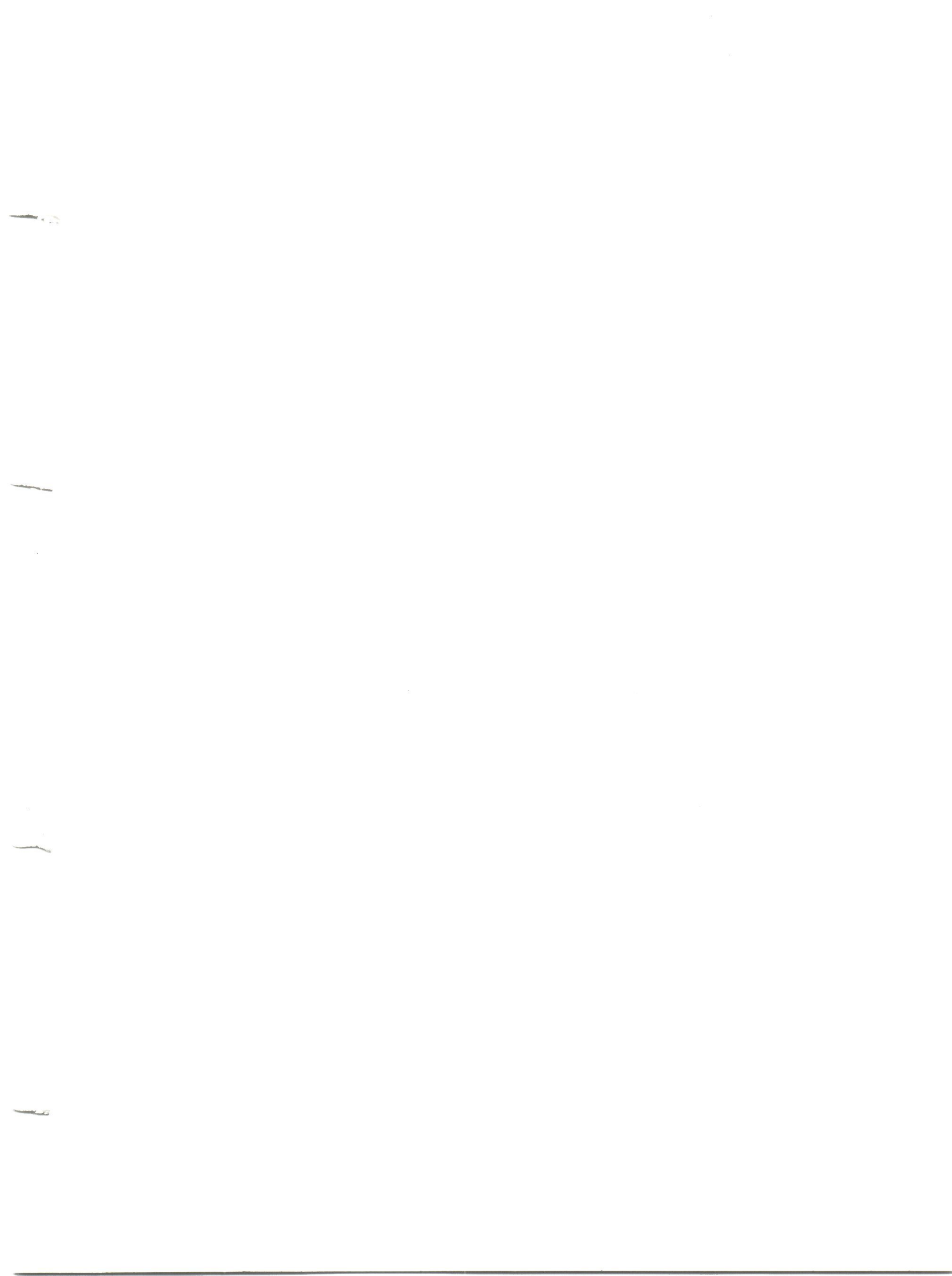
(١٧) ابن الوردى : زين‌الدين عمر (ت ٧٤٩هـ) تتمة المختصر من اخبار البشر ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .

(١٨) الهمداني : أبو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٣٤هـ) صفة جزيرة العرب، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٣ .

الفصل الثاني

الصراع العثماني - الفارسي واثره في العراق حتى اواخر القرن الثامن عشر

الدكتور علاء موسى كاظم نورس
كلية الاداب - جامعة بغداد



كانت العلاقات العثمانية الفارسية ذات طابع خاص محلي ودولي منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي • فقد كان ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس من جملة الاسباب التي أحدثت أنقلابا في ستراتيجية الدولة العثمانية ، فتوقف زحفها في أوربا أو كاد ، وبدأ صراع طويل بين الدولتين اللتين كانتا لا تلتقيان أيدلوجيا •

وفي قمة التوسع الفارسي ، تحالف الشاه اسماعيل الصفوي مع القوى الاوربية ، ليواجه قوتين كبيرتين ، الاتراك العثمانيين ويمتدون من طوروس والاناضول الى قلب اوربا الشرقية ، والمماليك الذين يمتدون من طوروس والشام حتى مصر والحجاز ، وهم في حرب مع البرتغاليين في المياه العربية الجنوبية[1] •

تمتع العراق بأهمية ستراتيجية سياسية واقتصادية على مر العصور كانت موضع اهتمام القوى العالمية ذات المصالح • وفي التأريخ الحديث احتدم الصراع بين الفرس والعثمانيين للاستيلاء عليه • وقد تمكن الشاه اسماعيل في سنة ١٥٠٨/ ٩١٤ هـ أن يصفي دولة (الآق قوينلو) التي كانت تعاني الاحتضار منذ العقد الاخير من القرن الخامس عشر[2] ، وخضعت بغداد للاحتلال الفارسي[3] ، وقدر لسكانها أن يعانوا مجددا ألوانا من المآسي والفواجع •

---

(١) عبدالعزيز نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، جـ١ ، بيروت ١٩٧١ ص ٢٨ •

(٢) للتفاصيل عن دولة الآق قوينلو التي حكمت العراق من (١٤١٠ ـ١٤٦٨) ، أنظر : عبدالله بن فتح الله الغياثي ، التاريخ الغياثي ، تحقيق طارق نافع الحمداني ، بغداد ١٩٧٥ •

(٣) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ١٨٩٦ ، ص٧٣

بيد أن الاحتلال الفارسي للعراق الذي أستهدف الهوية القومية ، واجه مقاومة عنيفة لانهائه[٤] ، كما ان ميزان القوى في الشرق الادنى ، بدأ يتغير في أعقاب موقعة جالديران[٥] سنة ١٥١٤/٩٢٠ هـ التي حطمت قوى الدولـة الفارسية ، واهتز وجودها بعنف في العراق ، حيث انتهى نفوذها في المنطقـة الشمالية التي أصبحت تحت الهيمنة العثمانية[٦] • ولم يستطع الشاه اسماعيل أن يقوم بعمل جدي سواء في اتجاه الشرق أو الغرب حتى وفاتـه سـنة ١٥٢٤/٩٣٠ هـ ، بالرغم من تحالفه مع البرتغاليين الذين كانوا أشد القوى خطرا على العالم الاسلامي حينذاك ، وقد سـاعدت سياسته هذه في تقوية التسلط البرتغالي على الخليج العربي[٧] •

وعندما تولى الشاه طهماسب عرش بلاد فارس سنة ١٥٢٤ ، أستمرت سياسة التحالف الفارسي ــ الاوربي لمتابعة الحرب ضد الدولة العثمانية[٨] • وهي سياسة خدمت اوربا التي كانت بحاجة الى اشغال العثمانيين والتخفيف من ضغطهم على حدودها • غير ان تردي الاوضاع الداخلية في بلاد فارس

---

(٤) عماد احمد الجواهري ، « العراق والتوسـع الصفوي » ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد العشرون ، الكويت ١٩٧٩ •

(٥) سهل في آذربيجان شرقي بحيرة أرمية بالقرب من تبريز •

(٦) مرتظى نظمي زاده ، كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، النجف ١٩٧١ ص ١٨٥ للتفاصيل ، أنظر : حسين محمد القهواني ، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ١٥٣٤ ــ ١٦٣٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٧٥ ، ص ٦٤ ــ ٧٣ •

(٧) نوار ، ص ص ٣٢ ــ ٣٣ •

(٨) ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ترجمة جعفر الخياط ، ط٤ ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٣٥ •

وتعرض أقاليمها الشرقية باستمرار لحملات قوات قبائل الاوزبك[٩] ، جعل تحالفها مع اوربا غير مجد .

وتمكنت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ — ١٥٦٦ م) أن تشن حربا شاملة على بلاد فارس وتستولي على اجـزاء منها ، وانتهت بتصفية الاحتلال الفارسي في العراق عام ١٥٣٤ / ٩٤١ هـ[١٠]. وأمتد النفوذ العثماني بعد ذلك الى سواحل الخليج العربي الشمالية[١١] .

وبعد ذلك استمرت حالة الحرب بين الدولتين العثمانية والفارسية ، حتى عقدت في ٢٩ مايس ١٥٥٥/٨ رجب ٩٦٢ هـ ، أول معاهدة بينهما ، عرفت بأسم « معاهدة أماسية »[١٢] . بعد أن شعر كل من الطرفين ان به حاجة الى التعايش السلمي لمواجهة مشاكله الخاصة . مما جعل المعاهدة ليست بذات قيمة ، لان أسباب الصراع كانت قائمة بصفة مستمرة . فتجددت الحرب مرات عديدة[١٣]، كما نقضت معاهدات عقدت في السنوات ١٥٩٠ و ١٦١١ و ١٦١٣ و١٦١٨[١٤].

---

(٩) الأوزبك : قبيلة تركية كانت قد أستولت على مقاليد الامور في تركستان بزعامة محمد شيباني الذي تمرس بفن القتال في الحروب التي نشبت بين امراء المغول في تلك البلاد . وفي سنة ١٤٩٤ م قضت هذه القبيلة على بقايا التيموريين في خرسان وهرات ، لتصبح بذلك متاخمة للدولة الفارسية ، وأخذت تهدد حدودها الشرقية تهديداً متواصلاً . كارل بروكلمان ، تاريخ الشـعوب الاسلامية ، جـ٢ ، ترجمة منير فارس ونبية بعلبكي ، بيروت ١٩٤٩ ، ص ١٢٤

(١٠) نظمي زادة ، ص ١٩٩ ، لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٣٥

(١١) علاء نورس ، العراق في العهد العثماني ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ٢٤ .

(١٢) فريد ، ص ١٠٥ للاطلاع على نص المعاهدة ، راجع : شاكر صابر الضابط ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، بغداد ١٩٦٦ ص ١٩ . وأماسية مدينة في شمالي الأناضول وقصبة ولاية سيواس .

(١٣) نظمي زاده ، ص ٢٠٩ ، فريد ، ص ص ١١٤-١١٦

(١٤) عن هذه المعاهدات ونقضها ، انظر : نورس ص ص ٣٦ — ٣٠ .

وأيا كان شكل العلاقات بين العثمانيين والفرس ، فأن العراق ظل ميدانا لصراعهما متجاهلين ارادة الشعب العراقي • وفي سنة ١٦٢٣/١٠٣٣ هـ أنتهز الشاه عباس الاول فرصة تمرد وقع في الحامية العثمانية في بغداد قام به بكر صوباشي ، وزحف بقواته الى العراق وتمكن من احتلال بغداد ، بعد مقاومة ضارية[١٥] • ويروي مرتضى نظمي زاده ، وهو مؤرخ عاصر هذه الاحداث ، ان القوات الفارسية فتكت بالكثير من السكان وان من سلم من القتل لم يسلم من التعذيب ، وأن العديد منهم أرغموا على ترك بيوتهم ومغادرتها[١٦] • وان الامان الذي نودي به كان أمانا خادعا ، اذ تلا ذلك اضطهاد منظم[١٧] •

ان حقبة الضعف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية حينذاك ، لم تكن أقل تأثيرا في تمهيد الامر لهذا الاحتلال الفارسي ، اذ يذكر المؤرخ كريسي Creasy « انه كانت تصل من كل أجزاء الدولة الرسائل حاملة أنباء لا تسر •• وان في القسطنطينية نفسها ، كانت هناك خزينة خاوية ، ودار صناعة معطلة ، ومخازن للذخيرة هزيلة •• »[١٨] •

وفي سنة ١٦٢٥ جرت المحاولة الاولى لطـرد الفرس ، ذلك ان طموح البلاط العثماني كان ملحا في استعادة بغداد منذ اللحظة التي أضيعت فيها[١٩] • وقد أسفرت اولى العمليات العسكرية التي دارت في شهرزور عن ايقاع الهزيمة

---

(١٥) مصطفى كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، ج٢ ، استانبول ١٢٥٨ ص ص ٣٩ ، ٤٦ ؛ العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٤ ، بغداد ١٩٤٩ ، ص ١٧٧ ؛ لونكريك ، ص ٧٧

(١٦) نظمي زاده ، ص ٢٢٠

(١٧) لونكريك ، ص ٧٨

(١٨) Edward Creasy, History of the Ottoman Turks, (London, 1878), p. 246.

(١٩) لونكريك ، ص ٨١ •

بالفرس وتصفية نفوذهم هناك[٢٠] • وواصلت القوات العثمانية التي كانت بقيادة الصدر الاعظم حافظ أحمد باشا تقدمها باتجاه بغداد ، فأثار ذلك ذعر القيادة الفارسية التي سارعت بارسال الامدادات ، وتحرك الشاه عباس بجيشه من اصفهان ، غير ان طلائع الجيش الفارسي هزمت وفرض الحصار على بغداد، وخلال مدة الحصار التي دامت تسعة أشهر ، جرت مفاوضات بين الطرفين لم تسفر عن شيء • ولما كانت القوات العثمانية غير مستندة الى مدفعية كافية ولا مجهزة بالذخيرة اللازمة ، فان الحملة أنتهت بالخيبة ، وتراجعت القوات عن بغداد[٢١] •

وقد قضت الاضطرابات الداخلية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية في تلك الحقبة[٢٢] ، ان تنصرم أعوام ثلاث دون ان تظهر علامات الاستعداد ثانية للزحف نحو بغداد التي كانت ترزح تحت كابوس الاحتلال الفارسي • وفي سنة ١٦٢٩/١٠٣٨هـ شهد العراق مرة اخرى مواجهة عسكرية بين الطرفين ، وتمكنت القوات العثمانية من تطويق بغداد والضغط على الحامية الفارسية • الا أن خطة الحصار الذي دام أربعين يوما ، خابت ثانية،وتم التراجع عن بغداد بصورة منتظمة ، ودون أن يتمكن الفرس من اعاقته[٢٣] • ويعزى سبب الاخفاق ، الى أن القوات العثمانية كانت قد استنفدت معظم عتادها في العمليات العسكرية التي قامت بها في الاراضي الفارسية ، قبل أن تتوجه الى

---

(٢٠) نظمي زاده ، ص ٢٢٢ •

(٢١) المصدر نفسه ، ص ص ٢٢٣ـ٢٢٤ والجدير بالذكر أن مؤلف «كلش خلفا» يكتب أحداث هذه الحرب نقلا عن والده الذي كان شاهد عيان لها • للتفاصيل انظر : القهواتي ، ص ص ٢١٣ ـ ٢٣٥ •

(٢٢) لونكريك ، ص ٨٦ •

(٢٣) كلش خلفا ، ص ص ٢٢٦ـ٢٧٧ •

هدفها بغداد ، حيث هاجمت همدان واقتربت في تقدمها من مدينة قزوين[٢٤] .
كما ان قواها قد أنهكت في الشهور العديدة التي قضتها في الجبهة الشرقية[٢٥].

ان مزيدا من الاضطرابات قد حدثت في العاصمة العثمانية ، بعد وصول أنباء فشل المحاولة الثانية لطرد الفرس من بغداد[٢٦] . ويذكر كريسي Creasy ان وضعا شاذا قد ساد الدولة ، وان الانكشارية تمردوا في السراي نفسه ، وكاد تمردهم أن يطيح بالسلطان مراد الرابع[٢٧] . ولكن صرامة السلطان أنقذت البلاد ، « وكان أسوأ العسف الذي قام به أهون شرا على الدولة من الفوضوية العسكرية التي قضى عليها »[٢٨] .

ومنذ ذاك الوقت برهن السلطان على أنه المعيد الحقيقي للصحة والحياة في جسم دولته ، وبات في حكم المقرر توجيه حملة قوية على الفرس وتصفية وجودهم في بغداد . وفي سنة ١٦٣٨ / ١٠٤٨ هـ شرع مراد الرابع في تحقيق هذا الهدف ، وقاد جيشه متوجها نحو العراق . وعند وصوله بغداد[٢٩] اتخذ

---

(٢٤) مصطفى نعيما الحلبي ، تاريخ نعيما ، ج٣ ، استانبول ١٢٨١ ، ص ٢٧ ؛ لونكريك ، ص ٨٩

(٢٥) يذكر المؤرخ نعيما أن الجيش العثماني قد أضاع من وقته مايقرب من شهرين عندما توقف في « كلعنبر » لتجديد حصنها القديم الواقع على الحدود (تاريخ نعيما ، ج ٣ ، ص ١٨) . ويرى لونكريك ان عملية تجديد حصن كلعنبر ـ الذي كان سليمان القانوني قد بناه ـ كانت من دون فائدة وفي غير أوانها . (أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٨٨) .

(٢٦) فريد ص ١٢٦ .

(٢٧) Creasy, op. cit., p. 248.

(٢٨) لونكريك ص ٩٢ .

(٢٩) وصل السلطان مراد الرابع بجيشه الى بغداد في منتصف شهر تشرين الثاني ١٦٣٨/الثامن من رجب ١٠٤٨ هـ بعد مئة وعشرة أيام من السير ، وستة وثمانين يوما من التوقف للراحة . Creasy, E. : op. cit., p. 255.

مواقعه في مواجهة أسوارها[٣٠] . وخلال الايام الاولى من القتال تمت عملية الاطباق الكلي على الحامية الفارسية ، واشتد الهجوم على جميع مواقعها القائمة عند ابواب بغداد الاربعة[٣١] . ورفض السلطان طلبا لعقد الصلح تقدم به الشاه صفي عن طريق مبعوث خاص[٣٢] . وقد تواصل القتال الضاري بين الطرفين أربعين يوما ، حيث أعلن القادة الفرس الاستسلام ، وتم الاستيلاء على بغداد في ٢٥ كانون الاول ١٦٣٨/١٨ شعبان ١٠٤٨ هـ[٣٣] . وبعد أن أسند السلطان حكم المدينة الى حسن باشا الصغير أغا الانكشارية، ووضع حامية مؤلفة من ثمانية آلاف جندي[٣٤] ، ترك بغداد في شباط ١٦٣٩/ رمضان ١٠٤٨ هـ ، عائدا الى عاصمته[٣٥] .

---

(٣٠) لونكريك ص ٩٤ ؛ ريجاركوك ، بغداد مدينة السلام ، ج٢ ، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٣٩ .

(٣١) وهي باب المعظم وباب الظلمات والباب الأبيض أو « الباب الوسطاني » وباب الجسر الذي يربط مابين بغداد والجهة المقابلة من دجلة حيث تنتصب قلعة الطيور .

(٣٢) العزاوي ج٤ ، ص ٢١٨ .

(٣٣) كلشن خلفا ، ص ٢٣٢ .

(٣٤) العزاوي ، ص ٢٣٢ ؛ لونكريك ، ص ٩٧ . يكتفي مؤلف (كلشن خلفا) بالقول ان السلطان أبقى في بغداد قوة كافية من الجنود السباهيين والانكشاريين ، دون أن يشير الى عددهم . (مرتضى أفندي ، كلشن خلفا ، ص ٢٣٤) . اما كريسي فيقدر عدد هذه القوات ب (١٢٠٠٠) جندي .
Creasy, op. cit., p. 256.

(٣٥) للتفاصيل ، أنظر : صالح محمد العابد « حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد » مجلة المورد ، المجلد الثامن ــ العدد الرابع ، بغداد ١٩٧٩ .

ان هزيمة الفرس قادت بالنهاية الى عقد معاهدة صلح وتحديد للحدود بين الدولتين في ١٧ مايس ١٦٣٩ / ١٤ محرم ١٠٤٩هـ ، عرفت بـ « معاهدة زهاب »[٣٦] ، وقد شكلت نصوصها أساسا من أسس المعاهدات التالية . ويتبين من دراستها ان النفوذ الفارسي غربي جبال زاغروس قد زال وبقي في شرقيها فقط ، وانها عينت الحدود بين الدولتين على قاعدة مناطق حدود Frontiers Zones ، وليس على أساس خط للحدود ، وهو الخط الذي تبدأ به سيادة الدولة وينتهي بسيادة دولة أخرى[٣٧] ، كما ان صياغة المعاهدة ما كان ليحسم الخلافات بين الدولتين حول الحدود . ومما هو جدير بالذكر انها لم تتعرض لشط العرب ، على أنه من مواضع الخلاف بينهما ، وفي هذا سند قوي بأن شط العرب بضفتيه يخضع بلا جدال لسيادة الدولة العثمانية .

ان معاهدة زهاب حتى لو كانت قد تناولت حل مشاكل الحدود بصورة تفصيلية وعلمية ، فمن المشكوك فيه انها سوف تنهي النزاع بين الدولتين نهائيا لما تعتورها من ملابسات واطماع . واذ قدر لهذا الصلح ان يدوم حقبة تمتد الى ثمانين عاما ، دون أن يعكره اي قتال جدي بينهما ، فأن ذلك يمكن ان

---

(٣٦) للاطلاع على النص الكامل للمعاهدة راجع : الضابط ، ص ص ٣٣ ـ ٣٦ ؛ معاهدات عمومية مجموعة سي ، جـ٢ ، ص ٣١٠ ـ ٣١٢ ؛

J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, (New York, 1956), vol. I, pp. 21-3.

وزهاب موقع ستراتيجي هام على الحدود العراقية الفارسية عند مشارف جبل زاغروس . كان تابعاً لباشوية بغداد ويقوم بأدارته أمراء بلقب باشا . ومن توابع زهاب ، درتنك ودرنه وقصر شيرين . وقد اصبحت منطقة زهاب مجالاً للصراع العثماني الفارسي عليها خلال القرن التاسع عشر . انظر : رحلة المنشيء البغدادي ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي ، بغداد ١٩٤٨ ، ص ٤٣ :

Hurewitz, J. : op. cit., vol. I, pp. 90-1.

(٣٧) جابر أبراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٢٠

يعزى الى انشغال الدولة الفارسية خلالها بمشاكلها الداخلية[٣٨] ، وانشغال الدولة العثمانية بحروبها الاوربية[٣٩] .

لقد عاد العراق منذ العقد الرابع من القرن الثامن عشر ، ميدان صدام مسلح بين العثمانيين والفرس ، وتعرضت مدنه باستمرار لعدوان قوات الطرفين اللذين توالى غزوهما للعراق ، فقد غزته قوات الفرس تحت قيادة نادر شاه سنة ١٧٣٢/١١٤٥هـ . وكان احمد باشا والي بغداد قد تسلم رسالة منه يتوعده فيها وينذره بانه زاحف نحو بغداد[٤٠] . فأسرع بتحصين مواقع الحدود في درنة ومندلي وبدرة[٤١] ، وعزز حامياته في زهاب وقصر شيرين (اللتين كانتا تابعتين لولاية بغداد) . ثم أصلح مراكز الدفاع الموجودة في سور بغداد[٤٢] .

وقد واجهت القوات الفارسية التي كانت تقدر بمائة ألف جندي مقاومة عنيفة عند توغلها في الاراضي العراقية أجبرتها على التقهقر في عدة مناطق[٤٣] ،

---

(٣٨) شهدت بلاد فارس في تلك المرحلة تزايد انحلال الأسرة الصفوية الحاكمة وسيرها نحو الانهيار بخطى سريعة . وما رافق ذلك من موجات عاصفة من الاضطراب وعدم الاستقرار وصلت مداها خلال العقد الثالث من القرن الثامن عشر بتمزق البلاد الفارسية على أثر سقوط الحكم الصفوي سنة ١٧٢٢/١١٣٥ هـ
Percy Sykes, A History of persia, vol. II, (London, 1969), p. 183, 237.

(٣٩) كانت أبرز حروب الدولة العثمانية في هذه المدة مع النمسا ، وقد انهزمت خلالها هزائم ساحقة .

(٤٠) لونكريك ، ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٤١) محمد حسين قدوسي ، نادر نامه ، خراسان ١٣٣٩ ، ص ٢٢٩ .

(٤٢) لونكريك ص ١٧٠ ؛ جعفر الخياط ، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، جـ١ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٣١ .

(٤٣) ميرزا مهدي خان ، جهانكشاي نادري ، تهران ١٣٣١ ، ص ١٩١ ؛ دره نادره ، تهران ١٣٤١ ، ص ٧٣٥ .

وفشلت محاولة لاحتلال كركوك بالرغم من تدمير جميع القرى المحيطة بها[٤٤].
كما تكبدت قوات فارسية يقدر عددها بثمانية آلاف جندي ، خسائر فادحة عند مهاجمتها الموصل، وأضطرت الى التقهقر بعد أن قتل قائدها (نركزخان)[٤٥].
وفي محاولة لتوجيه ضربة الى بغداد واصل نادر شاه تقدمه نحوها . وبدأ في أواخر كانون الاول ١٧٣٢/رجب ١١٤٥ هـ بفرض حصاره على الجانب الشرقي منها[٤٦] . واستعان بمهندس اوربي كان يرافقه في حملته وعدوانه على العراق ، في انشاء جسر عائم من جذوع النخيل ، على بعد عدة أميال من شمال بغداد ، وذلك لتمكين القوات الفارسية من العبور الى الجانب الايمن من نهر دجلة[٤٧] . غير ان الفرس أصيبوا بالفشل بسبب صمود بغداد واستبسالها في الدفاع ، ولم تتمكن مدفعيتهم من أحداث ثغرات خطيرة في سورها . ولذا لم يكن أمامهم غير الاستمرار في الحصار أملا بسقوطها[٤٨] .

وبالرغم من الضيق الذي أصبح عليه السكان داخل المدينة المحاصرة ، بحيث أخذت ويلات المجاعة شكلا مروعا[٤٩] ، فان القيادة الفارسية التي دعت

---

(٤٤) صفحة من تاريخ نادر شاه ، نبذة تاريخية كتبها أحد أبناء كركوك المعاصرين لنادر، ونشرها نرسيس صائغيان في مجلة لغة العرب، الجزء الخامس، السنة السابعة ، مايس ١٩٢٩ ، ص ٣٨٠ـ٣٨١ .

(٤٥) ياسين العمري ، زبدة الآثار الجلية ، تحقيق عماد عبدالسلام ، النجف ١٩٧٤ ، ص ٨٨ ؛ سليمان صائغ ، تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص ٢٧٤

(٤٦) عبدالرحمن السويدي ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ، ق٢ مخطوط ، ورقة ١١٧ و ١١٨ ؛ رسول الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ٢٩ـ٣٠

(٤٧) ميرزا مهدي خان ، جهانكشاي نادري ، ص ١٩٧ . وأنظر : لونكريك ص ١٧١ .

(٤٨) العزاوي ، العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٣٦ ؛ ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، جـ٢ ، ص ٧٢ .

(٤٩) السويدي ، ورقة ١٢١ .

بغداد للاستسلام ، تلقت خطابا شديد اللهجة من الوالي أحمد باشا بعد ان أجتمع بوجهاء وعلماء بغداد ، جاء فيه :

« نحن لا نسلم حجرا من احجار بغداد حتى نقبر في مكاننا هذا ، وان ذخيرتنا كافية ومددنا كثيرة العدد متواصلة المدد ، ولم يكن توقفنا عن مناوشتكم في بعض الايام دون حكمة ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »(٥٠) .

وفي اليوم التاسع عشر من تموز ٦/١٧٣٣ صفر ١١٤٦هـ دارت معركة حامية بالقرب من الدجيل بين القوات العثمانية والفارسية أستمرت تسع ساعات متواصلة وانتهت بهزيمة الفرس وتكبدهم خسائر فادحة تقدر بثلاثين ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير ، اضافة الى فقدانهم لمدفعيتهم وذخائرهم(٥١) . وهرب قائدهم نادر شاه جريحا ومعه فلول قواته المنهزمة عن طريق بهرز باتجاه الاراضي الفارسية(٥٢) . ويقال بأن الغنائم التي جمعت من المعركة ، تكفي لتحصين وتسليح مدينة جديدة(٥٣). اما بغداد التي مضى على حصارها سبعة شهور ، فان حاميتها قامت عند وصول أنباء الانتصار ، بمهاجمة القوة الفارسية المرابطة عند أسوارها ، فقتل معظم أفرادها وهرب الباقون(٥٤) .

---

(٥٠) السويدي ، ورقة ١٢٢ .

(٥١) قدوسي ، ص ٢٣٤ ، لونكرك ص ١٧٦ ؛
Hammer, J. : Histoir de l'Empire Ottoman, vol. XIV, (14), (Paris, 1839), p. 290.

(٥٢) أبراهيم أفندي ، مصباح الساري ، جـ١ ، ص ٢٢٠ ؛
Shay, M. : The Ottoman Empire from 1720 to 1734, (Urbana, 1944), p. 144.

(٥٣) Ibid.

(٥٤) السويدي ، ورقة ١٢٦ .

وبعد اقل من ثلاثة أشهر ، عاود الفرس عدوانهم على الاراضي العراقية في محاولة يائسة أخرى ، لازالة الهزيمة التي لحقت بهم من قبل . فعبرت قواتهم الحدود العراقية ، وتقدمت ارتال منها باتجاه كركوك ، وعند وصولها سهل ليلان جنوبي شرقي كركوك في الرابع والعشرين من تشرين الاول ١٧٣٣/ ١٥ جمادي الاولى ١١٤٦ هـ ، واجهت مقاومة عنيفة ، ثم دارت معركة حامية عند مضيق (آق دربند) ، أسفرت عن تكبد الطرفين خسائر فادحة(٥٥) . وقد اضطر نادر شاه الى طلب الصلح لا سيما انه تلقى اخبارا عن تفاقم الاضطرابات في مختلف انحاء البلاد الفارسية ، وقيام (محمد خان بلوج) حاكم أقليم فارس بثورة للاطاحة بحكمه(٥٦) .

وبعد مفاوضات استمرت مدة تزيد على سبعة أيام ، عقدت معاهدة صلح في اليوم التاسع عشر من كانون الاول ١٧٣٣/١١ رجب ١١٤٦هـ ، عدت فيها الحدود بين الدولتين هي التي خططتها معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩(٥٧) .

غير ان صراع الدولتين استمر ولم تحل دونه أية معاهدة ، اذ عاود الفرس عدوانهم على العراق مرة اخرى ، وتركز في هذه المرة على البصرة . ففي نيسان ١٧٣٥/١١٤٨ هـ دخلت الى شط العرب ثلاث سفن فارسية من نوع

---

(٥٥) الكركوكلي ، ص ٣٤ ؛ قدوسي ، ص ٢٣٧

(٥٦) James Fraser. : The History of Nadir Shah, (London, 1742), p. 112.

(٥٧) لونكريك ، ص ١٨٠ ؛
Hammer, J. : op. cit., vol. XIV, p. 334.

(الغراب)[٥٨] وخمسون سفينة كبيرة من نوع (الترانكي)[٥٩]، بالاضافة الى قوة فارسية برية مؤلفة من ثمانين ألف جندي، بدأت بالتقدم أعلى النهر[٦٠] • وعند الجزء الضيق من شط العرب ، أسفل البصرة بخمسة عشر ميلا ، دار قتال مرير لمدة ثلاثة أيام أنتهى بانسحاب القوات المعتدية[٦١] •

ويذكر لوريمر Lorimer ان نادر شاه طلب من الانكليز ان يساعدوه في عدوانه على البصرة ، غير ان سلطات بومباي أصدرت اوامر حاسمة لمثلها في بندر عباس بألا يضع أية سفينة من السفن الحربية العائدة الى شركة الهند الشرقية في خدمة الفرس او تحت تصرفهم ، اذ كانت تخشى من تعرض مصالحها الى الخطر[٦٢] •

وفي سنة ١١٥٦/١٧٤٣هـ شن الفرس هجوما واسعا على العراق ، حيث عبرت قواتهم بقيادة الشاه نفسه ، وكانت تقدر بمائة وسبعين الف جنـدي ، الحدود من جهة مندلي وشهرزور[٦٣] • وتقدمت باتجاه كركوك التي لم تسقط

---

(٥٨) الغراب : سفينة ذات صاريتين أو ثلاث ، تستعمل للتجارة وفي الأمكان تثبيت بعض المدافع عليها ، وقد شاع أستعمالها منذ القرن السادس عشر في الخليج العربي والبحر الأحمر • ينظر : عبدالأمير محمد أمين ، القوى البحرية في الخليج العربي ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٣١ •

(٥٩) الترانكي : نوع من السفن كان شائع الاستعمال خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر وكان يسير بالمجاذيف والاشرعة معاً ، وهو يستخدم في الحرب والتجارة • امين ، ص ٣٢ •

(٦٠) قدوسي ، ص ٢٥٤ وأنظر : أمين ، ص ١٣

(٦١) نفس المصدر •

(٦٢)

J. G. Lorimer. : Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, vol. I, Part. IB, (Calcutta, 1915), p. 1198.

(٦٣) العزاوي ، جـ٥ ، ص ٣٦٧ وانظر : لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ •

الا بعد مقاومة ضارية استمرت ثمانية ايام بلياليها ، كما كانت اربيل هدفا للعدوان الفارسي(٦٤) .

ولما كان هدف الفرس الاستيلاء على بغداد ، فان خطتهم كانت ترمي السيطرة على الموصل اولا ، وذلك لقطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وبغداد مما يسهل سقوطها في ايديهم(٦٥) ، لذلك واصلت القوات الفارسية تقدمها نحو الموصل ، التي كانت قد تسربت اليها أنباء من القوات الفارسية نفسها عن الخطة المبينة ، فاستعدت للدفاع عن كيانها بحماس شعبي منقطع النظير ، وهيأت الخنادق واصلحت الاجزاء المتصدعة من سور المدينة ، وحصنت القلاع بالمدافع ، وتجهزت بالذخيرة اللازمة(٦٦) .

وقد بعث نادر شاه ، وهو في طريق تقدمه نحو الموصل ، بخطاب يحذر فيه أهاليها من مغبة المقاومة ويدعوهم الى الاستسلام(٦٧) ، ولكن الموصل أجابت بخطا بشديد اللهجة ، بعد أن شهدت اجتماعا شعبيا كبيرا(٦٨) ، وقد جاء في الرد :

« فما وعيدكم عندنا الا كصرير باب ، او كما طن في
لوح الهجير ذباب ، افرأيتم ان القصاب يقهره كثرة الغنم ،
أو الاسد الغشمشم يدهشه تراكم النعم ، كلا ستعلمون

---

(٦٤) السويدي ، ورقة ١٧٢ .

(٦٥) أنظر : عماد عبدالسلام ، الموصل في العهد العثماني ، النجف ١٩٧٥ ، ص ١٠٤ .

(٦٦) دومينيكولانزا ، الموصل في القرن الثامن عشر ، مذكرات عربها عن النص الأيطالي القس روفائيل بيد لويد ، الموصل ١٩٥٣ ، ص ٣٧ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ص ١٨٣ .

(٦٧) صور من الخطاب في مجموع مخطوط ، محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ببغداد تحت رقم (٤٤) .

(٦٨) محمد امين العمري ، منهل الاولياء ، جـ١ ، تحقيق سعيد الديوەجي الموصل ١٩٦٧ ، ص ١٥١ ؛ سليمان صائغ ص ٢٧٩ـ٢٨٠ .

ثم كلا ستعلمون الرقاع بالقراع ، ونحن الأسود الضارية ، والسباع الكواسر العادية ، اسيافنا صقيلة ، وسطوتنا ثقيلة ، وحلومنا رزينة ، وقلوبنا كالحديد متينة ، وبلدتنا ــ بحمد الله ــ حصينة .. فلا سمعا لكم ولا طاعة وأهلا بالسعادة والشهادة هذه الساعة ، فما بيننا الا ما صنع الحداد من سيوف حداد ورماح مداد »[٦٩] .

وفي العاشر من ايلول ١٧٤٣/٢١ رجب ١١٥٦ هـ ، شوهدت قوات فارسية تتقدم باتجاه قرية (يارمجة) شرق دجلة على بعد زهاء خمسة كيلو مترات عن مدينة الموصل ، فاسرع الوالي حسين باشا الجليلي بارسال ثلة من الخيالة يقدر عددها بثمانمائة مقاتل للتصدي لها ، وبعد قتال عنيف ، تمكنت هذه القوة من الانسحاب الى المدينة بالرغم من محاولة الفرس قطع طريق عودتها[٧٠] .

وبعد أربعة أيام وصل الشاه وقواته الى (يارمجه) ، فعسكر فيها ، وأمر بنصب المعابر عبر دجلة ، أعلى وأسفل الموصل ، وأرسل قسما من قواته الى الجانب الغربي من النهر ، كي يكملوا الالتفاف حول المدينة[٧١] . وفي الوقت نفسه بعث رسولا الى الباشا الجليلي محذرا اياه من بطشه ــ على حد زعمه ، فجاءه الجواب : « وما بيننا وبينك الا السيف واذا أرسلت سفيرا آخر نرجعه اليك بلا رأس »[٧٢] .

---

(٦٩) صورة من الخطاب في مجموع مخطوط ، محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ببغداد تحت رقم (٤٤) .

(٧٠) العمري ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٧١) قدوسي ، ص ٢٧٥ .

(٧٢) العمري ، ص ١٥٤ . وانظر : سليمان صائغ ، ص ٢٨٣ .

وقد بدأ الفرس ، بعد أن أحاطوا بالمدينـــة تماما ، باقامة المتـــاريس والاستحكامات ، حيث شيدوا في مواجهة أبراج سور المدينة ، اثنى عشـــر استحكاما تحتمي بها مدفعيتهم التي كانت تتكون من (١٦٠) مدفعا و (٢٣٠) مرمية هاون[٧٣] • وقد فتحت هذه المدافع نيرانها في الخامس والعشرين من أيلول ٦/١٧٤٣ شعبان ١١٥٦ هـ ولمدة ثمانية ايام بلياليهـــا دون توقف[٧٤] ، وتصدع السور في عدة أماكن ، ولكن المدافعين الذين كانوا مسلحين بالايمان والشجاعة ، كانوا دائما يتمكنون من اصلاح الثغرات قبل أن يجد الفرس سبيلا الى النفاذ خلالها[٧٥] • وتصف المصادر المحلية المقاومة الباسلة والرائعة التي أبداها أهالي الموصل ، وكيف ان قنابل المدفعية الفارسية التي (كانت نهـــارا تتساقط على الاسوار كالمطر ، وليلا تتناثر كنجوم من أديم السماء) لم تكن تؤثر في عزيمتهم وصمودهم[٧٦] • وهذا ما جعل نادر شاه ينقل مقر قيادته من (يارمجه) الى موقع قريب من المدينة ، ليشرف بنفسه على القتال ، فأمر بقصف مدفعي شديد لبرج (باش طابيه) في شمالي الموصل ، حيث مقر الحكومة ، أدى الى تهدم جانب من البرج ، لكن المجهودات العظيمة التي بذلت أحكمت البرج من جديد[٧٧] • وواجهت القوات الفارسية ضربات رادعة وقوية عندما حاولت النفاذ الى المدينة ، وتكبدت عددا كبيرا من القتلى[٧٨] •

---

(٧٣) قدوسي ، ص ٢٧٥ ، صائغ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٨ •

(٧٤) تقدر المصادر المحلية ماالقى على الموصل من قنابل في تلك المدة ، مابين أربعين ألف وخمسين ألف قنبلة ، السويدي ورقة ١٧٢ ؛ لانزا ، ص ٣٨ •

(٧٥) العمري ، ص ١٥٤ـ١٥٥

(٧٦) سليمان صائغ ، ص ٢٨٤ •

(٧٧) تقرير والي حلب باشا القازوقجي الذي رفعه ووالي الموصل الى الباب العالي بعد أنتهاء الحصار • (نص التقرير في ملاحق كتاب منية الادباء لمؤلفة ياسين العمري) •

(٧٨) محمد أمين العمري • ص ١٥٩ ؛ عماد عبدالسلام ، ص ١١٠ •

وبعد ان وجد نادر شاه ثبات اهل الموصل وصمودهم ، وتكبد قواته الكثير من الخسائر ونفاد مؤنه ، يئس من الاستيلاء على المدينة ، وأدرك عدم جدوى القتال ، فأضطر ان يطلب الصلح[٧٩] .

ويذكر نيبور ان حصار الموصل أظهر ان الفرس لا يحسنون فن المدفعية، وانهم لا يعرفون شيئا من فنون حصار القلاع[٨٠] .

وفي الثاني والعشرين من تشرين الأول ١٧٤٣/٤ رمضان ١١٥٦ هـ ، انسحب نادر شاه بقواته الى الوسط[٨١] بعد حصار للموصل دام اكثر من أربعين يوما[٨٢] ، تعرضت خلالها قرى الموصل الى التخريب بشكل ليس له نظير على يد القوات الفارسية ، كما نهبت وأحرقت اديرة عديدة[٨٣] .

ان صمود الموصل أفشل جميع مخططات الشاه التوسعية ، وجعله يدرك حجمه الحقيقي ، خاصة وان قواته التي كان قد بعثها الى بغداد والبصرة لم تتمكن أيضا من تحقيق أهدافها ، بالرغم من أعمال القتل والتدمير التي قامت بها في معظم قرى هاتين المدينتين ونواحيهما . لذلك عقد الشاه صلحا مع والي بغداد أحمد باشا ، الذي أشترط عليه الانسحاب الفوري من الاراضي العراقية[٨٤] .

---

(٧٩) السويدي ، ورقة ١٧٢ ، الكركوكلي ، ص ٥٠-٥١ ، ياسين العمري، زبدة الآثار الجلية ، ص ١٠٣ .

(٨٠) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمود الامين، بغداد ١٩٦٥ ، ص ١١٦ .

(٨١) لونكريك ، ص ١٨٦ وعن تاريخ الانسحاب، أنظر منهل الاولياء، ج١، ص ١٦٢ .

(٨٢) الصائغ ، ص ٢٨٨

(٨٣) عماد عبدالسلام ، ص ١١٠ .

(٨٤) السويدي ورقة ١٧٠ و ١٨٦ وأنظر : الكركوكلي ص ٥٠

وكانت البصرة ، خلال الحصار الفارسي للموصل ، تواجه عدوانا فارسيا، اذ قامت في الثامن والعشرين من آب ١٧٤٣/٧ رجب ١١٥٦ هـ ، قوات فارسية تبلغ اكثر من اثنى عشر ألف جندي بمهاجمتها وفرض الحصار عليها(٨٥) . وبعث قائدها بخطاب الى متسلم البصرة رستم أغا ، يطلب فيه تسليم المدينة . لكن المتسلم بعد ان تشاور مع أعيان أهل البصرة ، رفض هذا الطلب ، وجاء في الخطاب الذي بعثه الى قائد القوات الفارسية :

« ... وها نحن لملاقات من رامنا بسوء متأهبون ، وبالله تعالى على من بغي علينا مستعينون ، ولنصرة الذي يؤيده من يشاء منتظرون ، لا نرهب من الخوف لان عندنا من المقرر المعلوم ، انه لم يمت أحد قبل انقضاء أجله المحتوم، وان من فاز منا بالشهادة فقد نال السعادة، ورزق الحسنى وزيادة . وان النصر ليس بكثرة الجنود والعدد ، ولا بجمع الخيول المسومة والعدد ، بل كما قال الله تعالى في محكم القرآن العظيم « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » وان الله عز سلطانه قد أظهر كنز سره المصون بقوله تعالى « وقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ...» .

غير ان القائد الفارسي بعث بخطاب آخر يكرر فيه طلب تسليم المدينة لقواته المعتدية ، ولكن جاءه الرد الابي بتصميم أهالي البصرة على الذود عن مدينتهم مهما كان الثمن ، ومما ورد فيه :

---

(٨٥) Lorimer, J. : op. cit., vol. I, Part. IB, p. 1199.

(ولم يكن بنا ــ ولله الحمد ــ عجز ولا تعب ، ولا وهن ولا نصب ، وليس علينا قلة من « الجبخـانة » والذخائر ولا المقاتلة والعساكر ، ومعلومكم ان قتيلنا شهيد وقتيل من أعتدى علينا في عذاب شديد ، لقوله تعالى في كتابه المبين «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ، وتشهد لذلك قللكم التي ترمى من مدافعكم فهي علينا بردا وسلاما)(٨٦) .

لقد فشلت القوات الغازية في عدوانها على البصرة طيلة حقبة الحصار الذي ضربته على المدينة ، والذي دام اكثر من ثلاثة أشهر ، بالرغم من عدم تكافؤ الاسلحة بين الجانبين ، حتى أضطرت القوات الفارسية في آخر الامر الى الانسحاب في السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٧٤٣(٨٧) .

وخلال تلك العمليات العسكرية ، ارتكبت القوات الفارسية الكثير من المذابح الرهيبة في عدد من القرى الواقعة على ضفة شط العرب ، لا سيما في قرية (السبيليات) ، كما لم تنج مدينة الزبير من الغزو والتخريب والعبث بقبور الاموات وهدم بعض الاضرحة(٨٨) .

وقد أدى انشغال الدولة الفارسية بمشاكلها الداخلية ، على اثر مصرع نادر شاه في سنة ١٧٤٧ / ١١٦٠ هـ الذي كان ايذانا بانتشار الفوضى في جميع

---

(٨٦) صورة من خطابي القائد الفارسي والأجابة عليهما محفوظة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب في بغداد تحت رقم (٣٠٩) .

(٨٧) Lorimer, J. : op. cit., vol. I, Part. IB, p. 1199.

(٨٨) عماد عبدالسلام ، « صمود البصرة أثناء حصار نادر شاه سنة ١٧٤٣ م » مجلة كلية التربية ، العدد الاول ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ص ٢٨٦-٢٨٧ .

أرجاء البلاد ، حيث بدأت صراعات دموية على العرش[٨٩] ، الى أن يكون العراق في مأمن من الغزو الفارسي لمدة عشر سنوات • ثم برزت مرة أخرى فكرة غزو العراق في ذهن الفرس ، عندما تولى كريم خان الزند مقاليد الحكم في بلاد فارس من سنة ١٧٥٧ الى سنة ١٧٧٩ (١١٧١ ـ ١١٩٣هـ) • وقد شهدت المنطقة الشمالية الكثير من التجاوزات الفارسية ، حتى شن كريم خان عدوانا واسعا على العراق في سنة ١٧٧٥/١١٨٩ هـ ، وذلك عقب الهزيمة التي منيت بها قواته في تلك المنطقة ، واخذ قائدها أسيرا الى بغداد[٩٠] •

لقد كان الهجوم الفارسي من عدة جبهات ، فقد تحركت من شيراز لمهاجمة البصرة قوات تعدادها خمسون الفا ، يقودها صادق خان ـ شقيق كريم خان ـ ، اضافة الى اسطول يتكون من حوالي ثلاثين سفينة صغيرة[٩١] • وفي الوقت نفسه كانت هناك قوات أخرى يقدر عددها بعشرين ألفا ، قد عبرت حدود العراق الشمالية[٩٢] •

والحقيقة ان البصرة كانت هي المقصودة من هذا العدوان ، حيث ان كريم خان كان مغتاظا من النجاح التجاري الذي احرزته في تلك المرحلة ، وتضاءل الاهمية التجارية لبوشهر ، بعد ان اوقفت شركة الهند الشرقية الانكليزية نشاط

---

(٨٩) الكركوكلي ص ٩١ـ٩٢ ؛

John Malcolm.: The History of persia from the most Early period to the present Time, vol. II, (London, 1815), p. 54.

(٩٠) الكركوكلي ، ص ١٤٩ •

(٩١) A. Parsons. : Travels in Asia and Africa, (London, 1808), p. 162; Malcolm, J. : op. cit., vol. II, p. 79.

(٩٢) الكركوكلي، ص ١٥٠، محمد امين زكي ، تاريخ السليمانية وانحائها، ترجمة محمد جميل بندي الروزبياتي ، بغداد ١٩٥١ ، ص ٨٣ •

وكالتها التجارية فيها بسبب متاعبها مع الحكومة الفارسية مما جعل انهيـــار تجارتها محتوما[٩٣] • لذلك أراد كريم خان توجيه ضربة الى تجارة البصرة ، والقضاء على منافستها للموانيء الفارسية • يضاف الى ذلك اشغال القوات المسلحة الفارسية بعيدا عن الوطن ، بعد ان شعر بوجود تذمر بين صفوفهم[٩٤]، مستغلا أوضاع العراق آنذاك ، حيث كان لا يزال يعاني مما تركه وباء الطاعون الذي حل في بغداد سنة ١٧٧٣ من دمار اذ فتك بمعظم سكانها[٩٥] • كمـا إن الدولة العثمانية كانت منشغلة في حربها مع روسيا[٩٦] •

لقد أستطاعت البصرة الصمود في وجه الغزو الفارسي ، خلال مدة الحصار

---

(٩٣) Lorimer, J. : op. cit., vol. I, Part. IB, p. 1244; Samuel B. Milles. : The Countries and Tribes of the Persian Gulf, (London, 1966), p. 271;

أرنولد ولسون ، الخليج العربي ، ترجمة عبدالقادر يوسف ، الكويت ١٩٧٠ ، ص ٣٠٦ وكانت شركة الهند الشرقية الانكليزية قد أقامت وكالتها التجارية في بوشهر سنة ١٧٦٣ ، بعد غلق مكتبها التجاري في ميناء بندر عباس (كانت تسمى غومبرون ثم صارت تدعى بندر عباس منذ سنة ١٦٢٢) ، حيث تعرض لهجوم الفرنسيين سنة ١٧٥٩ • أنظر : جان جاك بيريبي ، الخليج العربي ، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٢١٥

(٩٤) لونكريك ، ص ٢١٥ ؛

Malcolm, J. : op. cit., vol. II, p. 79; Miles, S. : op. cit., p. 271.

(٩٥) الكوكوملي ، ص ١٣٩ •

(٩٦) فريد ، ص ١٦٠ •

التي دامت اكثر من عام (٧ نيسان ١٧٧٥ ــ١٥ نيسان ١٧٧٦)[٩٧] ، بالرغم من ضعف تحصيناتها وحاميتها[٩٨] • ويذكر الرحالة الانكليزي بارســـونز[٩٩] Parsons الذي كان شاهد عيان ، ان معنويات السكان كانت عالية ، وان معظمهم كان يقضي الليل في حراسة أسوار المدينة[١٠٠] • وقد عمل رجال عشائر

---

(٩٧)

J.A. Saldanha. : Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a Summary of Events, 1600-1800, (Calcutta, 1908), p. 298.

ويخطيء الكركوكلي حين يقول أن مدة الحصار كانت أربعة عشر شهراً (دوحة الوزراء : ص ١٥٤) •

(٩٨) لونكريك ، ص ٢٢٧ ؛ نورس ص ٢٥٥ •

(٩٩) كان في الأصل ضابطاً بحرياً ، وفي سنة ١٧٦٧ م عينته الشركة التركية وهي شركة أنكليزية كانت تعمل في التجارة في بلاد الدول العثمانية على شاكلة شركة الهند الانكليزية ، قنصلاً ووكيلا تجارياً لها في ميناء الاسكندرونة • غير أن بارسونز مالبث أن أستقال من منصبه هذا بعد أن قضى فيه ستة أعوام ثم بدأ في القيام برحلته الاستطلاعية التي جاءت به الى البصرة التي تصادف وجوده فيها حين قام الفرس بحصارها . (انظر مقدمة رحلته) .

(١٠٠) Parsons, A. : op. cit., pp. 172-3.

ويقول بارسونز أن عدد سكان البصرة في ذلك الوقت يتراوح بين ٨٠ـ٩٠ ألف نسمة ، وكان من بينهم حوالي ٥٠ ألف رجل وشاب قادر على حمل السـلاح ، ويذكر ان عدد سكان البصرة قبل أن يحل وباء الطاعون فيها سنة ١٧٧٣ كان يبلغ ٣٠٠ ألف نسمة •

اما مالكلوم فيقول ان عدد السكان كان أربعين الفاً ، وتشكل الحامية حوالي ربع السكان •

Malcolm, J. : op. cit., vol. II, p. 80.

المنتفق[١٠١] وبنو خالد[١٠٢] ، على تسكين قوافل المؤمن من الوصول اليها[١٠٣] ، كما شارك في التصدي للغزو الفارسي امام عمان أحمد بن سعيد[١٠٤] ، حيث تقدم باسطوله ورسا عند مدخل شط العرب ، بعد أن حطم السلسلة التي وضعها الفرس لعرقلة تقدمه ، وشتت سفنهم • وكان الاسطول العماني يتألف من السفينة المسماة « رحماني » التي كان على ظهرها الامام نفسه ، ومن تسع سفن أخرى شراعية ، وسبعين غلافة وترانكي ، اضافة الى خمسين داو[١٠٥] مليء بالرجال[١٠٦] •

والجدير بالذكر ان عمان كانت قوة بحرية مهمة في الخليج العربي استطاعت الحد من النفوذ الفارسي في المنطقة • وقد أشاد السلطان العثماني عبدالحميد الاول بالموقف العماني ، وأصدر فرمانا يقضي بدفع معونة مالية سنوية اليها ، ومنح التجار العمانيين حرية التجارة في العراق ، ورفع الرسوم التي كانت قد فرضت على البن العماني[١٠٧] •

---

(١٠١) تقع المنتفق في الجانب الغربي من مدينة البصرة • (سليمان فائق ، تاريخ المنتفق ، ص ٩) •

(١٠٢) كانت قبيلة بني خالد هي أقوى القبائل العربية في شرقي الجزيرة خلال العقود الخمسة الأولى من القرن الثامن عشر ، وكان سلطانها يمتد من الكويت شمالا حتى قطر جنوبا • (نورالدين عبدالله حميد السالمي ، تحفة الاعيان في سيرة أهل عمان ، جـ١ ، ص ١١) •

(١٠٣) لونكريك ، ص ٢٣٠ •

(١٠٤) يعد أحمد بن سعيد محرر عمان من الفرس ، وقد أخذ البيعة بالامامه سنة ١٧٤٩ وأمتد حكمه الى سنة ١٧٨٣ • ينظر صالح العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ـ١٨٢٠ ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٥٠

(١٠٥) الداو : مركب شراعي مألوف في شواطيء الجزيرة العربية وشرق أفريقيا •

(١٠٦) Parsons, A. : op. cit., p. 206; Miles, S. op. cit., p. 273.

(١٠٧) محمود علي الداود ، التطور السياسي الحديث لقضية عمان ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٢ ، ٢٦ وأنظر :
Miles, S. : op. cit., p. 274.

وبينما كانت البصرة تعاني من وطأة الغزو الفارسي ، كانت عشائر المنتفق تتصدى لهم ببسالة ، فقد دارت في سنة ١٧٧٧/١١٩١ هـ معركة عنيفة في مكان يقال له (الفضيلة) غرب نهر الفرات أسفرت عن اندحار الفرس وتكبدهم خسائر فادحة(١٠٨) • واذ ذاك قام الفرس في اوائل سنة ١٧٧٨ ، بشن هجوم عنيف على مدينة الزبير فاحرقوا بيوتها وذبحوا عددا كبيرا من أهلها ، ثم تقدموا الى قرى كويبده — على بعد عدة كيلو مترات من الزبير على طريق القوافل الى حلب — ففعلوا بها الشيء نفسه(١٠٩) •

وعند « أبي حلانة » على بعد سبعة وعشرين كيلو مترا من البصرة ، تصدى رجال عشائر المنتفق لقوة فارسية كبيرة(١١٠) كانت تتقدم في تلك المناطق ، ودار قتال ضار بين الطرفين أضاع فيه القائد الفارسي حياته وجيشه بأجمعه تقريبا(١١١) • ويعلق الكولونيل جيمس كابر Capper الذي كان موجودا

---

(١٠٨) عثمان بن سند ، مطالع السعود ، مخطوط ، ورقة ٢٧ •

(١٠٩)

James Capper. : Observations on the Passage to India, through Egypt, and a Cross the great desert, (London, 1783), pp. 81-2.

كان كابر قد مر بالزبير سنة ١٧٧٨ وكتب وصفا لما أصابها من الدمار •

(١١٠) يذكر الكركوكلي ان تعداد القوة الفارسية كان عشرة آلاف جندي (دوحة الوزراء ، ص ١٦٧)اما لونكريك فيقول أن القوة الفارسية كانت تتكون من ستة آلاف جندي ، ص ٣٢ •

(١١١) الكركوكلي ، ص ١٦٧ ، عثمان بن سند ، ورقة ٣١ ويذكر لونكريك ص ٢٣٣ ماوقع بين الجيش الفارسي والمنتفق بصورة مربكة ، فيورد هزيمة الفرس ومقتل قائدهم محمد علي خان في (أبي حلانة) على أنها أحداث معركة (الفضيلة) ، بينما معركة الفضيلة حدثت قبل أبي حلانة ، ولم تكن حوادثها كما سردها بل ان ماسرده من معلومات عن مقتل محمد علي خان وفناء الجيش الفارسي هو ماحدث في أبي حلانة في نهاية ١٧٧٨ •

في البصرة آنذاك[١١٢] ، على هذه الاحداث بقوله : « من هذه الحوادث نستطيع أن نفهم أن الفرس لم تكن لهم أية سيطرة خارج اسوار مدينة البصرة »[١١٣] •

وقد كان لابادة الجيش الفارسي في موقعة أبي حلانة أثـرها الكبير في كريم خان ، فما ان وصلت أخبارها اليه حتى أذهلته • ثم اضطرت القيـــادة الفارسية الى سحب قواتها من البصرة ، وأنشغلت بالحرب الاهلية التي نشبت في البلاد[١١٤] •

وخلال الفوضى التي مرت بها الدولة الفارســـية ، والتي أنتهت بتولي القاجار الحكم سنة ١٧٩٥/١٢١٠ هـ ، كان العراق في مأمن من العـــدوان الفارسي • ولكن أغا محمد خان الذي أسس الاسرة القاجارية ، كان يخـطط لغزو العراق[١١٥] ، الا ان انشغاله بتهدئة أوضاعه الداخلية ، وقيـــام روسيا بتهديد حدوده الشمالية[١١٦] ، حال دون تحقيق أطماعه التوسعية • كما ان فتح علي شاه الذي يخلفه في سنة ١٧٩٧/١٢١٢ هـ كان يهدد دائما بالعدوان على العراق[١١٧] الذي ظل هدفا للاطماع الفارسية •

---

(١١٢) كان كابر قد وصل البصرة من حلب في كانون الأول سنة ١٧٧٨ ، وتلقي يومياته بعض الضوء على الغزو الفارسي للبصرة •

(١١٣) Capper, J. : op. cit., p. 85.

(١١٤) الكركوكلي ، ص ١٦٨ ، Malcolm, J. : op. cit., vol. II, p. 81.

(١١٥) لونكريك ، ص ٢٩١ •

(١١٦) بروكلمان ، ص ٦٥٧ ؛
Lorimer, J. : op. cit., vol. I, Part. II, p. 1859.

(١١٧) لونكريك ، ص ٢٩١ •

مصـــادر الفصـــل

أولا : الوثائق

1- Hurewitz, J. C. : Diplomacy in the Near and Middle East, 2 vols, (New York, 1956).

2- Lorimer, J.G.: Gazetteer of the (Persian) Gulf, Oman, and Central Arabia, 2 Vols, (Calcutta, 1915).

3- Saldanha, J.A. : Selection from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the (Persian) Gulf, with a Summary of Events, 1600-1800, (Calcutta, 1908).

٤ ـ معاهدات عمومية مجموعة سي ، استانبول ١٢٩٤ .

٥ ـ مجموعة معاهدات دولت عليه ايران بادول خارجه ، طهران ١٣٢٦ .

ثانيا : المخطوطات

١ ـ ابن سند ، عثمان : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود .
مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد تحت رقم (٣٢٠) .

٢ ـ ابن سند ، عثمان : واقعات العجم .
مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم (١٤٩/م) .

٣ ـ السويدي ، عبدالرحمن : حديقة الزوراء في سيرة الوزراء .
مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم (٤١١/م) .

ثالثا : المصادر التركية

١ ـ الحلبي ، مصطفى نعيما : تاريخ نعيما ، جـ٣ ، استانبول ١٢٨١ .

٢ ـ راسم ، احمد : رسملي وخريطه لي عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، استانبول ١٣٣١ .

٣ ـ كاتب جلبي ، مصطفى عبدالله : فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، استانبول ١٢٨٥ .

٤ ـ محمد ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، استانبول ١٣٢٧

رابعا : المصادر الفارسية

١ ـ استرابادي ، ميرزا مهدي خان : جهانكشاي نادري ، تهران ١٣٣١ .

٢ ـ استرابادي ، ميرزا مهدي خان : دره نادره ، تهران ١٣٤١ .

٣ ـ قدوسي ، محمد حسين : نادرنامه ، خراسان ١٣٣٩ .

خامسا : المصادر العربية والمعربة

١ ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، خمسة أجزاء ، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي ، ط١ ، بيروت ١٩٤٩ .

٢ ـ بيريبي ، جان جاك : الخليج العربي ، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز ، بيروت ١٩٥٩ .

٣ ـ الخياط ، جعفر : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمه ، الجزء الاول ، بيروت ١٩٧١

٤ ـ الداود ، محمود علي : التطور السياسي الحديث لقضية عمان ، القاهرة ١٩٦٤ .

٥ ـ الراوي ، جابر : الحدود الدولية وشكلة الحدود العراقية الايرانية ، القاهرة ١٩٧٠ .

٦ ـ رؤوف ، عماد عبدالسلام : الموصل في العهد العثماني ، النجف الاشراف ١٩٧٥ .

٧ ـ زكي ، محمد أمين : تاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمه عن الكردية محمد جميل بندي الروز بياني ، بغداد ١٩٥١ .

٨ ـ السالمي ، نورالدين عبدالله بن حميد : تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ، القاهرة ١٩٦١ .

٩ ـ صائغ ، سليمان : تاريخ الموصل ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٢٣ .

١٠ ـ الضباط ، شاكر صابر : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، بغداد ١٩٦٦ .

١١ ـ العابد ، صالح : دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٨٢٠ ، بغداد ١٩٧٦ .

١٢ ـ العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٤ ، بغداد ١٩٤٩ .

١٣ ـ العمري ، ياسين : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوهجي ، الموصل 1951 .

١٤ ـ العمري ، ياسين : زبدة الاثار الجليه في الحوادث الارضية ، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف ، النجف ١٩٧٤ .

١٥ ـ العمري ، محمد أمين : منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوهجي ، جزءان ، الموصل ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ .

١٦ ـ فائق ، سليمان : تاريخ المنتفق ، ترجمة محمد خلوصي الناصري ، بغداد ١٩٦١

١٧ ـ فريدبك ، محمد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ١٨٩٦ .

١٨ ـ الكركوكلي ، رسول : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت ١٩٦٣ .

١٩ ـ كوك ، ريجارد : بغداد مدينة السلام ، ج٢ ، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل ، بغداد ١٩٦٧ .

٢٠ ـ لونكريك ، ستيفن هيمسلي : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٤ ، بغداد ١٩٦٨ .

٢١ ـ محمد أمين ، عبدالامير : القوى البحريـة في الخليج العربي في القـرن الثامن عشر ، بغداد ١٩٦٦ .

٢٢ ـ المنشيء البغدادي ، محمد بن احمد الحسيني : رحلة المنشيء البغدادي، ترجمة عباس العزاوي ، بغداد ١٩٤٨ .

٢٣ ـ نظمي زاده ، مرتض افندي : كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، النجف ١٩٧١ .

٢٤ ـ نوار ، عبدالعزيز : تاريخ الشعوب الاسلامية ، جـ١ ، بيروت ١٩٧٣

٢٥ ـ نورس ، علاء : العراق في العهد العثماني ، بغداد ١٩٧٩ .

٢٦ ـ نيبور ، كارستن : رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمود الامين ، بغداد ١٩٦٥ .

٢٧ ـ القهواتي ، حسين محمد : العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٧٥ .

٢٨ ـ ولسون ، أرنولد : الخليج العربي ، ترجمة عبدالقادر يوسف ، الكويت ١٩٧٠ .

٢٩ ـ لانزا ، دومينيكو : الموصل في القرن الثامن عشر ، مذكرات عـربها عن النص الايطالي القس روفائيل بير لويد ، الموصل ١٩٥٣ .

سادسا : الدوريات

١ ـ الجواهري ، عماد احمد : « العراق والتوسع الصفوي » ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد العشرون ، الكويت ١٩٧٩ .

٢ ـ رؤوف ، عماد عبدالسلام : « صمود البصرة أثناء حصار نادر شاه سنة ١٧٤٣م» ، مجلة كلية التربية ، العدد الاول ، بغداد ١٩٧٨

٣ ـ صائغيان ، ديرنرسيس : « صفحة منسية من تاريخ نادر شاه » ، مجلة لغة العرب ، الجزء الخامس ، السنة السابعة ، بغداد ١٩٢٩

٤ ـ العابد ، د . صالح محمد « حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد » مجلة المورد ، المجلد ٨ ، العدد ٤ ، بغداد ١٩٧٩ .

سابعا : المصادر الاوربيــة

1- Capper, James.: Observations on the passage to India, through Egypt, and a Cross the great desert, (London, 1783).

2- Creasy, Edward S. : History of the Ottoman Turks, (London, 1878).

3- Fraser, James. : The History of Nadir Shah, (London, 1742).

4- Hammer, Joseph V. : Histoire de L'Empire Ottoman, Vol. XIV, (14), (Paris, 1839).

5- Malcolm, John. : The History of Persia from the most Earley period to the present Time, 2 Vols, (London, 1815).

6- Miles, Samuel B. : The Cuontries and Tribes of the Persian Gulf, (London, 1966).

7- Parsons, A. : Travels in Asia and Africa, (London, 1808).

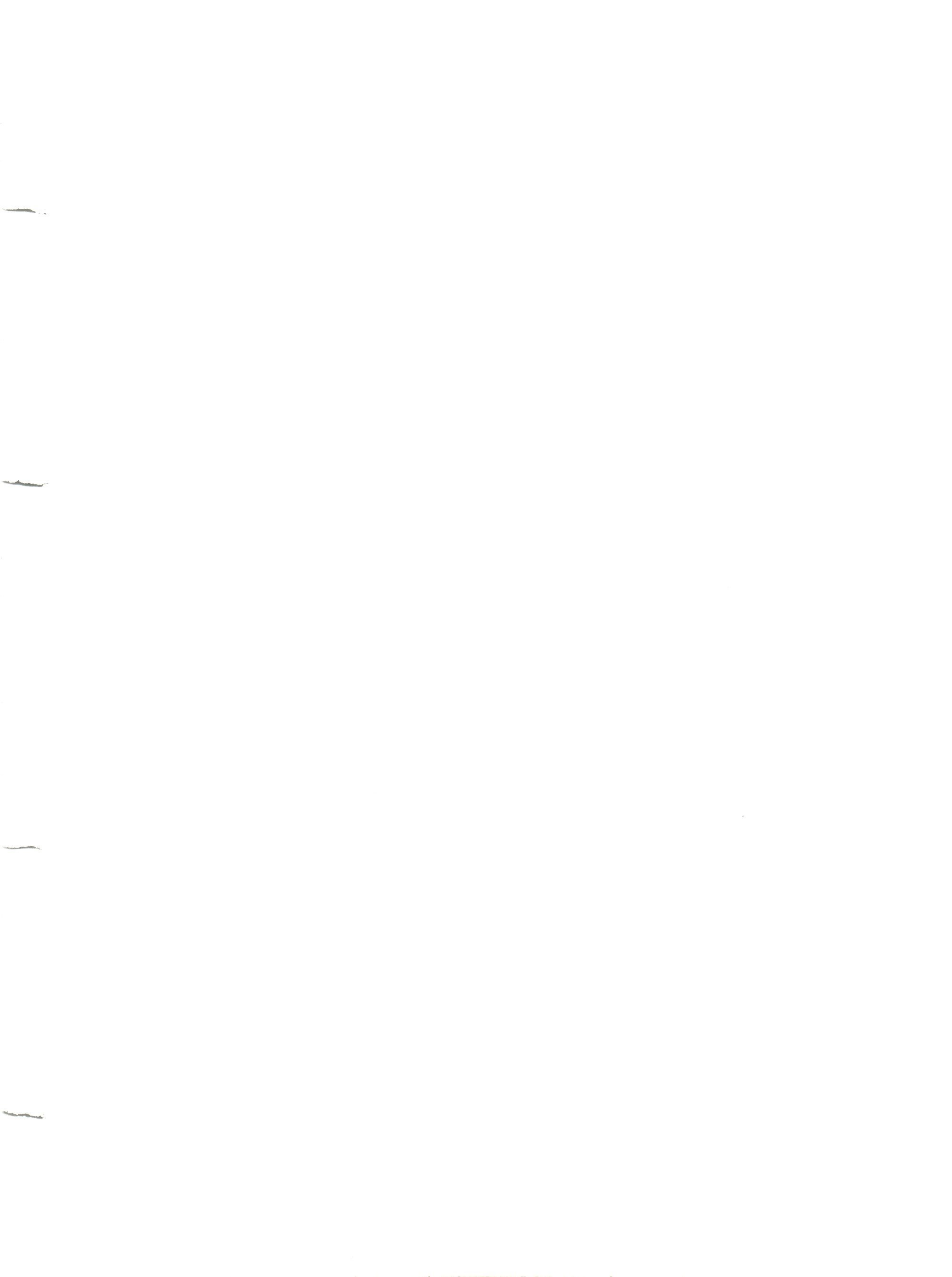
8- Shay, Mary L. : The Ottoman Empire from 1720 to 1734, (Urbana, 1944).

9- Sykes, Percy. : A History of Persia, 2 Vols, (London, 1969).

الفصل الثالث

الصراع العثماني - الفارسي وأثره في العراق حتى أواخر القرن التاسع عشر

الدكتور مهدي جواد حبيب
معهد الدراسات القومية والاشتراكية - الجامعة المستنصرية



تميز تاريخ الفرس القديم والحديث والمعاصر بسعي مستمر لطبع بلاد ايران بطابع قومي وأدى هذا السعي الى ممارسة حكام الفرس سياسة العدوان والغزو والتوسع على حساب الشعوب المجاورة ، وكانوا مصدر تهديد دائم للسلام والاستقرار في المنطقة ، جلبوا لها الويلات والدمار والتمزق . وفي التاريخ الحديث وطأوا بتصرفهم للقوى الاوربية الاستعمارية النفاذ الى هذه المنطقة الحيوية واستعباد شعوبها ونهب خيراتها واحلال الفقر والتخلف والتجزئة فيها . فقد شهد مطلع القرن التاسع عشر والسنوات التي تلته تصعيدا خطيرا للتدخل الفارسي في شؤون العراق الداخلية ، واتخذ هذا التدخل طرقا ومسالك مختلفة ، وافاد من عدم استقرار امراء الاسر الكردية كوسيلة من وسائل التصعيد للمشاكل . ولا شك ان الحكومات الفارسية المتعاقبة على اختلاف مناهجها ونزعاتها كانت تلتقي عند هدف الاستيلاء على العراق . واخذت تتربص به الدوائر مستغلة حالات الضعف والتفكك التي بدأت تشتد في جسم الدولة العثمانية ـ بسبب حروبها المستمرة ـ مع القوى الاوربية وتداعي مؤسستها العسكرية وتعقد مشاكلها الداخلية ـ فقامت بتشجيع حركات التمرد والعصيان داخل العراق ، واختلاق المبررات الواهية للتجاوز على المناطق الحدودية .

ومما شجع على تمادي الفرس في هذا النهج العدواني التوسعي عدم دقة وشمولية المعاهدات المعقودة بين الدولتين العثمانية والفارسية ، فالحدود لم تعين بدقة ، ولم تحدد بشكل موضوعي تبعية العشائر الجوالة في المناطق الحدودية ، كما كانت هناك ثغرات عديدة تسبب استمرارية النزاع وتجعل المعاهدات وقتية وغير مجدية . ومن جهة اخرى فأن البصرة وبغداد أصبحتا سوقين عامرين للتجارة الاوربية ـ الهندية ، فانجذب التجار الفرس الى العراق

في قوافل متصلة ، كما تقاطرت عليه قوافل الزوار القاصدين زيارة العتبات المقدسة او دفن رفات موتاهم هناك • ومن اجل خلق مبررات الضغط على العراق والتدخل في شؤونه احتجت السلطات الفارسية مرارا وتكرارا على ما زعمته من سوء معاملة يتعرض لها الزوار والتجار الفرس في العراق • وقد عبَّر أحد ساسة الفرس عن مشاعرهم بأمانة ازاء العراق والعراقيين بقوله : « وا أسفاه على وقوع تلك البلاد الجميلة بين ايدي ذلك الشعب ؟؟ لو انها كانت لنا (والله سيمنحنا اياها) فيا لها من بلد ستصير فردوسا »[1]

كانت السلطات الفارسية تساند كل أمير من الاسرة البابانية الكردية ، أو أي شخص آخر ، يعلن العصيان على حكومة بغداد وتمده بالمال والسلاح والعساكر ، ولم تكتف بذلك بل عمدت الى التدخل المباشر في المنطقة الكردية وكأنها جزء من أراضيها ، وطلبت مرارامن والي بغداد عزل هذا الامير ونصب ذاك ، واذا لمست تراخيا في اجابة مطالبها لجأت الى استخدام القوة • وكان ولاة بغداد ازاء هذه التدخلات العسكرية ووعورة المنطقة الشمالية يواجهون صعوبات جمة في ضبط المنطقة ، لا سيما انهم لم يتبعوا سياسة ثابتة في تطويع الامراء البابانيين وانما استخدموا اسلوب « فرق تسد » واستعملوا القوة معهم اذا وجدوا الى ذلك سبيلا[2] •

في اعقاب وفاة كريم الزندي (١٧٧٩) انتشرت الفوضى في بلاد فارس بسبب الصراع الدامي على السلطة الذي دار بين الامراء الفرس ، لذا سادت

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار : داود باشا والي بغداد ، القاهرة ـ ١٩٦٧ ، ص ١٥٩ـ١٦١ •

(٢) رسول حاوي (الكركوكلي) : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ١٧٧ـ١٩٣ • جودت ، تاريخ جودت ، استانبول ١٣٠١هـ ، جـ١٢ ، ص ٢٨١ـ٢٩٤ • علاء موسى كاظم نورس : حكم المماليك في العراق ، بغداد ١٩٧٥ ، ٢١٥ـ٢١٦ •

مرحلة من الهدوء النسبي في شمال العراق خلال العقدين الاخيرين من القرن الثامن عشر • ولكن فارس بدأت باطلاق التهديدات ضد العراق منذ ان تعرضت كربلاء لهجوم الوهابيين (٢١ نيسان ١٨٠٢) •

لقد استغل شاه ايران فتح علي (١٧٩٧ ــ ١٨٣٤) هذه الحادثة وأفصح عن نيته في الزحف على بغداد بحجة عجز واليها سليمان باشا (١٧٧٩ ــ ١٨٠٢) عن توفير الحماية للعتبات المقدسة ، فبعث له رسالة توبيخ وتهديد ضمنها طلبه من والي بغداد ارسال حملة انتقامية ضد الوهابيين ، وفي حالة تراخيه فأنه سيقوم بنفسه بالاقتصاص من الوهابيين ومن ثم الاستيلاء على بغداد وردع واليها المتخاذل • بيد ان سليمان باشا بعث اليه رسالة جوابية مطولة رد فيها بقوة على اتهاماته وافهمه ان مسألة حماية الاراضي العثمانية هي من صميم واجبات الجيش العثماني وحده[٣] •

بعد مدة وجيزة من حادثة كربلاء قدم الشاه فتح علي شكوى الى الجانب العثماني بسبب تجاوزات عشيرة البلباس الكردية المتنقلة في منطقة الحدود العراقية ــ الفارسية ، لذا سارع والي بغداد علي باشا (١٨٠٢ ــ ١٨٠٧) بتجريد حملة تأديبية على تلك العشيرة قادها بنفسه[٤] (١٨٠٣) • وفي ذاك الزمن ظهرت شخصية عبدالرحمن البابانى حاكم السليمانية (بابان) ، ذلك الامير الكردي الطموح الذي سعى الى ضم كوى وحرير تحت حكمه ، مستعينا

---

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء التركي (استانبول) : تصنيف الخط الهمايوني ، رقم الوثيقة A - 51272 من والي بغداد سليمان باشا الى شاه ايران فتح علي في ١٨ آب ١٨٠٢/١٨ ربيع الآخر ١٢١٧) • جودت : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٤٠ـ١٤١ •

(٤) الارشيف التركي : الخط الهمايوني : رقم 2088, 3820, 4130 جودت : المصدر السابق ج٧ ، ص ١٩٩ • عثمان بن سند البصري : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود ، أختصره أمين الحلواني ، القاهرة ــ ١٣٧١هـ ، ص ٧٨ •

بقدراته الذاتية حينا وبالحراب الفارسية في اغلب الاحيان ، وبذلك دفع الجانبين العراقي والفارسي الى سلسلة من المنازعات الساخنة التي لا طائل منها • وقد سنحت الفرصة لعبدالرحمن للبدء في تنفيذ خططه عندما كلفه والي بغداد بقمع الثورة العربية التي اندلعت في العراق ضد الحكام المماليك بقيادة آل الشاوي من زعماء عشائر العبيد • وكان الوالي علي باشا عندتوليه مقاليد الامور شعر بتحرك عربي ضده بقيادة محمد[٥] عبدالله الشاوي واخيه عبدالعزيز فأعدمهما بتهمة علاقتهما بحركة رئيس الانكشارية في بغداد المدعو اغا احمد ، وتحريض العشائر العربية والعمل على نشر الوهابية وحبس اولادهم الصغار (١٨٠٣) ، الا ان جاسم الابن الاكبر لمحمد الشاوي استطاع الفرار مع افراد عشيرته الى الخابور ، فأمر علي باشا تيمور باشا الكردي ــ والي الرقة ــ بتعقيبهم والقضاء عليهم ، ولكن محمد الشاوي وحزبه العربي الذي يضم عددا كبيرا من ابناء العشائر العربية المختلفة استطاع الحاق هزيمة ساحقة به ، وغنم العرب امواله واسلحته[٦] • واضطر والي بغداد الى ارسال حملة أخرى من العساكر الكردية

---

(٥) كان محمد في زمانه يعد من ملوك العرب ، ومن صفاته الكريمة النخوة والشجاعة ، قضى شطرا كبيرا من حياته في دواوين ولاة العراق كمستشار وسفير لهم ، وقد ضرب به المثل في اللطافة والادب وحسن المحاضرة وطلاقة اللسان ، وكان يشارك العلماء في كل فن ، ورث الرياسة عن ابيه وجده • أما اخوه عبدالعزيز فقد ارسله الوزير سليمان باشا الى الدرعيه سفيرا الى الوهابيين ، فأتهم بالتأثر بهم • أنظر : عثمان بن سند : المصدر السابق ، ص ٧٩ • وكان لآل الشاوي دور كبير في الثورة التي اندلعت في البصرة ضد المماليك سنة ١٧٨٧ بقيادة ثويني شيخ مشايخ المنتفق وحمود الحمد شيخ الخزاعل وسليمان الشاوي من رؤساء العبيد . انظر : علاء نورس : المصدر السابق ، ص ١٥٣ وما بعدها .

(٦) جودت ق المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٩٩ــ٢٠٠ • عثمان بن سند المصدر السابق ، ص ٧٩ • الارشيف التركي : الخط الهمايوني ، رقم 4299 (من والي بغداد علي باشا الى الصداره في ١٢ تشرين اول ١٨٠٣/٢٥ جمادي الاولى ١٢١٨ هـ) • يرى والي الرقه تيمور باشا الملي ان الشاويين اتفقوا مع الوهابيين للاستيلاء على بغداد وتحرير العراق من السيطرة العثمانية • أنظر وثيقة رقم 3802 (من تيمور باشا الى والي دياربكر في ٢٢ آب ١٨٠٣/٤

بقيادة متصرف السليمانية عبدالرحمن باشا وبمعيته محمد باشا متصرف لواء (سنجق) كوي . وهكذا يتضح اسلوب الولاة العثمانيين في اخماد ثورات ابناء العراق عن طريق ضرب العرب بالاكراد والاكراد بالعرب ، أو ضرب القبائل العربية الواحدة بالاخرى وكذلك بالنسبة الى الاكراد كما سيتضح لنا فيما بعد . بيد أن عبدالرحمن البابانى قام بتصفية غريمه متصرف كوي ـ طمعا في سلطته ـ قبل ان يتورط في حرب خاسرة مع العشائر العربية (١٨٠٤ـ١٨٠٥) لم يحصد عبدالرحمن من عمله الغادر هذا سوى غضب الوالي الذي قام بعزله عن متصرفية السليمانية وعين خالد بن احمد البابانى مكانه ، كما اختار سليمان بن ابراهيم باشا البابانى على كوي وحرير[٧] (١٨٠٥) .

ومن أجل تنفيذ التوجيهات الجديدة كان لا مناص من خروج الوالي الى كردستان لكسر شوكة عبدالرحمن باشا ، وبعد معركة طاحنة دارت رحاها قرب مضيق دربند الحقت هزيمة ساحقة بالباشا المعزول وفر الى سنه (داخل الاراضي الايرانية) لا يلوى على شيء[٨] . وقد ارسلت السلطات الفارسية عدة رسائل الى والي بغداد تطلب فيها اصدار العفو عن عبدالرحمن البابانى واعادته

جمادي الآخر ١٢١٨) . بينما ذكر لونكريك أن سبب اعدام محمد الشاوي « وهو اعظم عربي بين رعايا الباشوية ، الحسد والخوف ، ثم ذكرى الخيانة التي اتهم بها في الحملة التي سبقت على نجد عام ١٧٩٩/١٢١٤ هـ واسندت اليه فيها تهمة مخابرته العدو ومخامرته لهم » . أنظر ستيفن هيمسلي لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٥ ، ص ٢٦٩ .

(٧) جودت ق المصدر السابق ، ج٨ ، ص١٩ـ٢٠ . عثمان بن سند : المصدر السابق ، ص١٨ لونكريك : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(٨) الارشيف التركي : رق 6670 . جودت : المصدر السابق . عثمان بن سند : المصدر السابق لونكريك : المصدر السابق .

الى وظيفته السابقة[٩]، ولكن علي باشا بعث بدوره رسالة جوابية سطر فيها جرائم الشخص المذكور واعتذر عن تلبية مطلب السلطات الفارسية بخصوصه راجيا تسليمه الى سلطات بغداد[١٠] • وفي استانبول استدعى ناظر الخارجية العثماني المبعوث الايراني وابلغه بضرورة تسليم عبدالرحمن الى بغداد في الحال استنادا الى المعاهدة المعقودة بين الدولتين التي تنص احدى موادها على عدم قبول الفارين من كلا الطرفين • وكدليل على التزام الجانب العثماني بهذه المعاهدة ذكر ممثل الباب العالي المبعوث الايراني بقيام السلطات العثمانية بتسليم اللاجيء علي قلي خان الى السلطات الفارسية في وقت سابق[١١] •

وفي الوقت الذي بدا فيه ان الآراء التي اوردها والي بغداد وجدت قبولا لدى السلطات الفارسية توجه عبدالرحمن البابانى من مقر اقامته الى طهران منبها سلطاتها بانشغال والي بغداد بمكافحة النشاط الوهابي ، ولذا فأنه غير قادر على رد اي تكليف من جانبهم ووعد سلطات طهران بتقديم اموال مغرية لها في حالة نجاح مساعيها باعادته الى السليمانية • لقد أثار هذا العرض اطماع الفرس فكرروا طلبهم من والي بغداد حول اعادته وفي حالة عدم امتثال الوالي فانهم سوف يعيدونه بقوة السلاح[١٢] • ان هذا التدخل السافر والمخالف للمعاهدات المعقودة بين الطرفين الذي يعبر عن نهج الفرس التوسعي وانتهازيتهم،

---

(٩) الارشيف التركي : رقم E - 6703 ، (من محمد حسن خان الى والي بغداد علي باشا في ١٨٠٦/١٢٢١ هـ) • رقم : 46 (من الشاه فتح علي الى والي بغداد علي باشا) •

(١٠) المصدر السابق : رقم 6728 6667 (من والي بغداد علي باشا الى حاكم كرمانشاه مرزا محمد علي في ٣ و ١١ حزيران ١٨٠٦/١٦ و ٢٤ ربيع الاول ١٢٢١ هـ) •

(١١) المصدر السابق : رقم 6703 (من الباب العالي الى الحكومة الفارسية ١٨٠٦/١٢٢١ هـ) •

(١٢) المصدر السابق : رقم : C - 6671 (من متصرف السليمانية خالد باشا الى والي بغداد في ١١ حزيران ١٨٠٦/٢٤ ربيع الاخر ١٢٢١ هـ) •

اثار غضب والي بغداد فأعلن الحرب على فارس وخرج من بغداد على رأس قوة عسكرية تعدادها اثنا عشر ألف مقاتل من العرب والمماليك والاكراد . ومن الجدير بالذكر ان علي باشا اتخذ هذا الاجراء الخطير دون انتظار موافقة البا ب العالي بل اكتفى باشعاره بتطور الموقف ومبررات حملته على الفرس[١٣] .

خلال هذه المرحلة كان نابليون امبراطور فرنسا يقوم بمساع لدى الدولتين المسلمتين من أجل قيام حلف ثلاثي ضد روسيا ، وبهذا الخصوص ارسل الباب العالي مبعوثا الى طهران ، ومن جهة اخرى فأن الباب العالي كان يواجه مشاكل خارجية وداخلية معقدة ، لذا وجد ان قرار بغداد سوف يؤدي الى الحاق اضرار بالمصالح العليا للدولة العثمانية . وبناء على ذلك أمر الباب العالي والي بغداد بالعدول عن هذه الحملة ، اذا لم تكن قد وضعت موضع التنفيذ،وفي حالة المباشرة بها فيجب ايقافها فورا والعودة الى بغداد[١٤] . وحينما كان والي بغداد متوغلا في الاراضي الفارسية تسلم الامر المتعلق بايقاف الحركة واضطر الى العودة الى بغداد . لكن ذلك لم يثن حاكم كرمانشاه الذي ارسل عبدالرحمن البابا ني مع قوات فارسية لاحتلال السليمانية بحجة ان بعض العشائر العربية تجاوزت على الاراضي الفارسية وشنت الغارات عليها . لذا ارسل والي بغداد مددا عسكرية بقيادة معاونه (كتخداه) سليمان بك (الصغير) لمساعدة متصرف السليمانية خالد باشا . وفي المعركة التي دارت بين الطرفين بالقرب من الحدود تمكن الجيش الفارسي المتفوق في عدده من دحر قوات بغداد ووقع سليمان بك أسيرا لديهم . وبعد هذا النصر العسكري الذي احرزه عبدالرحمن البابا ني بمساعدة الغزاة الفرس لجأ الى الاسلوب الديبلوماسي من

---

(١٣) المصدر السابق : رقم 6671 (من والي بغداد علي باشا الى الصداره في ١٥ حزيران ٢٨/١٨٠٦ ربيع الاخر ١٢٢١ هـ) .

(١٤) المصدر السابق : رقم 6717 (من الباب العالي الى والي بغداد ١٢٢١/١٨٠٦ هـ) .

أجل فرض الامر الواقع على والي بغداد فأرسل اليه رسالة اعتذار طالبا العفو عنه ، فقام علي باشا بارسال الخلعة اليه كدليل على حصول العفو . وأعاد تعيينه متصرفا على السليمانية[١٥] .

ومن الجدير بالذكر ان قوات العشائر العربية قامت بدور فعال في مساندة قوات الوالي فأغارت على الاراضي الفارسية ، يذكر عثمان بن سند البصري ان حمود الثامر شيخ عشائر المنتفق ساهم في تخفيف العبء العسكري على قوات الوالي وأمن لها طرق العودة[١٦] . في حين نالت فارس في عهد عبدالرحمن البابانى لامارة السليمانية نفوذا كبيرا في شمال العراق حتى انها احتلت معظم المناطق المتنازع عليها من قبل الطرفين ، وبعض المناطق التابعة لولاية بغداد . فقد احتلت سنجق زهاو الذي يشمل درنه ودرتنك وقصر شيرين[١٧] . ومن ناحية اخرى فان الدعم العسكري الفارسي لعبدالرحمن البابانى دفعه الى الاستمرار في سياسة التمرد والعصيان على ولاة بغداد ، الامر الذي حمل الوالي سليمان الصغير (١٨٠٧ ــ ١٨١٠) على عزله سنة ١٨٠٨ ، ولكنه ما لبث ان اعاده الى منصبه خشية من قيام تدخل عسكري فارسي جديد[١٨] .

في سنة ١٨١١ بعث الباب العالي عبدالوهاب ياسيني على رأس سفارة الى الشاه فتح علي للمطالبة بعدم مساعدة واحتضان الباشوات البابانيين وخاصة عبدالرحمن ، والمطالبة ايضا بتقديم الدعم العسكري للجيش العثماني الذي يحارب الروس في جبهتي قارص واخسخه . وقد اشترط فتح علي مقابل ذلك

---

(١٥) المصدر السابق : رقم 6704 (من الشاهزاده محمد شفيع الى الباب العالي بتاريخ ١٨٠٦/١٢٢١ هـ) . وانظر : رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ــ٢٣٨ . جودت : المصدر السابق ، ج٨ ص ٤٣ــ٤٤ .

(١٦) مطالع السعود ، ص ٩٠ .

(١٨) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ــ٢٤٤ . علاء نورس : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

أخذ رأي السلطات الفارسية عند اختيار أمراء شهرزور ، (السليمانية ، كوي، حرير) وان يظهر ولاة بغداد مشاعر الود في تعـــاملهم مع دولة فارس[19] .
بهذه الصراحة عبر الفرس عن حقيقة موقفهم ، ففي الوقت الذي كان يجب ان تقف فيه الدولتان المسلمتان صفا واحدا وسدا منيعا بوجه روسيـــا نجد ان السلطات الفارسية وجدت الفرصة سانحة لتأكيد رغبتها في التدخل بشؤون العراق الداخلية . ففي أثناء وجود المبعوث العثماني في طهران وتبريز من أجل مواصلة اتصالاته بالمسؤولين الفرس طلب حاكم كرمانشاه المرزه محمد علي من والي بغداد عبدالله باشا (١٨١٠ ــ ١٨١٣) اعادة متصرف درنـــه وباجلان عبدالفتاح باشا الى منصبه ، وكان عبدالرحمن باشا قد عزله وعين مكانه ابن عمه خالد باشا متصرف السليمانية السابق . ولكن والي بغداد اعتذر عن تلبية هذا المطلب ، فأرسل اليه المرزا مبعوثا خاصا مع تأكيدات بضرورة اعادته . ونزولا عند اصرار حاكم كرمانشاه كتب والي بغداد الى عبدالرحمن باشـــا يحثه على اجراء اللازم ، ولكن الاخير اصر على الرفض . وكرد فعل على عدم اصغاء عبدالرحمن قام والي بغداد بعزل كافة الموظفين الذين تم تنسيبهم حسب رغبه عبدالرحمن تثمينا لدوره الفعال في القضـــاء على الوالي السابق سليمان الصغير . بيد ان الباشا الكردي المغرور ركب رأسه وعصى أوامر ســـيده والي بغداد كما ضرب بعرض الحائط اخطار حاكم كرمانشاه . ولو اكتفى بهذا الحد لهان الامر ، الا انه قام بمهاجمة بعض نواحي سنه التابعة لسلطات فارس، مما دفع الطرفين الى الاتفاق على ازالته وتنصيب حاكم زهاب خالد باشا على جميع شهرزور ، ولاجل ضمان هذا الاتفاق تحرك المرزا محمد علي على رأس قوة تقدر بستين ألف مقاتل نحو شهرزور وتوغل فيهـــا واقترب من كوي وحاصرها ، وكان عبدالرحمن قد انسحب من السليمانية وتحصن بقلعة كوي.

---

(١٩) جودت : المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٢٦٤ــ٢٦٥ .

بيد ان والي بغداد ارتاب من تقدم الجيش الفارسي وتوغله في عمق المنطقة الشمالية ، وخشى سوء العاقبة ، لذا أرسل اوامر سرية الى العشائر الكردية بلزوم مساعدة عبدالرحمن الذي يسارع بدوره ـ من أجل حسم النزاع لمصلحته ـ الى اطلاع المرزا محمد علي على هذا التغيير في موقف والي بغداد. فقام المرزا على الفور بمصالحة عبدالرحمن وأبقاه حاكما على كوي وحرير وأبقى خالدا في لواء بابان ، وعاد الى كرمانشاه ـ بعد محاصرته لكوى مدة خمسة عشر يوما ـ مكتفيا بأخذ هدايا لا تعادل ديات ما خسره من جنود[٢٠] .

بعد مرور ثلاثة اشهر على هذه الحال ، وبتحريض من بعض العناصر المقربة الى حاكم كرمانشاه ، عاود عبدالرحمن التمرد مرة اخرى وراح يتشبث في أمر الاستيلاء على السليمانية وطرد خالد باشا ، وعندما علم خالد بما يبيته له عبدالرحمن ترك السليمانية وهرب الى مندلي ، ومن هناك أعلم والي بغداد بالامر . وعلى الفور بدأ الوالي بتنظيم جيشه للقيام بحملة تأديبية على عبدالرحمن الذي لجأ الى اسلوب الديبلوماسية مرة اخرى ، فلم يدخل السليمانية وانما توقف بناحية سرجنار القريبة منها ، وأرسل الى الوالي يعلن مطاوعته ونظرا لحلول موسم الشتاء الذي يعيق الحركات العسكرية في شمال العراق ، والارتباك وضع الوالي في بغداد أضطر الى تأجيل مجابهته مع عبدالرحمن الى وقت آخر ، فعهد اليه بلواء السليمانية اضافة الى كوى وحرير أما خالد باشا فقد استدعاه الى بغداد وخصص له مقاطعة مندلجين مدارا لمعيشته[٢١] .

---

(٢٠) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ـ٢٥٤ . جودت : المصدر السابق ، ج٩ ٢٦٥ـ٢٦٦ ، ص علاء نورس : المصدر ، ص ٢١٩ـ٢٢١ .

(٢١) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ . جودت : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ١٠٣ـ١٠٤ .

لم تتوقف اطماع عبدالرحمن برغم امتداد سلطته الى جميع منطقة شهرزور كما لم يتوقف الدعم والتحريض الفارسي له برغم احتجاجات الباب العالي ووالي بغداد ٠ لذا ازداد عبدالرحمن اصرارا على مواصلة التمرد والعصيان وامتدت اعتداءاته الى القرويين في اطراف اربيل وكركوك ٠ وبحكم ارتباطه الوثيق بالسلطات الفارسية فأن وجوده على رأس السلطة في السليمانية وكوى وحرير بات مضرا بمصلحة وأمن العراق ٠ لذا قام الوالي بعزله واحال لواء السليمانية الى خالد باشا وكوى وحرير الى سليمان باشا ٠ ومن اجل تطبيق هذه الاوامر قاد الوالي بنفسه حملة عسكرية الى شمال العراق بمشاركة فعالة من فرسان العشائر العربية ، ودارت رحى معركة طاحنة بين الفريقين في قرية كفري انتهت بهزيمة الاكراد ومقتل عدد كبير من قادتهم ، فما كان من عبدالرحمن الا ان يولي الادبار لاعقا جراحه مع عشرين من فرسانه الى حصنه الامين كرمانشاه[٢٢] (١٨١٢) ٠

أرسل المرزا محمد علي مبعوثا الى والي بغداد مع كتاب يرجوه فيه اصدار العفو عن عبدالرحمن واعادته الى وظيفته ، ولكن الوالي اعاد المبعوث مع الاعتذار بعدم امكان الاستجابة لهذين المطلبين ، بينما عاد هو الى بغداد جذلا بنصره ٠ وآنذاك كان الشاه فتح علي غاضبا على العثمانيين لعقدهم صلحا مع روسيا دون استشارته ، فلما علم بهزيمة صنيعتهم البابانى امر حاكم كرمانشاه بقيادة حملة ضد العراق والهجوم على بغداد ، وفعلا تحركت قوات المرزا محمد علي وأخذت تتوغل داخل الاراضي العراقية حتى وصلت بلدة

---

(٢٢) الارشيف التركي : رقم الوثيقة C,D - 32310 (من والي بغداد عبدالله باشا الى الصداره ١٨١١/١٢٢٦هـ) ٠ رقم 17177 (من والي بغداد عبدالله باشا الى الصداره سنة ١٨١٢) ٠ رقم (من نظارت الخارجية الى السفير عبدالوهاب أفندي في ٢٣ تموز ١٨١٢/١٣ رقم رجب ١٢٢٧هـ) ٠ رسول حاوي : المصدر السابق ، ص٢٥٦ـ٢٥٧ ٠ جودت : المصدر السابق ج١٠ ، ص ١٠٣ـ١٠٤ ٠

(السعدية) وراحت توالي الاعتداءات على القرى وتقوم بأعمال السلب والنهب ، الامر الذي حمل الوالي على القيام بالاستعدادات اللازمة لصد المعتدين ، ولكن هروب سعيد بك ــ ابن سليمان باشا الكبير ــ من بغداد والتجاءه الى عشائر المنتفق فت في عضده واضطره الى مداراة الفرس والعمل على ارضائهم ، فعزل خالدا وسليمان ووجه بابان وكوى وحرير الى عبدالرحمن بعد العفو عنه ، ودفع مبلغا من المال الى المرزا ترضية له ، وعندئذ انسحب الفرس الى ديارهم[٢٣] . في حين ذكر المبعوث العثماني عبدالوهاب افندي ان السفير الانكليزي بطهران توسط لدى الشاه وتم ايقاف الهجوم وانسحاب القوات الفارسية[٢٤] .

وكانت الخارجية العثمانية قد اخطرت السلطات الفارسية وطلبت عدم قبول ومساعدة عبدالرحمن البابانى ، فاشترط الجانب الفارسي مقابل ذلك الاعتراف له بحق الاشراف على العتبات المقدسة . وقد رد الباب العالي هذا الشرط بشكل قاطع ، لانه ينتقص من سيادة الدولة العثمانية على أراضيها ويعد تدخلا سافرا في صميم شؤونها الداخلية[٢٥] .

واصل الباب العالي جهوده السلمية من أجل ايقاف التدخل الفارسي في شؤون العراق الداخلية ، فأرسل مبعوثا آخر الى طهران ، يدعى جلال‌الدين

(٢٣) الارشيف التركي : رقم 17221 (من والي بغداد عبدالله باشا الى الصداره ١٣ نيسان ١٨١٢/٣٠ ربيع الاخر ١٢٢٧) . رقم 16825 (**مطالعه** من الصداره الى السلطان ، ١٨١٢/١٢٢٧هـ) . رسول حاوي . المصدر السابق ص ٢٥٧ــ٢٥٨ . جودت : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ١٠٤ .

(٢٤) الارشيف التركي : رقم 17306 و(من السفير عبدالوهاب افندي الى رئيس الكتاب ٨ كانون اول ١٨١٢/٣ ذي الحجة ١٢٢٧ هـ) .

(٢٥) الارشيف التركي : رقم 14184 (من رئيس الكتاب (وزير الخارجية) الى المبعوث الفارسي المقيم في استانبول في ١٨ آب ١٨١٢/٩ شعبان ١٢٢٧ هـ) . رقم 17177 .

افندي ، لاسترداد الاموال المنهوبة في الهجوم الفارسي الاخير على الاراضي العراقية . وصل جلال الدين الى طهران بتاريخ ١٨ حزيران ١٨١٣ / ١٨ جمادى الآخره ١٢٢٨ هـ ، بعد مروره ببغداد ووقوفه على تفصيلات المشاكل القائمة بين البلدين .

وقابل الشاه فتح علي وسلمه رسالة السلطان ، ثم عقد مباحثات مع وكلائه حول مهمته ولكنه لم يحصل على نتيجة ، فطلب الذهاب الى تبريز للالتحاق بالمبعوث العثماني عبدالوهاب افندي الذي سبقه في المجيء الى ايران . وهناك أجرى جولة جديدة من المباحثات مع المسؤولين الفرس بمشاركة السفير عبدالوهاب افندي . وعندما طالب الوفد العثماني باسترداد الاموال المنهوبة أجاب الجانب الفارسي بأن اموالا واشياء كثيرة نهبت من الزوار الفرس في اراضي الدولة العثمانية ، ويمكن ان تعد منهوبات كلا الطرفين بحكم المستردة. وعند بحث المطلب العثماني بعدم تدخل الفرس بشؤون شهرزور والباشوات البابانيين كان رد الجانب الفارسي ان عشائر شهرزور تنتشر في الاراضي الفارسية كما تشتو العشائر الفارسية داخل اراضي شهرزور ولذا فأن عدم مشاركة الحكومة الفارسية في اختيار باشاوات بابان ، واختلاط هذه العشائر سوف يؤدي بالنتيجة الى النزاع بين الدولتين وتوتر العلاقات بينهما . كما طرح الجانب الفارسي امورا تتنافى وأبسط قواعد التعامل في العلاقات الدولية. ولكنهم وافقوا على عدم المطالبة بالمبلغ الذي تعهد بدفعه عبدالرحمن البابانى والبالغ عشرة آلاف تومان سنويا ، وتسليم السيد الخاص بذلك والمقدم من الباشا المذكور للسلطات الفارسية الى الجانب العثماني .

عاد السفير عبدالوهاب أفندي الى استانبول بينما مكث جلال الدين أفندي في تبريز لمواصلة اتصالاته وبحث المسائل المعلقة بين الدولتين ، وبسبب عدم حصوله على نتائج مرضية نظرا لمماطلة الفرس وتعنتهم قطع اتصالاته وعاد الى ارضروم حتى بدون اجراء مراسيم الوداع ، ومن هناك توجه الى استانبول.

وفي اعقاب عودة المبعوث المذكور سارعت السلطات الفارسية بارسال المرزا رضائي في سفارة الى استانبول لتقديم صورة كاملة عن المشاكل القائمة بين الدولتين من خلال وجهة النظر الفارسية[٢٦] .

وفي سنة ١٨١٣ تحركت العشائر العربية في العراق ، وعلى الخصوص الخزاعل وزبيد والظفير وشمر الجربا ، ضد سلطة المماليك وسيطرت على منطقة الفرات الاوسط وعلى الطرق المؤدية الى كربلاء والنجف والحلة حتى الكاظمية كما حوصرت كربلاء . ومما ضاعف من حرج الوالي سعيد باشا (١٨١٣ — ١٨١٦) وجود حوالي اربعين الف زائر فارسي بينهم زوجة الشاه في كربلاء ، وأخذت نداءات الاستغاثة تترى على بغداد فأصيب الوالي بالهلع ، واضطر الى الاستعانة بداود افندي الذي عزله قبل مدة فقام داود بفك الحصار عن المدينة وانقذ الزوار وأوصلهم سالمين الى بغداد[٢٧] . وبذلك قطع الطريق امام السلطات الفارسية ومنع استغلال هذه الحادثة للتدخل في شؤون العراق الداخلية ، فبقي الصراع الفارسي العثماني منحصرا في جبهة شهرزور . وعندما حاول الوالي سعيد باشا عزل متصرف بابان محمود باشا الذي خلف أباه عبدالرحمن بعد وفاته (١٨١٣) وسار على نهجه في الخضوع للتأثير الفارسي ، وتعيين اخيه عبدالله بك (الذي كان يقيم ببغداد) ليحل مكانه أرسل حاكم كرمانشاه امدادات عسكرية الى السليمانية تعدادها عشرة آلاف جندي لحماية محمود فأضطر عبدالله بك الى التراجع والعودة الى بغداد (١٨١٦) . لذلك سارع محمود البابائي الى مراسلة داود الذي هرب من بغداد ولجأ الى شهرزور ودعاه الى الاقامة في السليمانية ، وتعهد في رسالته عن استعداده لقطع علاقته مع الفرس في حالة تعيين وال على بغداد يتصف بالرشد والروية طبقا لتعبيره . وبناء على هذا الموقف ولمساعدته داود في صراعه مع سعيد وتوليه باشوية

---

(٢٦) جودت : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٢١–١٢٢ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

بغداد (١٨١٦ ـ ١٨٣١) اضاف داود الى سلطته كوي وحرير ونصحه بالابتعاد عن السلطات الفارسية • الا ان حاكم كرمانشاه هدده سرا بمغبة ابتعاده عن دائرة النفوذ الفارسي[٢٨] ، وذلك لان انصراف الامراء البابانيين عن الفرس معناه حرمان حاكم كرمانشاه واعيانها من الهدايا والاتاوات التي كانوا يستوفونها سنويا وقدرها (١٦٠٠) تومان باسم « بدل مرعى » • كما ان عدم خضوع البابانيين للفرس معناه اضعاف تأثيرهم في ولاة بغداد والتقليل من خطورة سياستهم العدوانية ازاء العراق[٢٩] • لذا قرر محمود الباباني ارسال اخيه حسن بك (امير قرهداغ) الى كرمانشاه كرهينة لدى حاكمها • وكرد على هذه السياسة المزدوجة بادر داود الى عزل محمود عن كوى وحرير وأرسل المهردار عناية الله لضبطهما (١٨١٨) • وسارع محمود ـ كعادة اسلافه عند تعرضهم للخطر ـ بطلب العون من المرزا محمد علي فأمده بعشرة آلاف مقاتل وارسل قوات اضافية لاحتلال بدره وجصان ومندلي • فقام داود بارسال القوات العراقية لصدها كما قرر ارسال نائبه أغا محمد الى السليمانية لطرد محمود الباباني منها •

ولكن حدث في هذه المدة (أواخر سنة ١٨١٨) تهديد داخلي خطير لسلطة الوالي حيث بدأت القوى العربية بالتجمع والعمل ضد داود مستغلين بذلك فرصة الاضطرابات الكردية للتخلص من الحكام المماليك • فقد اتحدت عشائر زبيد بقيادة شفلح الشلال والخزاعل والعبيد بزعامة جاسم الشاوي الذي يعد من ابرز الزعماء العرب المجاهدين من أجل استقلال العراق عن الحكم العثماني في العقود الاولى من القرن التاسع عشر • وأخذ أنصار الحزب العربي يتزايدون

---

(٢٨) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٢٦١ـ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢ •

(٢٩) محمد امين زكي : تاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمة محمد جميل الروزبياني ، بغداد ١٩٥١ ، ص ١٣٨ـ١٣٩ علاء نورس : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ •

بسرعة مذهلة ، وقاموا بالتعرض للسفن السائرة بين بغداد والبصرة بهدف اضعاف قدرات المماليك وعزلهم وزعزعة ثقة الناس بهم • ولما شعر صادق بك ـ شقيق الوالي السابق سعيد ـ بتعاظم قوتهم قرر أن يخوض المعمعة فتسلل ليلا من بغداد والتحق بهم ، كعادة اسلافه الاغوات المماليك في استخدام العشائر العربية والكردية سلما الى منصب الولاية(٣٠) •

ان هذه التطورات الجديدة أربكت داود الذي عرف بالحزم والبصيرة والزمته بتغيير خططه العسكرية ، فعدل عن ارسال الاغا محمد الى السليمانية ووجهه لضرب التجمعات العربية وارسل عبدالله الباباني الى السليمانية لطرد أخيه محمود منها • ونظرا لرواج اشاعات مفادها ان حاكم كرمانشاه المرزا محمد علي يتحرك نحو الحدود قرر الوالي داود ان يقود بنفسه القوات العراقية التي بدأت بالتحشد في كركوك • بيد ان داود فضل اعطاء تنازلات للفرس من أجل التفرغ لقمع الحركة العربية التي نشطت في وسط وجنوب العراق وامتدت الى منطقة الجزيرة ، بمساعدة العساكر الكردية • فقبل الوالي تكليف حاكم كرمانشاه القاضي بابقاء محمود الموالي للفرس على امارة بابان ، وتعيين أخيه عبدالله الموالي لبغداد على كوى وحرير على أن يصدر أمر تنسيبه من قبل محمود باشا • كما وافق داود على اعادة الامراء الاكراد الفارين •

وكان معتمد الدولة الفارسي قد ارسل مكتوبا الى داود باشا جاء فيه ان ولاة بغداد السابقين كانوا يبعثون برسائل تهنئة وتبريك الى الشاه او وكلائه بمناسبة حلول الاعياد او عند حصول الفتوحات مع القيام بمراسم الصداقة والمودة في حين امتنع داود عن اجراء هذه الطقوس منذ توليه مقاليد الامور ، مما أثار استياء حكومته • وبمناسبة نية الشاه زيارة السلطانية القريبة من حدود شهرزور ، ولتلافي ما فات حبذ معتمد الدولة ان يقوم والي بغداد باجراء

---

(٣٠) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ـ٢٨٤ • جودت : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٢ •

المراسم المعتادة وهدده بأوخم العواقب في حالة الامتناع عن ذلك[٣١] • ولاشك ان مضمون هذه الرسالة يكشف بوضوح مدى الرغبة الجامحة لدى حكام الفرس للتأثير في ولاة العراق والتدخل في شؤونهم الداخلية ، كما تكشف الحذر الشديد لداود باشا وعدم اطمئنانه الى نوايا الفرس ازاء العراق ، ومما يؤيد ذلك مبادرته لتقوية المناطق المتاخمة لبلاد فارس •

وعندما أعلم داود الباب العالي بتلك التطورات عدها بمثابة تغطية لعدوان مبيت على العراق ،لذا صدرت الاوامر الى والي الموصل ووالي حلب بالاستعداد ، والى ولاة أدنه ومرعش وسيواس بالتهيؤ من اجل الحركة الى الموصل وبغداد • ويبدو ان داود ارتاب من هذه الاستعدادات الواسعة وخشي ان تؤدي الى زوال حكمه ولذلك اختار التنازل للفرس وقدم لهم ما طلبوه من تأمينات ، ثم أسرع باعلام البا بالعالي بانتهاء الازمة وزوال الاسباب الموجبة للاجراءات الاستثنائية ، مشيرا بصورة غير مباشرة الى عدم حاجته للنجدات العسكرية المقرر ارسالها من الايالات العثمانية المجاورة[٣٢] •

وبخصوص المقاومة العربية لسلطة المماليك فقد استخدم داود سلاح التفرقة وضرب العشائر بعضها ببعض ، فقام بعزل شفلح الشلال عن مشيخة زبيد وعين مكانه علي البندر ، فانشقت العشيرة على نفسها واستعر الصراع بينهما قرب ناحية الخشخاشية مما اضطر شفلح وجاسم الشاوي وصادق بك على الانسحاب الى هور عفك ، واستمر داود في ملاحقتهم حتى تمكن من تشتيت قواهم[٣٣] •

---

(٣١) جودت : المصدر السابق ، ص ٣٢ـ٣٣ •

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ •

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٣١ـ٣٣ • للاطلاع على حركات العشائر العربية في عهد المماليك انظر : علاء نورس ؛ المصدر السابق ، ص ١٤٨ـ١٦٣ •

أما الحكومة الفارسية فلكي تواجه الاطماع الروسية المتزايدة في أراضيها كان لزاما عليها ان تتعاون مع الدولة العثمانية ، لذلك أوفدت محب علي خان[٣٤] الى استانبول ليعرض على الباب العالي رغبتها في التعاون المشترك لدرء الأخطار الخارجية ، وازالة أسباب الجفاء في العلاقات بين البلدين . وفي المباحثات التي جرت بين الجانبين اشار محب علي خان الى اطماع روسيا وضغوطها على ايران وتطرق الى ضرورة اتحاد الدولتين الاسلاميتين بوجه الاطماع الاوربية ، وطرح بعض الشكاوى الجزئية التي من بينها ما ادعاه من أخذ أموال زائدة من الحجاج الفرس في الحرمين وتحقير وضرب المتنعين منهم ، وانه نهب في السنة السابقة (١٨١٦) أربعون الف قرش من عم الشاه أثناء تأديته لمراسم الحج . وتعهد المبعوث الفارسي بايفاء المطالب العثمانية الي سبق ان تعهدت السلطات الفارسية بالاستجابة اليها والتي تتعلق بايقاف التدخل في المسألة الكردية واعادة الهاربين ومنع التجاوز على الحدود ، كما تعهد بدفع مصاريف اصلاح قلعة « صدماتش » الواقعة على حدود وان التي هدمت من قبل القوات الفارسية . وبناء على هذه التعهدات أرسل الباب العالي تنبيهات الى ولاة الايالات المتاخمة لايران بعدم قبول الفارين الفرس ومعاملة التجار الفرس كالتجار العثمانيين ومراعاة علاقات حسن الجوار[٣٥] .

الحرب الفارسية ـ العثمانية (١٨٢٠)

ان منهج الفرس التوسعي واسلوبهم في تنفيذه يرتبطان بمدى قوتهم الذاتية وطبيعة الظروف المحيطة بهم وبالدول المجاورة . فعندما ادرك الفرس استنزاف المؤسسة العسكرية العثمانية جزء كبيرا من طاقاتها القتالية والتعبوية

---

(٣٤) وصل محب علي خان الى استانبول اواخر شباط ١٨١٧ / اواسط ربيع الآخر ١٢٣٣ هـ وحمل معه فيلا ضخما هدية من الشاه الى السلطان العثماني . أنظر : جودت ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ٣٤ـ٣٥ .

بسبب حروبها المستمرة في اوربا الشرقية وفي اليونان اعتقدوا ان الوقت قد حان للانقضاض على اراضي الدولة العثمانية القريبة من أراضيهم وبسط سيطرتهم عليها . اما المبررات الظاهرية لاعلان الحرب واجتياح الحدود فهي جاهزة وكثيرة كمشكلات العشائر الكردية المتجولة والزوار والحجاج والتجار والامراء البابانيين والفارين .. الخ . وكان لابد لولي العهد الفارسي المرزا عباس الذي كان يتولى آنذاك حاكمية أذربيجان ، ان يختار السبب المباشر لاندلاع الحرب فوقع اختياره على عشيرة « حيدرانلي » التي انتقلت من الاراضي الفارسية واستقرت في سنجق موش التابع لايالة ارضروم[٣٦] .

وبناء على هذه التطورات اخذ والي بغداد يستعد لمواجهة التحديات الفارسية ، فقام بسحب القوات التي كان قد أرسلها الى ديار بني لام ووضعها على أهبة الاستعداد للتصدي للهجوم الفارسي المحتمل ، وجند حوالي خمسة آلاف شخص من المتطوعين . وقام حاكم كرمانشاه من ناحيته بتعيين عبدالله الباباني وكان محمود حاكما على السليمانية ، وجهزه بقوات تقدر بخمسة آلاف جندي وسيره لاحتلالها . ثم تحرك المرزا محمد علي بنفسه من كرمانشاه على رأس قوة كبيرة وتوغل في الاراضي العراقية ، فكتب داود الى قائد قواته في جبهة شهرزور الكتخدا محمد يحثه على الصمود وعلى عرقلة تقدم القوات الفارسية . ولكن قوات الكتخدا التي تجمعت في « باريكه » ـ شرقي طوزخرماتو ـ تعرضت للاوبئة والامراض وفقدت مقدرتها القتالية ، فهاجمها عبدالله الباباني وهزمها ، وهرب الكتخدا والتحق بمعسكر العدو[٣٧] .

واصلت قوات المرزا محمد علي تقدمها نحو كركوك وفرضت الحصار عليها ، ولكن الاهالي رفضوا الاستسلام وصمدوا بوجه العدو الفارسي الذي

---

(٣٦) المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣ـ٤ .

(٣٧) رسول خاوي : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ـ٢٩٨ . علاء نورس : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ـ٢٣٥ .

اضطر الى تركها محاصرة واتجه الى بغداد ، وتمركز في دلي عباس (المنصورية). وتقدمت بعض السرايا الفارسية الى هبهب التي تبعد عن بغداد حوالي ستة عشر كيلو مترا . أما داود فقد استطاع ان يعد العدة لخوض حرب دفاعية طويلة الامد . وكانت العشائر العربية التي توافدت على بغداد للدفاع عنها تقوم بأعمال الاستطلاع خارج الاسوار وتشاغل العدو وتغير على سراياه المتقدمة وتكبدها الخسائر . وبالقرب من الخالص هاجمت عشائر شمر الجربا بزعامة الشيخ صفوك الفارسي بعض الوحدات الفارسية التي جاءت للتموين واوقعت بهم خسائر فادحة بالارواح والذخائر[٣٨] . وقامت بعض القوات الفارسية بعمليات الاغارة والسلب والنهب ، فأغارت على عرب الخالص ونهبت منهم أربعين ألف رأس من الغنم وخربت بساتين الخالص وخراسان[٣٩] .

وعندما كانت القوات الفارسية تشدد حصارها على بغداد تفشت الكوليرا بين صفوفها واخذت تفتك بها ، وأصيب المرزا نفسه، فمال الى اجراء المفاوضات مع والي بغداد ، وتم الاتفاق على تعيين عبد البابانى حاكما على السليمانية ومحمد بن خالد البابانى على كوي وحرير ـ وهما مواليان لفارس ـ وان يعيد الفرس ما نهبوه من الخالص وينسحبوا الى بلادهم . وفي اثناء انسحاب القوات الفارسية المعتدية واقترابها من قرية قزانيه هجمت عليها القوات العشائرية العربية ، وقتلت منها عددا كبيرا، وغنمت الكثير من الخيل والسلاح والذخيرة. وعند وصول المرزا محمد علي الى موقع « مرجانيه » بالقرب من (السعدية) وافته المنية وذلك في تشرين اول ١٨٢١[٤٠] .

---

(٣٨) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٢٢٩ـ٣٠٠ . عثمان بن سند : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٣٩) عثمان بن سند : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٤٠) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٣٠٠ . عثمان بن سند : المصدر السابق ، ص ١٤٦ـ١٤٨ .

ولكن انسحاب الغزاة الفرس ووفاة حاكمهم المرزا محمد علي لم ينهيا الاطماع الفارسية في العراق ، فقد خلف المرزا محمد علي في حكم كرمانشان ابنه المرزا محمد حسين الذي سار على نهج أبيه التوسعي ، وقاد حملة جديدة لاحتلال بغداد منيت هي الاخرى بالفشل الذريع • وفي السليمانية ظل الصراع محتدما بين عبدالله ومحمود لحين حصول الاتفاق بين كرمانشاه وبغداد سنة ١٨٢٣ على تعيين محمود على السليمانية وعبدالله على كوى ، كما اتفق الجانبان الفارسي والعثماني ـ بعد ان انهكتهم الحرب والكوليرا ـ على اجراء مفاوضات صلح في ارضروم ، وقد تمخضت هذه المفاوضات عن عقد معاهدة صلح في ٢٨ تموز ١٨٢٣/١٩ ذي القعده ١٢٣٨هـ[٤١] •

اتخذ الجانبان العثماني والفارسي من المعاهدة المعقودة في١٧٤٦/ ١١٥٩هـ[٤٢] أساسا للمعاهدة الجديدة فيما يتعلق بالحدود والحجاج والتجار ورد الفارين وتخلية سبيل الاسرى واقامة شخص ما من الطرفين في اراضي الطرف الآخر • ومن الجدير بالذكر ان المادة الاولى من معاهدة ١٧٤٦ نصت على ان يكون خط الحدود المثبت في معاهدة ١٦٣٩[٤٣]/١٠٤٩ هـ أساسا لها •

اشترطت المعاهدة عدم القيام بأي عمل من شأنه خلق الكراهية والبغضاء بين الدولتين ، وان تعيد الحكومة الايرانية الى الدولة العثمانية ، في ظرف ستين يوما من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة جميع ما استولت عليه في السلم

---

(٤١) رسول حاوي : المصدر السابق ، ص ٣٠١ • جودت : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٢ـ١٣ ، ٨٨ ، ١٥٢ـ١٥٥ •

(٤٢) للاطلاع على مواد معاهدة ١٧٤٦ أنظر : رسول حاوي : المصدر السابق ص ٧٥ •

(٤٣) للاطلاع على نصوص من معاهدة ١٦٣٩ أنظر : الارشيف التركي : الخط الهمايوني ، وثيقة رقم 37147 - B, C, D, نعيما : روضات الحسين في خلاصة أخبار الخافقين ، استانبول ١٢٨١ ، ج٣ ، ص ٤٣٠ •

والحرب من قلاع وأراض وأقضية وقصبات وقرى عائدة لها • وتيمنا بعقد المعاهدة ، تتعهد الدولتان ان تطلق كل منهما سراح رعايا الدولة الاخرى ممن وقع في أسرها ، وتقوم كل دولة منهما بنفقات تسفير من لديها من الاسرى •

ونصت المادة الاولى على عدم جواز تدخل احدى الدولتين في الشؤون الداخلية الاخرى ، وبصفة خاصة لا يجوز تدخل الدولة الايرانيــة في تعيين الامراء الاكراد في العراق ، وأن لا تؤيد او تتبنى متصرفي ألوية كردستان السابقين واللاحقين • واذا ما عبرت احدى عشائر الدولتين الحدود الى الدولة الاخرى خلال هجراتها الصيفية او الشتوية فيجب فرض الرسوم الاعتيادية ، وفي حالة حصول نزاع أو دعاوى حول هذه الامور فعلى والي بغداد وولي عهد ايران مرزا عباس ان يتفقا على فض المنازعات حتى لا يترتب على ذلك سوء تفاهم بين الدولتين •

ونصت المادة الثانية بأن يراعى الحجاج والزوار الفرس كما يراعى سائر المسلمين وغيرهم في الدولة العثمانية ، وعدم استيفاء رسوم زائدة منهم • ويدفع الرعايا والتجار الفرس الضرائب نفسها التي يدفعها رعاياوتجار الدولة العثمانية وهي ٤٪ من قيمة التجارة ، ويمنح التاجر تذكرة تؤيد دفعه للضريبة القانونية المطلوبة منه للحيلولة دون استيفاء ضريبة مكررة منه في المناطق الاخرى التي قد ينتقل اليها •

وتقضي المادة الثالثة بتنظيم أحوال العشائر الجوالة في المناطق الحدودية • وجاء في المادة الرابعة امتناع قبول الهاربين من أبناء الدولتين • ونصت المادة الخامسة على اعادة أموال التجار الايرانيين التي حجزت او صودرت في الولايات العثمانية الى اصحابها ونظمت المادة السادسة طريقة حصول الوارث الايراني على التركات التي يخلفها الايرانيون المتوفون في البلاد العثمانية• ونصت المادة السابعة والاخيرة على اصول التمثيل الدبلوماسي ، وايفاد السفراء الى عاصمة الدولتين وتبديلهما كل ثلاث سنوات •

وانتهت صياغة المعاهدة بالخاتمة التي جاء فيها صرف النظر عن المطالبة بتعويضات الخسائر الحربية وغيرها ، واسلوب مبادلة هذه المعاهدة ، والتشدد في التمسك بها ، وعدم فسح المجال للخصومات وازالة الخلافات بين الدولتين بالتعاون مع سفيريهما(٤٤) .

ان معاهدة ارضروم الاولى لم تكن وليدة دراسة شاملة للمشاكل المعقدة التي ادت الى نشوب سلسلة الحروب بين الدولتين ، لذا لم تأت بشيء جديد يساعد على حسم المنازعات القائمة بينهما ، خاصة ان اطماع ايران التوسعية لا تحول دونها أية معاهدة . وكان من الطبيعي ان تستعر من جديد الخلافات بين بغداد وكرمانشاه بشأن المشكلة الكردية والمسائل الحدودية . فلقد بقيت القوات الفارسية تحتل لواء زهاو مع ان هذه المعاهدة اعترفت بتبعيته للدولة العثمانية(٤٥) . ولا غرو في ذلك فقد وصف اسعد افندي المبعوث العثماني الى ايران (١٨٢٤ ــ ١٨٢٥) السياسة الايرانية بالانتهازية وعدم احترام المواثيق والاعراف الدولية وقال بالحرف الواحد ان سداها ولحمتها « الكذب والحيل والمناورة »(٤٦) .

---

(٤٤) انظر نص المعاهدة في تاريخ جودت ، ج ١٢ ، ص ٢٦٩ــ٢٧٤ . شاكر صابر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٥٦ــ٦٠ علاء نورس : المصدر السابق ص ٢٤٢ــ٢٤٣ .

Aitchison : A Collection of Treatties, Calcutta 1929, XII, P. 19-22.

Hurewitz : Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 2, P. 90-92.

(٤٥) عبدالعزيز سليمان نوار : داود باشا ، ص ١٩٤ــ١٨٥ . تاريخ العراق ، ص ٣٢٩ .

(٤٦) أنظر نص تقرير اسعد افندي في تاريخ جودت ، ج١٢ ، ص ٢٨١ــ٢٩٤ .

يذكر المؤرخ التركي جودت[٤٧] ان ايران استغلت انشغال الدولة العثمانية بالمسألة اليونانية وبالصراع مع روسيا فأملت أن تضم جزءا من اراضي العراق اليها ولذا لم تنسحب من زهاب والسليمانية وكوي وحرير ولم تكف عن المطالبة بحقوق مالية مزعومة ٠

حملة علي رضا باشا على المحمرة[٤٨] (١٨٣٧)

أصبحت عشائر كعب تابعة للادارة العثمانية منذ معاهدة ١٦٣٩ المعقودة بين السلطان مراد الرابع والشاه صفي ، وكانت هذه العشائر تدفع الى خزينـة

---

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٣-١٢ ، ١٥٦ ٠

(٤٨) تقع المحمرة عند مصب نهر دجيل (كارون) في شط العرب ، شيدها سنة ١٨١٢ يوسف بن مرداو بن علي بن كاسب الكعبي على بقايا مدينة خاراكس التي كانت قائمة هناك قبل ستة قرون ٠ وبعد احتلال الفرس لعربستان أبدلوا اسم المحمرة الى (خرمشهر) ٠ بعد وفاة يوسف تولى اخوه الحاج جابر رئاسة امارة المحمرة (١٨٢٩ - ١٨٨١) ٠ كان جابر ذا موهبة فريدة وهمة عالية ، وامتاز بجرأته السياسية ومقدرته في استمالة الشاه الفارسي والوالي العثماني في بغداد في وقت واحد ٠ وعندما تقرر ضم المحمرة الى الدولة الفارسية بمقتضى معاهدة ارضروم الثانية (١٨٤٧) لم يعترف الحاج جابر بذلك ، وبقي يمارس حكمه مستقلا عن فارس وعن الدولة العثمانية ، لهذا وجد ناصرالديـن شـاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) ان من مصلحة بلاده اعلان استقلال عربستان تحت امارة الحاج جابر للتخلص من عبء ادارتها الاسمية والاعتراف بالامر الواقع فاصدر في اواخر عام ١٨٥٧ مرسوما ملكيا تضمن ما يأتي :

١ - يسند حكم امارة المحمرة الى الحاج جابر بن مرداو ولابنائه من بعده ٠

٢ - تبقى الكمارك تحت ادارة السلطات الفارسية ويديرها أمير المحمرة نيابة عنها ٠

٣ - يقيم في المحمرة موظف يمثل السلطات الفارسية لدى أمير المحمرة وتنحصر مهمته بالامور التجارية فقط ٠

٤ - يتعهد أمير المحمرة بنجدة الدولة الفارسية بجيشه في حالة اشتباكها بحرب مع دولة أخرى ٠

٥ - يتعهد الشاه بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للامارة ٠

البصرة ضريبة سنوية باسم « ميري قلميه » وذلك مقابل استعمال المراعي الكائنة في الاراضي العثمانية • كما توجد قيود في سجلات البصرة الرسمية – ومنها قيود المحاكم الشرعية – تثبت ان كردلان القريبة من المحمرة ومقاطعات أخرى في الضفة الشرقية لشط العرب كانت تدفع الميري الى خزينة البصرة • وكان شيخ كعب حتى سنة ١٧٤٠ يؤدي الضريبة السنوية ، ويتسلم الهدية المرسلة من والي بغداد • ولكن سلطة والي بغداد على البصرة وحواليها كانت تتسم بالضعف والفتور ، كما ان اجراءات الباب العالي واهتماماته في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية لم تكن ذات تأثير في مجرى الاحداث مما شجع الفرس على ملء الفراغ والتمادي في سياستهم العدوانية والتوسع غربا باتجاه الحدود الشرقية للوطن العربي •

وهكذا استقر الامر للحاج جابر ، ونجح في اقامة علاقات ودية مع شيوخ المناطق المجاورة في كل من العراق والكويت ، ووضع الاسس اللازمة لاقامة مشاريع الملاحة في شط العرب ، كما كان يعنى بتوسيع نهر دجيل (كارون) وجعله صالحا للملاحة من مصبه في شط العرب الى ميناء تستر في الوقت الذي رفض عروضا بريطانية لفتح نهر كارون للملاحة التجارية البريطانية •

بعد وفاة الحاج جابر تولى شؤون الامارة ابنه الشيخ مزعل (١٨٨١ – ١٨٩٧) الذي امتاز عهده باندفاع انكلترا نحو التغلغل في عربستان والسعي الى استثمار المناطق الغنية اقتصاديا والواقعة على جانبي حوض كارون • وفي عام ١٨٨٨ تم افتتاح نهر دجيل (كارون) للملاحة التجارية الدولية ، وحصلت شركة لنج البريطانية على امتياز بهذا الشأن •

وفي عهد الشيخ خزعل (١٨٩٧ – ١٩٢٥) تفجر النفط في عربستان وتطورت مصالح انكلترا في الامارة • واصبح للامارة دور مهم في رسم سياسة المنطقة • وكان الشيخ خزعل واحدا من أشهر الذين عرفهم الخليج العربي في تاريخه الحديث • وقد أنهت حكمه مؤامرة فارسية – انكليزية • لمزيد من المعلومات انظر : مصطفى عبدالقادر النجار : التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ، (القاهرة ١٩٧١) ، ص ٨٩ وما بعدها • علي نعمة الحلو : الاحواز « عربستان » ، بغداد ١٩٦٩ ، جـ١ ، ص ٦١ ، جـ٢ ، ص ١٢–١٣ • جـ٣ ، ص ١٢ وما بعدها •

ومن جهة أخرى فان قسما آخر من عشائر كعب (البو ناصر) سكنوا الفلاحية (الدورق) ، وبما ان المراعي والاراضي الزراعية التي استخدمتها هذه العشائر ادعتها فارس ، لذا طالبت السلطات الفارسية عشائر كعب تقديم ضريبة سنوية مقابل ذلك باسم « بدل أعشار » • بيد ان عشائر كعب كانت تمتنع عن تأدية تلك الضريبة لعدم مشروعيتها ، مما أدى الى النزاع بين الطرفين بين آونة وأخرى[٤٩] • وبسبب هذه الملابسات ، ولعدم وضوح خط الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية ، ولتعذر اتفاقهما حول مشكلة الحدود اتفاقا نهائيا ، يضاف الى ذلك تدخل الدول الاوربية في شؤون المنطقة بحثا عن مصالح لها فيها ، برزت قوة عشائر كعب بين الدولتين المذكورتين ونزوعها الى الاستقلال الفعلي مستفيدة من التناقضات المحلية والدولية •

وعندما تولى علي رضا باشا (١٨٣١ — ١٨٤٢) مسؤولياته الادارية في أيالة بغداد وملحقاتها بذل جهودا كبيرة في التصدي لحل المشكلات السياسية والادارية والاقتصادية التي واجهته ، والتي كان في مقدمتها مسألة تأكيد السيادة العثمانية في شمال العراق (المنطقة الكردية) وجنوبه — بما في ذلك الضفة الشرقية لشط العرب • فقد طلب علي رضا باشا من شيوخ كعب الاعلان مجددا عن طاعتهم وولائهم للسلطان العثماني ، وأخذ يلوح باستخدام القوة معهم • وكرد فعل لهذه السياسة هدده شيوخ كعب بأنهم في حالة استمرار ضغطه عليهم سيضطرون الى طلب العون من السلطات الفارسية التي كانت تتحين الفرص للسيطرة على جميع عربستان • وعمل الفرس بدورهم على اثارة الخلافات والمنازعات بين مشايخ كعب وحلفائهم من القبائل العربية • وهكذا

---

(٤٩) الارشيف التركي : الخط الهمايوني ، رقم الوثيقة C - 20881 (من والي بغداد علي رضا باشا الى الصدارة في ٣ أيلول ١٨٣٦ / ذي القعدة ١٢٥٢هـ) • 37147 - B. 36627 خورشيد باشا ، سياحة نامه حدود عجم ، ص ١١—١٢ ، ٣١—٣٤ • درويش باشا : تحديد حدود ايرانية ، استانبول ١٢٨٧ ص٣ ، ٥—٩ •

يبدو ان طبيعة الظروف التي واجهتها بلاد الاحواز « عربستان » أملت على الامراء العرب اللجوء الى سياسة التلويح بالولاء الرمزي المؤقت مع كل من العثمانيين والفرس وذلك من أجل ايجاد حالة توازن دائمة للمحافظة على استقلالهم الفعلي والعملي عن الادارتين العثمانية والفارسية معا •

ومن المفيد الاشارة الى أن انكلترا كانت قد ارسلت بعثة استطلاعية بقيادة الكولونيل جزني (١٨٣٤–١٨٣٦) لدراسة مدى صلاحية أنها دجلة والفرات والدجيل (الكارون) للملاحة البخارية ، وقد ثبت لدى هذه البعثة صلاحية نهر دجيل (الكارون) للملاحة البخارية[٥٠] • وجرى الاتصال بالشيخ جابر أمير المحمرة للحصول على موافقته باستخدام دجيل (الكارون) للملاحة البخارية الانكليزية ، ولكن الشيخ المذكور رفض هذا المشروع خشية ان تكون بلاده ميدانا للنفوذ والمنافسة الاجنبية • ورغم ذلك فان العلاقات مع ممثلي انكلترا في الخليج العربي ظلت ودية ، حتى ان امير الفلاحية الشيخ ثامر منح تسهيلا تعسكرية للقوات الانكليزية في حملتها على فارس سنة ١٨٣٧[٥١] •

ومن جهة أخرى كان قنصل فرنسا المتجول فونتانييه يراقب تحركات الانكليز في منطقة الخليج العربي ، وقد أبدى حذره من الاتصالات المباشرة الجارية بين القنصل الانكليزي في بوشهر وشيوخ كعب • وفي اعتقاده ان نشاط الانكليز في أنهار العراق وسياستهم الاستعمارية في الخليج العربي التي

---

(٥٠) للاطلاع على معلومات مفصلة عن بعثة جزني انظر :

Mehdi Jawad Habib : Bagdaddaaki Kolemen Hakimiyetinin Tesis ve Kaldirilmas ile Ali Riza Pasanin Valiligi (1749-1842), Istanbul 1979, S. 301-323.

وهي اطروحة دكتوراه قدمها الباحث الى كلية الاداب •
بجامعة استانبول باللغة التركية الحديثة ، توجد نسخة منها بمكتبة المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية •

(٥١) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ _ ٢٥٩ •

تعززت باحتلالهم جزيرة خرج ذات الاهمية الاستراتيجية الكبيرة ماهي الا مقدمات لاحتلال العراق في زمن لاحق • ومن أجل تحجيم النفوذ الانكليزي قام فونتانيية بتحريض علي رضا باشا على الاستيلاء على المحمرة ، كما قام القنصل الانكليزي في بغداد تايلور بتحريض عشائر العراق الجنوبي على الثورة ضد والي بغداد ومنع دخوله الى اراضيهم في أثناء حملته على المحمرة • وتشير تقارير القنصل المذكور الى حدوث اتصالات بينه وبين شيوخ عشائر كعب والمنتفق ، والى ان هؤلاء المشايخ كلفوه بالتوسط لدى والي بغداد للعدول عن حملته مقابل تعهدهم بدفع (٣٠٠ر٠٠٠) قرش الى خزينة بغداد سنوياً[٥٢] • ولكن علي رضا رفض هذه الوساطة لانه كان مصمما على تنفيذ حملته ، فالمسألة بالنسبة اليه لاتتعلق بخزينة بغداد فحسب وانما بالمحافظة على السيادة العثمانية في القسم الجنوبي من العراق •

ارسل علي رضا باشا تقريرا الى الباب العالي بتاريخ ٣ ايلول ١٨٣٦/٢١ ذي القعدة ١٢٥٢ هـ أشار فيه الى تزايد سلطة ونفوذ عشائر كعب في عربستان منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر • وبما ان بعض المراعي والاراضي الزراعية التي تستخدمها هذه العشائر تدعمها ايران لذا كانت الحكومة الفارسية تطالب عشائر كعب بتقديم ضريبة سنوية مقابل حق استغلال الارض أطلقت عليها اسم « بدل أعشار » • ولكن عشائر كعب كانت تتذرع بشتى الاعذار والحجج وتمتنع عن تأدية تلك الضريبة مما يؤدي الى النزاع بين الطرفين • ومن جهة أخرى فأن اغلب أملاك هذه القبائل وبساتينها ونخيلها هي من أراضي البصرة ، وبرغم كونهم أصلا من رعايا البصرة فأن متسلمي البصرة كانوا يعاملونهم بلين ومداراة مما دفعهم الى التمرد على سلطة البصرة العثمانية ، وقاموا بتشييد كثير من القلاع التي يقال لكل واحدة منها « كوت » وامتلكوا أربع سفن حربية كبيرة •

---

(٥٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ •

وكان علي رضا باشا قد جرد جملة تأديبية على عشائر الخزاعل والحسكة في عام ١٨٣٥ وعلى الاكراد في السنة التالية مما دفع الكعبيين الى التفكير بأن الحملة القادمة لوالي بغداد ستكون موجهة الى ديارهم لامحالة ، لذلك قاموا بالاستعداد للمقاومة ، واتصلوا بالسلطات الفارسية عارضين عليها دفع مبلغ (٦٠ ألف) شامي لقاء مساعدتهم والوقوف الى جانبهم في حالة هجوم العثمانيين على أراضيهم . وقد اورد هذه المعلومات متسلم البصرة اغا أحمد في رسالة بعث بها الى علي ، ولقطع دابر الاشاعات التي راجت في منطقة البصرة حول اعتزام الوالي التوجه الى المحمرة بادر الوالي بأرسال رد الى المتسلم يذكره فيه بودية العلاقات العثمانية ـ الفارسية طالبا منه ترك الاوهام والاهتمام بشؤون ادارته . وخلال هذه المدة ورد تقرير الى قنصل بريطانيا في بغداد من أحد الضباط الانكليز العاملين بالجيش الفارسي يذكر فيه ان شاه الفرس بعد عودته خائبا من تركستان يعتزم التوجه الى ديار كعب للسيطرة عليها ، وليس بالمستبعد ان يفضي القنصل بهذا السر الى الوالي.

ويبدو لوالي بغداد ان هدف الفرس الاساسي من الهجوم على عربستان ليس لغرض جمع أموال الميري كما يزعمون ، وانما من أجل منع الجيش العثماني من تأكيد السيادة العثمانية على تلك الديار . واضاف الى ذلك قوله انه يخشى من سيطرة الفرس على المحمرة وأطراف البصرة المجاورة لها ، لذلك التمس من الباب العالي اسعافه بفرقة مشاة من الجيش النظامي المرابط في أيالة ديار بكر والسماح له بالتحرك صوب البصرة[٥٣] .

وفي تقرير لاحق رفعه علي رضا باشا الى العدارة بتاريخ ٣١ تشرين اول

---

(٥٣) الارشيف العثماني : وثيقة رقم C - 20881 (من والي بغداد علي رضا باشا الى الصدارة في ٣ ايلول ١٨٣٦ / ٢١ ذي القعدة ١٢٥٢هـ) .

١٨٣٧/غرة شعبان ١٢٥٣ هـ شرح فيه الاهمية الجغرافية والاقتصادية لمدينة البصرة ووضعها السياسي ، فذكر ان البصرة تعد من أهم الموانىء في منطقة الخليج العربي وان وارداتها الجسيمة تأتي من عائدات الكمارك ومحصول التمور بالدرجة الاولى وأشار الى ان ضعف ولاة بغداد السابقين أدى الى استيلاء عشائر كعب على المقاطعات الشمالية والشرقية لمنطقة البصرة في حين استولت عشائر المنتفق على المقاطعات الجنوبية والغربية ، ولم يبقى تحت ادارة البصرة سوى مقاطعات معدودة منها ابو الخصيب وهمدان ٠

وبخصوص تأسيس مدينة المحمرة ذكر علي رضا ان « كعب » قامت ببناء قلعتين متقابلتين على نهر دجيل (الكارون) وشيدت بلدة المحمرة بينهما واتخذتها كميناء لها مما أدى الى الحاق الضرر الفادح بميناء البصرة(٥٤) ٠ ومن اجل رفع هذا الضرر أمر والي بغداد السابق داود باشا متسلمه في

(٥٤) اعلن أمير المحمرة أنه يعد ميناء المحمرة حرا وقرر فتحه بدون كمارك أمام جميع السفن الاجنبية ٠ وقد الحق هذا الاجراء ضربة اقتصادية كبيرة بميناء البصرة الذي كان ـ قبل تأسيس المحمرة ـ الميناء الوحيد على شط العرب ٠ اذ ان اغلب السفن التجارية العالمية التي كانت تتعامل مع ميناء البصرة في أمور الشحن والتفريغ والتزود بالوقود والخدمات الاخرى أخذت تتجه الى ميناء المحمرة ، مما ادى الى حدوث ركود في نشاط البصرة التجاري ، ونقصان كبير في مواردها الكمركية ٠ ومن ناحية أخرى فقد اتخذ ميناء المحمرة كمركز دولي لتهريب الاموال التجارية الى العراق ونجد عن طريق الزبير ٠ وكانت التجارة الانكليزية اكثر المستفيدين من هذه الظاهرة ، فقد حققت أرباحا طائلة على حساب تناقص واردات الخزينة العثمانية في البصرة وبغداد ٠ انظر :

Fontanier : Voyage dans h'Inde et dans le Golf Persigue Parl Egypte et le Mer Rouge, Paris 1844, P. 11, 282-4, 310.

Ainsworth : A Personal Narrative of the Euphrates, London 1888, Vol. II, P. 212-213, 298-299.

خورشيد باشا : المصدر السابق ، ص ٣٤ ٠

البصرة الاغا عزيز بتجريد حملة على المحمرة بمشاركة عقيل شيخ المنتفق • ولكن هذه الحملة باءت بالفشل امام بسالة مقاتلي كعب ، واستولى الكعبيون على اعتدة واسلحة القوات العثمانية وبمرور الزمن ازدادت سطوة كعب وقامت بتشييد القلاع والابنية العالية والخانات في طرق القوافل البرية ، وبذلك أصبحت المحمرة بلدة عظيمة وميناء كبيرا ، يضاف الى ذلك ان الشيخ جابر بن مرداو اشترى من الهند أربع سفن حربية كبيرة • وبذلك امتلك الكعبيون مقدرة حربية فائقة في البر والبحر • ومقابل ذلك فقدت البصرة وزنها العسكري وميزتها الاقتصادية •

ولاجل وضع حد لتدهور الوجود العثماني في جنوب العراق قرر علي رضا الاسراع في تنفيذ الحملة وتهيئة مستلزماتها قبل ان يحصل على موافقة الباب العالي • فقام بأنشاء اثنين وثلاثين جسرا حجريا على الانهار والاهوار التي سيمر منها الجيش ، كما شحن الاسلحة والادوات الحربية والذخيرة على ظهر خمس عشرة واسطة نقل نهرية تسمى (ماشوه) وتحرك من بغداد متوجها صوب البصرة[٥٥] • ونظرا لعدم ثقته بمشايخ عشائر المنتفق وبني لام[٥٦] ولكي يحول دون حصول أعمال اعاقة او تخريب في خطوطه الخلفية قام بعزل شيخي هاتين العشيرتين ونصب مكانهما شخصين اخرين من الموالين لـه •

---

(٥٥) ذكر فونتانييه انه صاحب علي رضا في حملته هذه كمستشار سياسي وعسكري ، واعد له الخرائط اللازمة للحركات ، ولاجل ادارة المعركة بشكل ناجح دون له اسماء المواضع باللغة التركية ، كما أعد بلوكات عسكرية نظامية مكونة من عشرة آلاف مقاتل بقيادة سرخوش باشا •

Fontanier : Ibed, Vol. I, P. 374-5.

(٥٦) كان جيش علي رضا يتكون من العساكر النظامية والارناؤوط وبعض العشائر العربية ، كعشيرة عقيل برئاسة شيخها سليمان الغنام ، وعشيرة طي برئاسة شيخها فارس ، وعشيرة زبيد برئاسة شيخها وادي ، وعشيرة العبيد • وعندما اقترب علي رضا من البصرة التحقت به قوه من عشائر المنتفق بقيادة طلال السعدون ، وبعض القوات النجدية بقيادة ابن مشاري •

وبعد سير شاق وصل الباشا مع جيشه الى القرنة واقام بها حتى يتم انشاء جسر على دجلة وواصل زحفه نحو الشرق فوصل نهر السويب ، وهنا ايضا نصب جسرا وعبر عليه ، وبعد مسيرة أربعة ايام وصل الى كردلان القريبة من البصرة ، فأقام بها عشرة أيام للراحة ولتنظيم قواته ، وهنا استقبل الشيخ جابر الصباح امير الكويت مع قواته ، كما ارسل الى جابر بن مرداو امير المحمرة يطلب منه اعلان الطاعة ولكن الشيخ أجاب بالرفض معلنا مقاومته للقوات الغازية • فواصل الوالي زحفه الى موقع ابو جذيع ونصب جسرا على النهر الذي يحمل اسم الموقع المذكور وعبره وأحاط بقلعة المحمرة وفرض عليها حصارا محكما • وقاوم الكعبيون بكل بسالة وشنوا حرب عصابات على الغزاة ، بيد أنهم لم يسطيعوا مقاومة نار المدافع العثمانية الكثيفة فعادوا الى قلعتهم وتحصنوا بداخلها • وفي اليوم الثالث للحصار (٢٧ تشرين أول ١٨٣٧/٢٧ رجب ١٢٥٣ هـ) شنت القوات العثمانية هجوما شاملا استولت فيه على الابراج والمواضع الامامية وقتلت من وقع بأيديها • اما من بقي داخل القلعة فقد انهارت مقاومته ولاذ بالفرار عن طريق النهر متوجها الى البحرين وتستر ودسبول • وهكذا تم لعلي رضا باشا الاستيلاء على المحمرة بعد ان انسحبت قوات الامير جابر منها ، فدك حصونها وهدم دورها وقتل عددا كبير من اهلها[٥٧] • ولم تسلم من يده الفلاحية فهاجمها واضطر شيخها ثامر بن غضبان (١٨٣٢ — ١٨٣٧) على تركها وهرب الى

---

(٥٧) الارشيف العثماني ، رقم E - 23372 (من علي رضا باشا الى مشير الامور الداخلية ، في ٣١ تشرين أول ١٨٣٧ / غرة شعبان ١٢٥٣هـ) • غنم الوالي سفينتين حربيتين الاولى من نوع « ابـريق » تعمل بين دجيل (الكارون) والهند وتحمل ١٨ مدفعا ، والثانية من نوع « بغلة » تحمل ١٢ مدفعا ، قرر الوالي ضمهما الى اسطول البصرة • المصدر السابق •

هنديان ، ونصب بدله عبد الرضا بن بركات ، وفي طريق عودته الى بغداد مكث في الكويت عدة ايام برفقة الشيخ جابر الصباح[٥٨] .

ان حملة علي رضا باشا على المحمرة كانت خاطفة ولم تغير شيئا في الكيان السياسي للمنطقة ، واستطاع الشيخ جابر ان يعيد بناء المدينة ويوسعها بعد انسحاب العثمانيين منها [٥٩] .

أما رد الفعل الفارسي فقد تمثل بتقديم السفير الايراني في استانبول المرزا جعفر خان مذكرة احتجاج الى وزارة الخارجية العثمانية ادعى فيها : ان قوات والي بغداد شنت عدوانا على ميناء المحمرة ، وانه خلافا لنصوص المعاهدة المعقودة بين الدولتين تمت السيطرة على الميناء المذكور وتدميره لذا يجب اعادته الى الادارة الايرانية . وبناء على ما جاء في هذه المذكرة أرسل الباب العالي احد موظفي قيود المهمة في قلم الديوان الهمايوني المدعو باقي افندي الى بغداد للتحقيق في صحة ادعاءات الجانب الفارسي حول مسألة تابعية المحمرة والعمل على ازالة اسباب الخلاف القائم بين الدولتين المسلمتين وفقا للمعاهدة المعقودة بينهما[٦٠] .

ومن أجل ادامة الوجود العثماني في البصرة وحواليها اقترح والي بغداد على الصدارة ما يلي :

١ ــ وضع قوة عسكرية بالبصرة تتمركز لعدة سنوات لكي تسند السلطة العثمانية في هذه الجهات .

٢ ــ بناء قلعتين الاولى على مصب نهر دجيل (كارون) في شط العرب والثانية على الخور ، ووضع حراس حدود دائميين فيهما .

---

(٥٨) مصطفى النجار : المصدر السابق ، ص ٥٦ــ٥٧ . علي نعمة الحلو : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢ــ١٥ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٦٠) الارشيف التركي : دفتر المهمة ، رقم 252 ص 120 يسان ١٨٣٨ / اواخر محرم ١٢٥٤هـ) .

٣ ـ تفكيك عشائر المنتفق وابعاد مشايخهم ، وبناء مواضع ومعسكرات تستوعب ١٠٠ ـ ٢٠٠ شخص في كل من القرنة والجزائر (جوازر) وجزيرة أم جميل والشطرة •

٤ ـ بناء قلعة في كوت الامارة وتمركز قوة عسكرية فيها تعدادها ٥٠٠ـ٦٠٠ فارس (سواري) •

واذا ما ارتبطت هذه الاجراءات العسكرية بأنظمة صارمة وباقامة بعض المنشآت اللازمة فانها سوف تؤدي لا الى ضبط المنطقة عسكريا وسياسيا فحسب وانما ستحقق فوائد اقتصادية تتمثل في زيادة واردات الكمارك ومحصول التمور • لذا طلب والي بغداد ارسال وحدات نظامية اضافية من الاناضول او الروملي ، لعدم امكان سد النقص محليا في الوقت الحاضر بسبب عدم استقرار الوضع في المنطقة الكردية ووجود بقايا العصبيات الحاكمة كالاسرة البابانية في السليمانية[٦١] •

وعند دراسة هذه المقترحات في دوائر الباب العالي المختصة نال علي رضا باشا ثناء وتقديرا لما بذله من جهود في حملته على المحمرة ولما قام به من اجراءات عدتها الدوائر المذكورة دليلا على حرصه وحسن تصرفه • ولكن تلك الجهات المختصة وجدت من المتعذر ارسال قوات نظامية من الاناضول او الروملي للمرابطة في جنوب العراق بسبب ارتفاع درجات الحرارة في موسم الصيف بما لا يطاق • وطلبت من والي بغداد تهيئة الظروف الملائمة ليصبح بالامكان ترتيب العساكر النظامية من العناصر الكردية وغيرها لاستخدامها في مناطق العراق الاخرى[٦٢] •

---

(٦١) الارشيف التركي : رقم B - 48415 (من والي بغداد علي رضا باشا الى مشير الامور الداخلية ، في ٢٢ مايس ١٨٣٨ / ٢٧ صفر ١٢٥٤هـ) • رقم 48415 (من مير آلاي محمد علي الى سر العسكر ١٨٣٨ / ١٢٥٤هـ) •

(٦٢) المصدر السابق : رقم A - 48307 (مذكرة مرفوعة الى الصدر الاعظم ١٨٣٨/١٢٥٤هـ) • للاطلاع على مزيد من التفاصيل بهذا الخصوص انظر : Mehdi Habib : ayni kaynak, S. 264-275.

ويبدو ان الحكومة المركزية كانت عاجزة عن ارسال قوات نظامية الى العراق بسبب انشغالها بالاستعداد للجولة الثانية في صراعها المرير مع والي مصر محمد علي باشا • وقد أدى السفير الانكليزي في استانبول (بونسنبي) دورا كبيرا في صرف انظار الباب العالي عن مسألة المحمرة ، فقام بتجسيم خطر محمد علي باشا على الدولة العثمانية وجعله الشغل الشاغل للادارة العثمانية في الوقت الذي قدم فيه تأكيدات وتعهدات بمنع اي محاولة فارسية للاستيلاء على المحمرة[٦٣] • أما السبب الاهم فهو يكمن في اهمال الادارة العثمانية لحدودها الشرقية ، لا سيما العراقية منها • تلك الادارة التي لم تكن تدرك بعد أهمية عربستان بالنسبة الى المصالح والستراتيجيات الدولية والتي لم تستطع الوقوف بوجه الاطماع الفارسية المتزايدة • ويحتمل ان بعد المسافة من استانبول الى المحمرة جعل السياسة العثمانية ، ومنذ زمن بعيد ، تتسم باللامبالاة في تعاملها مع قضية عربستان • لذا وافقت الدولة العثمانية على ضم المحمرة الى فارس بموجب معاهدة ارضروم الثانية (١٨٤٧) رغم قناعتها بعدم أحقية الفرس في ضم تلك المنطقة العربية أرضا وشعبا وتاريخا اليها • ويتضح الموقف العثماني هذا من الفقرة التالية التي وردت في مطالعة الصدارة المرفوعة الى السلطان في أعقاب الموافقة على بنود المعاهدة المذكورة : «•• لقد احرق بقاء المحمرة عند الطرف الآخر ، وبأي صورة كان ، قلوب الجميع ، وان هذا المصير المؤلم هو نتيجة الاهمال الذي امتد منذ أزمنة قديمة»[٦٤] •

وقدم المرزا جعفر خان السفير الفارسي في استانبول مذكرة الى الباب العالي تضمنت شكاوى السلطات الفارسية ضد والي بغداد علي رضا باشا وهي :

---

(٦٣) المصدر السابق : 46335 (من السفير الانكليزي بونسنبى الى نظارية الخارجية العثمانية ١٨٣٨/١٢٥٤هـ) •

(٦٤) المصدر السابق : مسائل مهمة (ايران) ، رقم 1103 (مذكرة من الصدارة الى السلطان في ٢٦ حزيران ١٨٤٧/٢١ رجب ١٢٦٣هـ) •

١ ــ الاستيلاء على المحمرة وتخريبها خلافا للمعاهدة المعقودة بين الدولتين.

٢ ــ استيفاء ضرائب غير مشروعة من الزوار الفرس وجنائزهم تحت اسم « بدل سلامة » .

٣ ــ استيفاء نسبة ١٪ من الاغنام التي يجلبها الفرس الى العراق والبالغة اكثر من (١٠٠٫٠٠٠) رأس غنم سنويا .

٤ ــ استيفاء رسوم اضافية من التجار الفرس زائدة عن الرسوم المقررة المعتادة .

ومن أجل منع تردي العلاقات بين الدولتين وقيام حالة حرب بينهما طلب السفير الفارسي تنفيذ المطالب التالية :

١ ــ تسليم المحمرة الى السلطات الفارسية فورا .

٢ ــ رفع الرسوم المحدثة كليا .

٣ ــ عدم قبول وحماية الفارين الفرس ــ عدا الامراء (الشاهزادات) الموجودين في بغداد حاليا ــ وتسليمهم في الحال الى القائم بالاعمال الفارسي .

٤ ــ السماح للقائم بالاعمال الفارسي بوضع ثلاث وسائط نقل نهرية في اماكن عبور الزوار والتجار الفرس على نهري دجلة والفرات، ولتشخيص العناصر الفارسية الفارة .

وبناء على تقديم هذه المذكرة ارسل الباب العالي احد موظفي الصدارة المدعو باقي افندي الى بغداد (نيسان ١٨٣٨/محرم ١٢٥٤ هـ) للتحقيق في هذه الشكاوى والاطلاع على مدى تطبيق احكام المعاهدة المعقودة بين الدولتين لا سيما فيما يتعلق بأمور الحجاج والزوار والتجار[٦٥] .

---

(٦٥) الارشيف التركي : دفتر المهمة ، رقم ٢٥٢ ، ص ٨٠ ، ١٢٠ ــ ١٢١ (تشرين اول ١٨٣٧ ونيسان ١٨٣٨ / اواسط رجب ١٢٥٣ واواخر محرم ١٢٥٤هـ) .

وفي بغداد جرت عدة اجتماعات للنظر في الشكاوى والادعاءات الفارسية حضرها ، اضافة الى والي بغداد علي رضا باشا ، المباشر المرسل لهذا الغرض من قبل الصدارة باقي افندي ، ومن الجانب الفارسي رحمة الله ياور والمرزا عبدالعزيز القائم بالاعمال الفارسي في بغداد • وكانت مسألة تابعية شط العرب على رأس المواد التي بحثت في تلك الاجتماعات • وعندما استفسر والي بغداد عن الاسباب والادلة التي يستند عليها الجانب الفارسي في ادعائه بشط العرب رغم جريانه من جهة البصرة واعتراف العرب والفرس بارتباطه بالدولة العثمانية! وقد اعترف وأقر المندوبان الفارسيان بذلك ، وذكرا بأن ادعاء عائدية شط العرب الى فارس سهو وقع فيه السفير جعفر خان واعتذرا من حصول ذلك ، وانهما لا يعلمان على أي سند يقوم الادعاء الفارسي بعائدية المحمرة الى فارس ، ولاجل الاستيضاح بخصوص هذه المسألة بعثا رسولا خاصا الى حاكم كرمانشاه • وفي الجواب الذي أرسله الحاكم المذكور اورد أمورا ، لا تعد أدلة كافية استخرجها من القواميس وبعض الكتب التاريخية • وعندما اقترح الوفد العثماني الذهاب الى منطقة النزاع والقيام بمشاهدة ميدانية والتحقيق مع اهل الخبرة ، تهرب الجانب الفارسي من القيام بذلك لعلمهم – على ما يبدو – بتفاهة ادعاءاتهم ، ولذلك بقيت هذه المسألة معلقة بين الطرفين •

ورأى والي بغداد ان احتجاج السفير الفارسي وادعائه بتجاوز العثمانيين باستيلائهم على المحمرة وتخريبها تصرف غير مشروع لان المحمرة جزء من الاراضي العائدة الى بغداد ، وانها انشأت من قبل عشائر كعب العربية • والحال ان الفرس استثمروا عصيان ابناء هذه العشائر ضد الدولة وشجعوهم على ذلك ، وأثناء صراع علي رضا مع داود باشا قام الكعبيون بتأييده ، ولكن

رغم ذلك وقفوا ضده فيما بعد حتى انهم فكروا بالاستيلاء على البصـرة ، وبسبب هذا الموقف رتب حملته لمعاقبة عشائر كعب[٦٦] .

أما بخصوص الضرائب المحدثة التي يدعي الجانب الفارسي استيفاءها من التجار الفرس فهي رسوم « الطمغة والاحتساب » المفروضة على المشتري وليست مفروضة على التاجر البائع ، الفارسي وغيره . وذكر لهم علي رضـا ان هذه التشريعات هي من صميم أمور الدولة الداخلية ومسائلها الخاصة . وبخصوص استيفاء رسوم على الجنائز والزوار الفرس فما هي الا اجور[٦٧] عبور تدفع لاصحاب العبارات على نهر ديالى والجسارين على نهر الفرات عند جسر المسيب . أما الرسم المفروض على الاغنام المستوردة من فارس فهو بدل مرعى ، وقد رفع منذ عدة سنوات ، وجرى تسليم القـائم بالاعمال

---

(٦٦) الارشيف التركي : الخط الهمايوني ، رقم 37327 (من والي بغداد علي رضا باشا الى الصدارة في ١٨ تشرين ثاني ١٨٣٨ / غرة رمضان ١٢٥٤هـ) .

(٦٧) يدفع قرشين ونصفا كل شخص عابر مع الحيوان الذي يركبه ، ٥٠ باره على الحيوان الذي يحمل أثقالا ، عشرة قروش على الجنازة . ذكر هذه الارقام والي بغداد ، في حين بالغ السفير الفارسي في أرقاما تزيد على قائمة الوالي وبالشكل التالي : يدفع كل زائر : خمسة قروش على نهر ديالى ، أربعة قروش في بغداد ، ستة قروش في النجف ، خمسة قروش في سامراء . أما عن الجنائز : ١٢ قرش في بعقوبة ، ١٧ قرش في بغداد ومقدارا آخر في النجف وكربلاء . أنظر : دفتر المهمة : رقم ٢٥٢ ، ص ٨٠ ، ١٢١ . وفي ادناه قائمة اجمالية سنوية بعدد التجار والزوار والامتعة القادمة من بلاد فارس الى العراق عن طريق خانقين :

٥٢٩٦٩	زائرا وتاجرا (عدا النساء)
٣٣٤٨	سائس بغال
٢٤٩٥٧	رأس غنم
٩٨١٥	بضاعة تجارية
٦٤٠٥٦	حيوان نقل
٣١٦٧	جنازة

وقد ثبت ان بعض محترفي التهريب كانوا يخفون الاشياء الخفيفة والثمينة داخل توابيت الجنائز . انظر : خورشيد باشا ، سياحتنامه ، ص ١٣٤-١٣٦ .

الفارسي نسخة من الامر الصادر بالغاء هذا الرسم . وبخصوص طلب الجانب الفارسي بوضع وسائط نقل نهرية باشراف ممثلهم في بغداد فقد رفض منعا للمحاذير والاضرار التي تنجم من جراء ذلك .

يؤكد علي رضا في تقريره المرفوع الى الباب العالي ان هدف الفرس ، من اثارة هذه المشاكل وعرضها بشكل مبالغ فيه ، خلق اجواء عدم استقرار لكي يتنصلوا من الايفاء بتعهداتهم السابقة باعادة سنجق زهاب الى العراق. لذا بادر الوالي المذكور الى حث الصدارة للضغط على السلطات الفارسية ومطالبتها باعادة لواء زهاب والامتناع عن التدخل في شؤون العراق الداخلية(٦٨) .

ولكن السلطات الفارسية التي تفتقر الى المبدأ والموقف الثابت في تعاملها مع الدول المجاورة ويتحكم في سياستها اسلوب المتغيرات ، بدلا من ان تلتزم بالمعاهدة المعقودة بينها وبين العثمانيين عاودت من جديد سياسة التدخل في شؤون العراق وطلبت من والي بغداد سنة ١٨٤١ عزل متصرف السليمانية أحمد باشا بحجة اعتدائه على حاكم سنه رضا قلي خان وتعيين محمودالباباني مكانه(٦٩) . ثم ارسلت قوة عسكرية مكونة من خمسة آلاف مقاتل ، ولكن متصرف السليمانية الجديد عبدالله بك استطاع ان يدحر هذه القوات ويقتل (١٥٠) شخصا ويأسر (٧٥) شخصا(٧٠) منها ، وظلت الاوضاع في السليمانية

---

(٦٨) الارشيف العثماني : الخط الهمايوني ، رقم 37327

(٦٩) الارشيف العثماني : تصنيف الارادة (داخلية) ، رقم 2358 لف 2

(٧٠) الارشيف العثماني : تصنيف الارادة (داخلية) رقم : لف 5 (من قائممقام بغداد ورئيس الكتاب رشيد افندي الى الوالي نجيب باشا ، في ١٦ حزيران ١٨٤١ / ٢٥ ربيع ١٢٥٧هـ) . رقم 3110 لف (من متصرف السليمانية عبدالله بك الى والي بغداد في ٢٧ مايس ١٨٤١/٥ ربيع ١٢٥٧هـ) .

غير مستقرة الى ان تمكن الوالي عبدي باشا من انهاء الحكم البابائي المحلي وتعيين باشوات أتراك في المنطقة الكردية(٧١) .

وفي سنة ١٨٣٢ استولى محمود البابائي على السليمانية بمساعدة القوات الفارسية ، وقام بطرد حاكمها سليمان باشا المعين من قبل والي بغداد الذي اضطر الى قبول الامر الواقع بسبب الظروف الحرجة التي كانت تواجهها ادارته في السنوات الاولى من حكمه(٧٢) . وفي السنة ذاتها حاول المملوك الهارب عزيز أغا والمتصرف محمد افندي اثارة عصيان في المنطقة الكردية ، ولكن هذه الحركة منيت بالفشل بسبب عدم وجود دعم كاف من الجهات الفارسية التي انشغلت بمشاكلها الداخلية في اعقاب وفاة الشاه فتح علي . وكان الشاه المذكور صريحا في التعبير عن الاطماع الفارسية في العراق ، فعند استقباله بطهران مبعوث والي بغداد زعم بأن ولاة بغداد السابقين كانوا يدفعون له خمسة آلاف تومان سنويا ، وطالب بتسليم السليمانية الى حاكم كرمانشاه ، ولم يكتف بذلك بل امر بحبس المبعوث العراقي لمدة خمسة أيام. وقام باجراء آخر يعكس مدى الابتزاز الذي تتميز به الادارة الفارسية ، وهو زيادة بدل الرعي ــ الذي يدفعه اهالي السليمانية الى السلطات الفارسية لقاء استخدام الاراضي الرعوية الفارسية في موسم الصيف ــ الى اثنى عشر ألف تومان سنويا(٧٣) .

---

(٧١) انظر : Mehdi Habib : ayni kaynak, S. 284-286.

(٧٢) الارشيف التركي : الخط الهمايوني ، رقم 20825 (من علي رضا باشا الى الصداره في ٢٦ نيسان ١٨٣٢/٢٥ ذي العقدة ١٢٤٧ هـ) . بعد فترة وجيزة عاد سليمان باشا الى حكم السليمانية واستمر الى وفاته سنة ١٨٣٨ . أما محمود فقد أرسل الى استانبول وظل محتجزاً الى سنة ١٨٤٠ .

(٧٣) الأرشيف العثماني : المصدر السابق ، رقم 207 (من علي رضا باشفا الى الصداره ، في ١٨ كانو ناول ١٨٣٣/٥ شعبان ١٢٤٩ هـ) .

برز في راوندوز حاكم كردي قوي هو الامير الاعور (ميركور) محمد باشا (١٨٢٦ ــ ١٨٣٦) ، وقد استخدمه داود باشا في ضرب الامراء البابانيين وكسر شوكتهم وفي مقاومة التدخل الفارسي المستمر في المنطقة الكردية[٧٤]. ودارت معارك طاحنة بين ميركور وامراء السليمانية البابانيين ، وكانت كفة ميركور هي الراجحة ، فاستولى على اربيل والعمادية والتون كوبري وكوى وحرير وزاخو ودهوك وجزيرة ابن عمر وامتد نفوذه الى ماردين ونصيبين وسعرد . وبدأ الخوف والهلع يملأ قلب غريمه البابان سليمان باشا فلجأ الى الفرس كعادته طالبا منهم تنظيم حملة مشتركة للقضاء على امير راوندوز . وكانت السلطات الفارسية تخشى من تزايد قوة ميركور الذي أخذ يهدد بزوال نفوذها من المنطقة الكردية ، لذلك شددت الضغط عليه ، فأتجه الى والي بغداد علي رضا باشا يستمد العون منه مبديا خضوعه التام للادارة العثمانية[٧٥] .

وكاد الصدام ينشب بين القوات العراقية والفارسية لولا توسط الديبلوماسيين الانكليز الذين كانوا في تلك الحقبة ضد أية تحركات فارسية معادية للعثمانيين خلال صراعهم مع والي مصر محمد علي باشا[٧٦] . وعندما تقرر ارسال حملة مشتركة من ايالات سيواس والموصل وبغداد بقيادة الصدر الاعظم السابق رشيد باشا للقضاء نهائيا على أمير راوندوز سنة ١٨٣٦ استغلت السلطات الفارسية هذه الفرصة وأرادت اقحام قواتها في المعركة المقبلة مع

---

(٧٤) المصدر السابق : I - 36750 (من والي بغداد داود باشا الى الصداره ، ١٥ حزيران ١٨٢٤/١٧ شوال ١٢٣٩ هـ) . محمد أمين زكي : تاريخ السليمانية ، ص ١٥٠ـ١٥٢ .

(٧٥) المصدر السابق : E - 22342 (من و الي بغداد علي رضا باشا الى الصداره ، في الاول من تشرين اول ١٨٣٤/٢٧ جمادي الاولى ١٢٥٠هـ
Mehdi Habib : ayni kaynak, S. 232-236.

(٧٦) عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق ، من ١٠٣ .

ميركور . فقد عرض قائد الجيش الفارسي على كل من رشيد باشا وعلي رضا باشا رغبة حكومته في مشاركة الجيش العثماني في حملته على امير راوندوز . واتصلت الحكومة الفارسية بالديبلوماسيين الانكليز وعرضت عليهم هـذه الرغبة فرحبوا بذلك وزكوه لدى العثمانيين . واتصـل ريتشـارد وود Richard Wood قنصل بريطانيا في حلب بالقواد العثمانيين مباشرة ليحثهم على التعاون مع الفرس ، وسلم رشيد باشا رسالة قائد الجيش الفارسي فيما يخص ذلك(٧٧) .

بيد ان رشيد باشا رفض الوساطة البريطانية ورأى فيها تدخلا في امور دولته ، كما رفض العرض الفارسي وعده مناورة خبيثة يهـدف الفرس من ورائها الحصول على حق التدخل في شؤون العراق الداخلية . فانقلب الفرس الى امير راوندوز وحثوه على اعلان الولاء للشاه مقابل انقاذه من القوات العثمانية التي باشرت بعملياتها العسكرية ضده ، ووعدوه بارسال قوات فارسية مكونة من عشرين ألف شخص للقتال الى جانبه . لكن القنصـل الانكليزي وود حذر ميركور من مغبة الانسياق وراء التحريضات الفارسـية ودعاه الى الاستسلام للقوات العثمانية على أمل ان تسعى السفارة البريطانية في استانبول لدى الباب العالي للعفو عنه واعادته الى حكم راوندوز(٧٨) .

---

(٧٧) الارشيف التركي : المصدر السابق ، رقم B - 48951 (من علي رضا باشا الى الصداره في العاشر من حزيران ١٨٣٦/٢٤ صفر ١٢٥٢ هـ) . رقم (كذلك ، في الرابع من تموز ١٨٣٦/١٩ ربيع الاخر ١٢٥٢هـ) .
Mehdi Habib : ayni kaynak, S. 237-238.

(٧٨) المصدر السابق : رقم 46335 (من السفير الانكليزي بونسبني الى نظارت الخارجية العثمانية) . رقم : 46442 (من القنصل الانكليزي ببغداد الى سفيره في استانبول ١٨٣٦/١٢٥٢ هـ) .
Mehdi Habib : ayni flaynak, S. 238-240.

وفي سنة ١٨٤٠ ارسل الشاه محمد القاجاري (١٨٣٤ ـ ١٨٤٨) مبعوثا الى بغداد يحمل رسالة الى علي رضا باشا تتضمن طلب السلطات الفارسية عزل متصرف السليمانية أحمد بك وتعيين شخص آخر مكانه . وتلبية لهذا الطلب قام الوالي بعزل احمد بك وقرر ترشيح محمود البابانى المحتجز حينذاك باستانبول . ولكن السلطات الفارسية لم تتريث لحين قدوم محمود من استانبول وانما اهتبلت الفرصة وقررت تنصيب ابنه علي بك المقيم بكرمانشاه . وامام اصرار اهالي السليمانية برفض علي بك اضطر الفرس الى اعادة تعيين أحمد بك بعد أن ضمنت ولاءه لها ، وارسلت معه عشرة آلاف مقاتل وثلاثة مدافع ونصبته بالقوة للحكم في السليمانية . وفي هذه المدة وصل محمود البابانى الى بغداد ، وأرسل الى السليمانية بناء على رغبة الاهالي . وهنا استدعى والي بغداد الممثل الفارسي مرزا عبدالعزيز وطلب منه تفسيرا للتجاوز الفارسي الاخير ، فزعم عبدالعزيز ان هذه الحادثة حصلت دون علم وموافقة حكومته ، ووصفها بأنها حركة طائشة من اعمال حرس الحدود[٧٩] . لذا بادر علي رضا الى ارسال تعزيزات عسكرية الى السليمانية لطرد القوات الفارسية، وبعث الى صارم افندي السفير العثماني بطهران برسالة تتضمن مطالبة الحكومة الفارسية بسحب قواتها من الاراضي العراقية على الفور منعا لحدوث حالة حرب بين الدولتين[٨٠] . وتم بالفعل انسحاب القوات الفارسية عند علمهم بوصول تعزيزات عسكرية كبيرر من بغداد ، ونُصِّب محمود البابانى حاكما على السليمانية[٨١] لحقبة لم تستغرق زمنا طويلا ، حيث تمكن

---

(٧٩) المصدر السابق : تصنيف الأراده (داخليه) رقم ٨٢٢ لف ٢ (من علي رضا باشا الى الصداره في العاشر من حزيران ١٨٤٠/٩ ربيع الاخر هـ) .

(٨٠) المصدر السابق ، لف ١ (من علي رضا باشا الى صارم افندي السفير العثماني بطهران حزيزان ١٨٤٠/ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ) .

(٨١) المصدر السابق ، لف ٨ .

أحمد من ازاحته والعودة الى باشوية السليمانية بموافقة السلطات العثمانية هذه المرة ، لانها وجدت فيه المقدرة على ضبط الحدود في الوقت الذي تقرر فيه تشكيل لجنة تحديد الحدود الرباعية .

وقام أحمد بالضغط على عشائر الحدود حتى تعلن ولاءها للدولة العثمانية مما أغاظ السلطات الفارسية التي كررت طلب عزله وتعيين عمه محمود بمكانه، وعمدت الى زعزعة مركزه بتقوية قواعدها العسكرية في زهاب ، وأرسلت قواتها لمهاجمة خانقين وحملته تبعة ذلك[٨٢] . فعمد نجيب باشا والي بغداد (١٨٤٢ ـ ١٨٤٧) من أجل تهدئة الاحوال في المناطق الحدودية والتمهيد للقضاء على الاسرة البابانية وحكم السليمانية حكما مباشرا ـ الى عزله في مارت ١٨٤٢ وتعيين اخيه عبدالله مكانه . ولجأ احمد الى السلطات الفارسية وطلب امداده بالقوات اللازمة لاعادته الى السليمانية ، فاحتج العثمانيون بشدة على وجوده في مدينة سنه القريبة من الحدود . ولما كانت السياسة البريطانية تهدف الى استتباب الامن في المناطق الحدودية ، لذلك أيد الجانب البريطاني في مباحثات الحدود المطالب العثمانية الخاصة بابعاد أحمد بابان عن مناطق الحدود لمنعه عن اثارة المتاعب في وجه لجنة تحديد الحدود وفي وجه أخيه عبدالله الحاكم الجديد للسليمانية . وفي عام ١٨٤٩ قرر والي بغداد عبدي باشا القضاء على الحكم الباباني دون ضجة فاستدعى عبدالله الى بغداد وعين مكانه ضابطا مر أصل كردي . ومن بعد ذلك جرت عدة محاولات لاستعادة البابانيين لسلطتهم الا انها باءت بالفشل .

وهكذا وضعت السلطات العراقية حدا لتدخل الفرس في شؤون العراق الداخلية عن طريق المشكلة البابانية[٨٣] .

---

(٨٢) الارشيف العثماني : الخط الهمايوني ، رقم 52865 (من الحكومة الفارسيه الى الباب العالي ، تموز ١٨٤٢/غرة جمادي الاخر ١٢٥٨ هـ) . رقم (من علي نامق الى الصداره ، في العاشر من تموز ١٨٤٢/غرة جمادي الاخر ١٢٥٨) . رقم B - 52865 (من حاكم سنه الى والي بغداد) .

(٨٣) عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ، ص١١٠ـ١٢٠ .

تشبث السلطات الفارسية لفتح ممثلية في بغداد :

في اواخر سنة ١٨٣٦ راجع خدادات خان السفير الفارسي في استانبول وزارة الخارجية العثمانية طالبا موافقة الباب العالي على فتح ممثلية فارسية ببغداد لرعاية شؤون الفرس المقيمين بالعراق على غرار ممثليتهم في ارضروم. ولاجل وقوف الباب العالي على جوانب هذا الطلب السلبية والايجابية أحاله الى والي بغداد لبيان مطالعته بهذا الخصوص . وقد تأخر جواب بغداد نظرا لتواجد الوالي في شمال العراق حيث كان مشغولا حينذاك بقمع عصيان امير راوندوز ، وبرغم عدم حصول السفير الفارسي على جواب الباب العالي فأن الحكومة الفارسية ارسلت ممثلا عنها للاقامة ببغداد يدعى مرزا مهدي منجم باشي (رئيس المنجمين) . وحال وصول منجم باشي الى بغداد عمل على جمع الاتباع والمؤيدين حوله من ذوي الاصل الفارسي . وقام هؤلاء المتحلقون حول الممثل الفارسي بارتكاب الكثير من المخالفات والتصرفات المنافية للقوانين المرعية التي تعد تدخلا سافرا في الشؤون الادارية كحبس بعض التجار والرعايا الفرس وضربهم واصدار الاحكام بحقهم ، وتشبثوا باصرار على وضع بعض جلاوزتهم على أبواب القلعة والكمرك ، وفي هذه الاثناء عاد الوالي علي رضا الى بغداد واتخذ اجراءات عاجلة لردع هؤلاء ووضع حد لهذه البادرة الخطيرة، وابلغ الصدارة بأنه ليس من المناسب الموافقة على اقامة ممثل فارسي ببغداد .

ذكر علي رضا في تقريره المرفوع الى الصدارة بتاريخ ٢٢ كانون اول ١٣/١٨٣٦ رمضان ١٢٥٢ هـ ان فتح ممثلية فارسية في بغداد سوف يؤدي الى جعلها مصدرا لكل أنواع التخريب والافساد واثارة القلاقل والفتن . واضاف ان الممثل الفارسي طلب الغاء اجرة العبور المفروضة منذ عهد السلطان مراد الرابع على الزوار والتجار الفرس وعلى الجنائز ، وان تعامل التبوغ كمعاملة البضائع التجارية الاخرى الخاضعة لضريبة كمركية بنسبة

٤ ٪(٨٤)، وابلغ والي بغداد المسؤولين الفرس بان ادارته لم تستوف أية ضريبة من الزوار والتجار الفرس أكثر من التجار العثمانيين ، كما لم يطالب أي شخص بتأدية ضريبة الباج في اي مكان من القطر ، وانهم غير محقين بادعائهم بشأن اجرة العبور المفروضة على الجنائز . ومن جهة اخرى فان الفرس لم يمتثلوا لاحكام المعاهدة المعقودة بين الدولتين سنة ١٨٢٣ التي تنص مادتها الاولى على تعهد الفرس بعدم التدخل في شؤون كردستان ، ولم يعيدوا سنجق زهاب الى الادارة العثمانية ، وانه في حالة تسليمهم السنجق المذكور وتعهدهم بعدم التدخل في كردستان فأنه سيقوم برفع اجرة العبور. أما التبوغ فبحكم كونها من المواد الممنوعة فهي غير خاضعة الى احكام الضرائب الكمركية المفروضة على الاموال التجارية الاخرى ، بل تخضع الى قانون الرفعة ، وتعيين مقدار الكمرك ليس من صلاحياته وانما يرتبط بأمر الدولة وتقديرها(٨٥) .

وقد اوصى السفير البريطاني في طهران قنصله في بغداد ان يعرض مساعيه لازالة الخلافات القائمة بين والي بغداد والسلطات الفارسية . وفي خلال الاتصالات التي اجراها القنصل الانكليزي تايلور أبلغه الممثل الايراني بشكل سري بأن والي بغداد على حق في موقفه من المطالب الفارسية(٨٦) .

---

(٨٤) الأرشيف العثماني : الخط الهمايوني ، رقم A,E - 37159 (من والي بغداد علي رضا باشا الى الصداره ، في كانون اول ١٨٣٦/١٣ رمضان ١٢٥٢ هـ) .

(٨٥) المصدر السابق ، رقم A - 37159 .

(٨٦) المصدر السابق : رقم U - 6442 (من السفير الانكليزي في استانبول الى نظارت الخارجيه العثمانيه ، ١٢٥٣ هـ) .

مسألة التجاء الامراء الفرس الى بغداد :

في اعقاب وفاة الشاه فتح علي القاجاري (١٧٩٧ ــ ١٨٣٤) بدأ صراع عنيف على السلطة بين اولاده الكثيرين ، فهرب بعض الامراء (الشاهزادات) المهزومين في هذا الصراع الى روسيا وانكلترا في حين التجأ الآخرون منهم الى استانبول على أمل الاقامة ببغداد[٨٧] • وقد قدم الى استانبول قسم من هؤلاء الامراء المقيمين بانكلترا وحصلوا على حق الاقامة في بغداد بوساطة السفير الانكليزي لدى الباب العالي[٨٨] • ويبدو ان السلطات الفارسية كانت تخشى من نشاط الشاهزادات المقيمين في الخارج ، لذا اوعزت الى سفيرها باستانبول خداداد خان ان يطلب من الباب العالي تسليم هؤلاء الفارين اليها بموجب معاهدة ١٧٤٦[٨٩] • وبناء على هذا الطلب وجه الباب العالي أمرا الى والي بغداد بخصوص اعادة الفرس الهاربين الى بلادهم في حالة كونهم من المواطنين العاديين • وبما ان بقاء امثال هؤلاء في بغداد ليس مناسبا فقد تقرر نقلهم الى سيواس وقره حصار وانقرة • واستثنى هذا القرار الشاهزادات حيث تقرر ارسالهم الى اماكن مناسبة[٩٠] • اما الشاهزادات الذين بقوا في بغداد فقد تقرر تخصيص راتب شهري من خزينة بغداد لكل واحد منهم واسكانهم في النجف وكربلاء[٩١] •

---

(٨٧) المصدر السابق ، رقم C - 48949 (من علي رضا باشا الى الصداره في ١٠ حزيران ١٨٣٦/٢٤ صفر ١٢٥٢ هـ) •

(٨٨) المصدر السابق : رقم 37154 (اراده ــ ١٨٣٦/١٢٥٢ هـ) •

(٨٩) المصدر السابق : رقم 37161 (من السفير الفارسي الى نظارت الخارجيه العثمانية ، ١٢٥٢ هـ) •

(٩٠) المصدر السابق رقم : - 37159 (من والي بغداد علي رضا باشا الى الصداره في ٢٢ كانون اول ١٨٣٦/١٣ رمضان ١٢٥٢ هـ) • دفتر المهمة : رقم ٢٥١ ، ص ٢٦٠ (ايلول ١٨٣٦/اواسط جمادي الاول ١٢٥٢ هـ) •

(٩١) المصدر السابق : رقم 37159 - D, 48949 •

وكان الشاه يتابع بحذر شديد نشاط وتحركات الامراء الفارين في العراق والاناضول ، ويرسل الجواسيس لرصدهم ومراقبتهم ومعرفة مدى نشاطهم المعادي ضده او اذا كان لهم اتباع داخل ايران ام لا • لذا كان الشاه يرسل بين حين وآخر مبعوثيه الى بغداد بحجة الاطلاع وتفقد أحوال الامراء المقيمين بها • فقد ذكر السفير الفارسي خداداد خان في اثناء زيارته لبغداد (١٨٣٦) ان الشاه قابل بسرور التقدير الذي يلاقيه الامراء المقيمون بالعتبات المقدسة، وسر اكثر لعدم تدخل هؤلاء اللاجئين بشؤون بلاده الداخلية ، ولعدم وجود اتباع لهم داخلها • وبناء على تقييم السفير الايراني وملاحظاته عـدل والي بغداد عن ارسال هؤلاء الامراء الى الاناضول لعدم وجود محذور من بقائهم في العتبات المقدسة نظرا لانشغالهم بأمورهم الخاصة باعتراف السفير المذكور• وتعهد الوالي بالقاء القبض على كل هارب يدخل العراق فيما بعد وتسليمه الى السلطات الفارسية[٩٢] •

ومن جهة أخرى فان بعض الامراء الفرس الفـارين والمقيمين بالدولة العثمانية كانوا يقومون فعلا بنشاطات وفعاليات معادية للسلطات الفارسية • ففي ١٩ ايلول ١٨٣٨/٢٩ جمادى الآخر ١٢٥٤ هـ ارسل الشاهزاده ظـل السلطان رسالة الى الباب العالي ذكر فيها أنه تسلم رسائل من اعوانه ومريديه تشير الى ميل الاهالي وتأييدهم له في حالة عودته الى فارس ، لذا فهو يطلب المساعدة من الحكومة العثمانية لارساله الى منطقة الحدود حتى يتمكن من قيادة المعارضة من قاعدة قريبة الى داخل بلاده[٩٣] • ولكن مسؤولي البـاب العالي أفهموه بأنه من غير الممكن تنفيذ مطاليبه هـــذه في المرحلة الحالية ، وخصصوا له معاشا شهريا ومخصصات اخرى بحكم كونه ضيفا على الدولة

---

(٩٢) المصدر السابق : رقم D - 37159 •

(٩٣) المصدر السابق : رقم B - 37156 (من الشاهزاده ظل السلطان الى الباب العالي ، في ١٩ ايلول ١٨٣٨/٢٩ جمادي الاخر ١٢٥٤ هـ) •

العلية[٩٤] • ويبدو ان الامراء الفرس اللاجئين في بغداد لم يكفوا عن مواصلة النشاط المعادي للسلطات الفارسية التي فاتحت والي بغداد مجددا وطلبت ابعادهم الى حلب ثم عادت بعد مدة قصيرة وطلبت تسليمهم اليها[٩٥] •

يذكر لايارد Layard ان هؤلاء الامراء كانوا يشكلون خطرا جسيما على الشاه • وكانوا يتعاونون مع الانكليز خلال حرب ١٨٣٧ • وكانت الاشاعات تؤكد ان الانكليز يعملون على رفع احد هؤلاء الامراء الى العرش الفارسي (حزيران ١٨٤٠) هذا الى ان السلطات الانكليزية كانت تدفع رواتب لعدد من هؤلاء الامراء وكان العثمانيون يدفعون لبعضهم كذلك[٩٦] •

لم يكن الغزو المسلح او التهديد به الاسلوب الوحيد الذي اتبعه الفرس لاحتلال ، وانما اتبعوا الاساليب الاخرى التي تستهدف تفتيت وحدة الشعب العراقي ومسخ هويته القومية والدينية تمهيدا لضمه الى الكيان الفارسي الذي لم يكن ليقل تخلفا عن الكيان العثماني • فقاموا بتصدير الفتن والاضطرابات الى داخل العراق مستغلين ضعف الادارة العثمانية وتخلفها وانعدام ثقة الشعب العراقي بها ومقاومته التي لم تلن لها • وليس بالضرورة ان يتمثل النشاط العدواني الفارسي الموجه ضد العراق والاقطار العربية الخليجية الاخرى

---

(٩٤) المصدر السابق : رقم 37156 (من الصداره الى السلطات العثمانية في ٢٥ ايلول ١٨٣٨/٦ رجب ١٢٥٤ هـ) •

(٩٥) المصدر السابق : تصنيف الاراده (داخليه) رقم 2958 ، لف (مايس ١٨٤٢/٢١ ربيع اول ١٢٥٨ هـ) •

(٩٦) Layard : Early, Vol. II, P. 229-230, 237, 272.

(٩٧) لونكريك : المصدر السابق ، ص ٣٤٥ـ٣٤٦ • عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٨٦ـ٩٠ •

(٩٨) تجدر الأشاره الى ان نجيب باشا قرر القيام بهذه الحمله قبل حصوله على موافقة الباب العالي •

بممارسات السلطة الفارسية ومؤسساتها القليدية فحسب وانما كان يتمثل ايضا بالنشاط الفكري التخريبي الذي مارسته مؤسسات وتيارات فارسيةذات صفة غير رسمية ، وبعضها كان في حالة صدام مع السلطة الفارسية •

ففي مطلع القرن التاسع عشر نشطت داخل بلاد فارس حركات وتيارات فكرية ذات اصول مجوسية وتأثير يهودي تعد امتدادا لحركات الشعوبية والزندقة المعادية للعروبة والاسلام • ومن هذه الحركات البابية والبهائيةالتي ظهرت بمدينة شيراز حيث بشر بها عام ١٨٤٤ دعي فارسي اسمه علي بن محمد (١٨١٩ ـ ١٨٥٠) لقب نفسه بـ « الباب » بايحاء من عناصر يهودية ، ومنه انبثقت الدعوة البابية(١٠٢) •

نشأت حركة البابية وامتدادها البهائية تعبيرا عن الفكر الذي ظهرقديما بسبب تعاون اليهود الذين حررهم كورش من الاسر البابلي واستقروا بفارس، بعد ان أذن كورش للاسرى الآخرين بالعودة الى فلسطين ، مع القوى والتيارات الفارسية الساخطة على الاسلام الذي أزال كيانهم المجوسي(١٠٣) •

---

(٩٩) لونكريك : المصدر السابق ، ص ٣٤٦ • عبدالعزيز نوار : المصدر السابق من ٩٠ـ٩١ • الارشيف التركي : مسائل مهمه (كربلاء) رقم ١٨٣١ ، لف ٢٠ (من والي بغداد نجيب باشا الى الصداره ، في ١٧ حزيران ١٨٤٢/٨ جمادي الاخر ١٢٥٨ هـ) •

(١٠٠) عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ •

(١٠١) عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ؛ ص ٩٢ـ٩٣ •

(١٠٢) للاطلاع على معلومات مفصلة عن البابية والبهائية أنظر : عبدالرزاق الحسني : البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم . علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث بغداد ١٩٧١ ، ج٢ • اسلمنت ، جي أي : بهاء الله والعصر الجديد . محمد حسين الاعظمي حقيقة البهائية والقاديانية (بيروت ١٣٩٣ هـ) •

(١٠٣) احمد شبلي : مقارنة الاديان (اليهودية) القاهرة ـ١٩٧٤ ، ج١ ص ٨

انها دعوة سرية مغلقة وغامضة ظاهرها الدعوة الى الاصلاح والمساواة والسلام ونبذ التعصب وحقيقتها دعوة هدامة تلتقي مع الماسونية والصهيونيـــة في اهدافهما ، وهي صرف الناس او سلخهم عن اديانهم واوطانهم[١٠٤] • وفي مرحلة التكوين وجد زعماء هذه الحركة الحماية والدعم لدى القنصل الروسي في ايران ، وكان من مصلحة روسيا حينذاك ابقاء ايران ضعيفة ومضطربة لمنعها من استرداد اراضيها المحتلة من قبلها • والواقع ان الحكومة الروســـية كانت تشجع الحركات المضادة والاضطرابات في كل من ايـــران والدولة العثمانية على حد سواء تحقيقا لمطامعها التوسعية في املاك الدولتين ، ووراء هذه السياسة يكمن سر دعم روسيا للبابيين ونشاطهم التخريبي في العراق والاناضول قبيل واثناء حرب القرم (١٨٥٣ ــ ١٨٥٦) • ثم التقت مصـــالح الانكليز الذين بسطوا نفوذهم على شبه القارة الهندية وافغانستان وايران والعراق والخليج العربي بمصالح غلاة العنصريين الفرس ، وظل هـــدفهم المشترك هو القضاء على الروح الجهادية للاسلام وبث روح اليأس والضياع والانهزام والبلبلة في نفوس المسلمين وخصوصا العرب منهم •

ارسل الباب الى العراق احد مريديه المدعو بـ « الملا علي البسطامي » ليتولى نشر الدعوة البابية بين الناس • وقد وصل البسطامي الى النجف في شهر تشرين ثاني ١٨٤٤/ذي القعدة ١٢٦٠ هـ ، وحضر احد مجالس علمـاء الدين واظهر لهم وريقات بشكل كراس زعم انه من وحي الهي ، وانه اصل الكلام القديم ويجب العمل باحكامه ، وان المهدي المنتظر سيخرج في العاشر من محرم (١٢٦١ هـ) من مكة المكرمة متوجها الى كربلاء لاظهار نفسه للامة• بيد ان علماء الدين والاهالي قابلوه بالاستخفاف والاستنكار ، فذهب الى كربلاء واتصل خفية ببعض سكنتها من التبعية الايرانية وأطلعهم على ما يحمله من ترهات فأغرى عدة مئات منهم وضمهم الى الفرقة البابية • ولما علم والي

---

(١٠٤) محمد حسين الاعظمي : حقيقة البهائيه ، ص ٧٥ •

بغداد بالامر طلب من قائممقام كربلاء اعتقال البسطامي وارساله الى بغـداد مخفورا مع الاوراق التي وجدت بحوزته • ولدى استنطاقه في بغداد اعترف البسطامي بأن أحد السادة[١٠٥] ارسله الى العراق وابلغه حين سفره « انك ذاهب الى بغداد ، خذ هذا الكتاب وقدمه الى مجتهدي النجف وكربلاء ، واخبرهم بأني نائب المهدي ، وسأذهب الى الحج هذا العام ، وبعـد الحج سأتوجه الى كربلاء حيث سيظهر المهدي فيها في العاشر من محرم » • وعندما طلب من البسطامي أثناء استجوابه ذكر اسم الباب أصر على انكار معرفته لاسمه رغم الاستجوابات المتعددة التي أجريت معه •

وفي بغداد دعا الوالي نجيب باشا الى عقد مجلس شرعي خاص لمحاكمته مؤلف من علماء الدين الذين حضروا من النجف وكربلاء والكاظمية اضافةالى بغداد • وكان من بينهم الشيخ حسن جعفر كاشف الغطاء — وهو من ابـرز مجتهدي النجف حينذاك — مع ابني أخويه الشيخ محمد موسى والشـيخ مهدي علي ، والسيد ابراهيم باقر الموسوي (من مجتهدي كربلاء) ، والشيخ محمد حسن آل ياسين (من علماء الكاظمية) ، والمفتي أبو الثناء محمود الآلوسي والمفتيان السابقان عبدالغني ومحمد سعيد ونقيب الاشراف علي الكيلاني ، وبحضور القنصل الفارسي المرزا عبدالعزيز • فكتبوا محضـرا بكفره ومروقه ، وقعوه جميعا وأرسلوه الى الباب العالي ، متهمين اياه بالعمل على هدم الدين الاسلامي والقدح بشخصية الرسول العربي وتحريك الفتن والاضطرابات[١٠٦] •

---

(١٠٥) ادعى مؤسس البابية علي بن محمد النسب العلوي لتسهيل عملية كسب الناس البسطاء الى دعوته ، وهو في حقيقته فارســي الدم والعقيدة ان لم يكن يهوديا اصلا ، لان من يعمل على احداث شرخ كبير في العقيدة الاسلامية ليس من ملة المسلمين على الاطلاق •

(١٠٦) الارشيف التركي : تصنيف الارادة ، (داخلية) رقم ٥٠٦٧ ، لف ٢ (من والي بغداد نجيب باشا الى الصداره ، ٢٤ كانون الثاني ١٨٤٥/١٥ محرم ١٢٦١ هـ) • لف ٣ (محضر علماء بغداد والكاظمية وكربلاء والنجـف) •

وصدر القرار في استانبول بحجز البسطامي في احدى الجزر ، وسيق موثوقا الى بولو ولكنه مات في الطريق لاصابته بمرض[١٠٧] ، وقيل انه مات غيلة[١٠٨] .

يبدو ان نجيب باشا بتشكيله مجلس محاكمة البسطامي بهذا الشكل الموسع أراد ان يحافظ على وحدة البلاد ومنع استغلال السلطات الفارسية المنازعات الطائفية من أجل تحقيق اطماعها التوسعية في اراضي العراق ، حيث كانت الادارة الفارسية تعد هذه المنازعات كحصان طرواده في صراعها مع العثمانيين ، لا سيما في هذه الحقبة التي تجري فيها المفاوضات بين الجانبين لتحديد الحدود وعقد معاهدة ارضروم الثانية .

وفي المدة الاخيرة من ولاية نجيب باشا برزت شخصية بابية جديدة أثار نشاطها في كربلاء وبغداد ردود فعل شديدة في المجتمع العراقي .. تلك هي شخصية الداعية رزين تاج الملقبة بـ « قرة العين » (١٨١٤-١٨٤٨).وكانت لها علاقة باثنين من احبار اليهود المقيمين بهمدان هما : الياهو ولالازار[١٠٩] . ونظرا لتزايد خطرها على الامن والاستقرار احتجزها الوالي مدة من الزمن في دار المفتي أبو الثناء الآلوسي لحين ورود امر الباب العالي بشأنها الذي صدر فيما بعد بترحيلها الى ايران[١١٠] .

---

(١٠٧) المصدر لسابق ، لف ١ (مطالعة الصدارة الى السلطان ، ١٩ تموز ١٨٤٥/ ١٤ رجب ١٢٦١ هـ) .

(١٠٨) علي الوردي : لمحات اجتماعية ، ج٢ ، ص ١٤٠ .

(١٠٩) آواره : الكواكب الدريه في مآثر البهائيه (القاهره ـ ١٩٢٣) ، ص ١٩٧-٢٠١ .

(١١٠) علي الوردي : المصدر السابق ، ص ١٧٢ . (صدر الحكم باعدامها في شوال ١٢٦٤/١٨٤٨) .

قام الشاه ناصرالدين بشن حملة متواصلة لاستئصال شأفة البابيين بعد تزايد خطرهم على سلطته . وبعد اعدام الباب (٩ تموز ١٨٥٠/٢٨ شعبان ١٢٦٦ هـ) انقسم البابيون الى فريقين ، جاهر فريق بخلافة المرزا يحيى نور الملقب بـ « صبح أزل » وأطلق عليهم اسم « الازلية » وتمسك فريق آخر — وهم الاكثرية — بأخيه المرزا حسين علي (١٨١٧ — ١٨٩٢) الملقب بـ « بهاء الله » وسموا بـ « البهائية » ، وكان المرزا حسين علي قد التجأ وبعض اتباعه الى المفوضية الروسية على اثرفشل محاولة انتقاميةلاغتيال ناصرالدين. ونظرا لاصرار السلطات الفارسية قامت المفوضية الروسية بتسليمهم اليها بعد ان اخذت المواثيق والوعود بالمحافظة على حياتهم ونفيهم خارج الحدود . فلجأوا الى الدولة العثمانية التي استضافتهم واسكنت المرزا حسين علي والمرزا يحيى نور وقسما من اتباعهما في بغداد حيث وصلوها في ٨ نيسان ١٨٥٣/٢٨ جمادى الآخر ١٢٦٩ هـ ، وأسكنت القسم الآخر في أدرنه ، واجرت لهم التخصيصات الشهرية لاعالتهم(١١١) .

ان خروج رؤساء البابية من ايران واقامتهم في بغداد وأدرنه عملية لا يبعد ان تكون مدروسة ومتفقا عليها من قبل السلطتين الفارسية والروسية، لان من مصلحة روسيا اثارة الفتن والحركات العصيانية داخل الدولة العثمانية . وهذا ما يفسر دعم الروس للبابيين ونشاطهم بالعراق والاناضول قبيل واثناء حرب القرم (١٨٥٣ — ١٨٥٦) . كما ان من مصلحة النظام الفارسي التخلص من البابيين وتصديرهم الى العراق لنقل الفوضى والاضطرابات الى داخل اراضيه بما ينسجم مع سياستهم التوسعية ازاءه .

---

(١١١) الارشيف التركي : المصدر السابق (مجلس مخصوص) رقم الوثيقة ١٤٧٥ . وانظر : اسلمنت : المصدر السابق ، ص ٣١ـ٣٤ . محمد زرندي : مطالع الانوار ، القاهره ١٩٤٠ ، ص ٤٨١ـ٤٨٢ .

وهكذا أصبح العراق ، من جديد ، ميدانا لنشاط البابيين التخريبي ، فاستعرت الفتن والاضطرابات المذهبية في بغداد والكاظمية وكربلاء . وكان من انشط اتباع البهاء رجل يدعى علي سياح ــ من مواليد مراغة ــ استقر بكربلاء وحصل على التبعية العثمانية منذ عام ١٨٥٦ ، ومارس حرفة التجارة بين بغداد وكربلاء كما تظاهر بالدروشة(١١٢) . والظاهر ان علي سياح امتهن حرفة التجارة وصفة الدروشة لتسهيل مهمته في تنظيم الاتصال بالبهاء ونشر الدعوة البهائية بين الناس ، والتنقل بين مدن العراق دون ان يثير شكوك السلطات المحلية التي كانت منهمكة حينذاك بقمع حركات العشائر العربية .

ولما علمت السلطات العثمانية بوجود اتصالات ومخابرات بين حسين علي (البهاء) وبين اتباعه في استانبول وأدرنه وغيرها من المدن في الاناضول والعراق ، امرت بالقاء القبض عليهم ومصادرة جميع كتبهم ورسائلهم ومكاتيبهم ، واحالتهم الى مشير الضبطية لاستجوابهم ، وكان من بين المتهمين ضابط مدفعية عثماني متقاعد يدعى أغا جان . وفي الوقت نفسه ابلغت سلطات استانبول والي ادرنه بالتحقيق في احوال البهائيين المقيمين هناك ووضع الحراسة عليهم منعا لتفرقهم لحين ظهور نتيجة الاستجواب الجاري في استانبول . ولاجل دراسة هذه القضية أحيل استجواب وتقرير مشير الضبطية مع التحريرات الواردة من أدرنة الى لجنة خاصة تشكلت لهذا الغرض ، وقامت هذه اللجنة باجراء التحقيقات والمطالعات اللازمة ورفعتها مع الاوراق الاخرى المتعلقة بهذه القضية الى المجلس المخصوص الذي انعقد بتاريخ ٨ آب ١٨٦٨/١٨ ربيع الآخر ١٢٨٥ هـ للنظر فيها . وقد اتضح للمجلس المذكور بناء على أحوال الاشخاص المذكورين وأقوالهم ومدلول ومآل كتبهم ورسائلهم ومكاتيبهم ان صبح أزل كان قد أدعى النبوة ، والمرزا حسين علي (بهاء الله) كان يدعي نزول الوحي عليه بالعربية والفارسية ، وانه المهدي

---

(١١٢) الارشيف التركي : المصدر السابق ، لف ٦ .

المنتظر ، ثم ادعى النبوة • ورأى المجلس أيضا ان استمرار هؤلاء في ضلالاتهم سوف يؤثر في بعض الجهال والسذج مر المسلمين فيتكاثر اتباعهم مما يؤدي بالنهاية الى حدوث عصيان مسلح وخروج على السلطان • ولذا تقرر الحكم عليهم بالنفي المؤبد الانفرادي ، فأرسل يحيى نور مع أغا جان الى قلعةماغوسه في قبرص ، وأرسل البهاء ومريدوه الى قلعة عكا ، كما تقرر قطع المرتبات التي خصصت لهم سابقا والاستعاضة عنها بيومية مناسبة[١١٣] •

تشكيل لجنة تخطيط الحدود (١٨٤٣ ـ ١٨٦٥) :

بعد حملة علي رضا اشا على المحمرة (١٨٣٧) واصلت السلطات الفارسية تقديم الاحتجاجات الى الباب العالي • ولم تقتصر المجهودات الفارسية على تلك الاحتجاجات وانما قام معتمد الدولة منوجهر خان باحتلال الفلاحية والمحمرة (١٨٤٠ ـ ١٨٤٢) ، وانسحب ثامر الى البصرة • واخذ والي بغداد يساند بقوة مطالب ثامر بالعودة الى مشيخته • ورد الفرس على ذلك بأن طالبوا بعربستان حتى القرنة • وفي أعقاب ذلك وقع نزاع بين جابر شيخ المحمرة وبين السلطات الفارسية أدى الى انسحاب جابر مع افرادعشيرته الى البصرة بعد أن تسلم تعليمات سرية بهذا الخصوص من والي بغداد[١١٤] •

شعر الفرس بأن العثمانيين سيواصلون ضغطهم لاستعادة المحمرة لذا قاموا ببناء قلعة على أسوارها • وقد ادى هذا العمل الى احتجاج العثمانيين

---

(١١٣) المصدر السابق (مطالعة المجلس المخصوص الى الصدر الأعظم) • اسلمنت : المصدر السابق ص ٣٨ـ٣٩ • توفي البهاء في ٢٨ آيار ١٨٩٢/٢ ذي القعده ١٣٠٩ هـ ، ودفن بمنفاه في قلعة عكا • ومقبرته الآن مزار ومحج للبهائيين ومن أهم مؤلفاته « الأقدس » الذي نسخ به « البيان » الذي كتبه الباب علي بن محمد مؤسس البابيه • انظر : عبدالرزاق الحسيني : المصدر السابق ، ص ٨١ ، ١٠٨ • اسلمنت : المصدر لسابق ، ص ٢٧ـ٢٩ •

(١١٤) الارشيف التركي : تصنيف الارادة ، رقم ٢٩٥٨ ، لف ٢ • عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ـ٣٣٣ •

لكون المحمرة تتبع البصرة التي يفصلها عن الاراضي الفارسية نهر دجيـل (الكارون) ، وان الحفار الذي تقع عليه المحمرة ليس منفذا طبيعيا للنهر وانما هو قناة صناعية تابعة للدولة العثمانية • ولكن عجز السلطات الفارسية عن ادارة ديار كعب اضطرتهم الى مفاوضة الشيخ جابر واعادته الى حكم المحمرة ومعه عشيرته •

لقد ادت مشكلة الحدود الى ان يستعد الفرس لخوض حرب شاملة مع العثمانيين ، وهددوا بارسال جيش لاحتلال البحرين والكويت ، وطالبوا بلواء السليمانية وبعربستان حتى القرنة ، وبابعاد الامراء الفرس المقيمين ببغداد • فردت السلطات العثمانية بتعبئة قواتها على الحدود ، وبدأت المناوشـات الحدودية ـ خاصة في قاطع السليمانية • ولكن تورط انكلترا وروسيا جعلهما يلجآن الى اسلوب المفاوضات والموافقة على تشكيل لجنة رباعية من الدول الاربع المذكورة مهمتها الرئيسة وضع خريطة دقيقة وتفصيلية للحدود بين الدولتين يمكن الرجوع اليها عند حدوث نزاع جديد في المستقبل •

وضع لايارد Layard اول مشروع بريطاني للحدود جعل فيـه المحمرة تابعة للدولة العثمانية وجعل نهر بهمشير المنفذ المائي الوحيد لفارس في عربستان مؤكدا ان الحفار قناة صناعية ومعترضا على أي حق للفرس بالملاحة في شط العرب[١١٦] • ولكن الانكليز سـرعان ما عدلوا عن رأيهم وأخذوا بوجهة النظر الروسية القائلة بضم المحمرة الى فارس •

اتخذت لجنة الحدود مدينة ارضروم التركية مقرا لها ، وباشرت بجمع الوثائق المتعلقة بالحدود واستدعاء من يستطيع مساعدتها على اداء مهمتها ، فاستدعت الشيخ ثامر للادلاء بشهادته حول وضع المحمرة • وكلفت اللجنة

---

(١١٥) الارشيف التركي : الوثيقة السابقة • عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ •

(١١٦) Layard : Early, Vol. I., P. 407, 433-436.

فيليكس جونز ـ قبطان احدى بواخر لنج البريطانية في انهار العراق ـ بوضع خريطة تساعد اللجنة على تحديد خط واضح للحدود[117] • وعقدت لجنة الحدود اول اجتماع لها بتاريخ ١٥ مايس ١٨٤٣ ، ولكنها توقفت بعد أيام قليلة بسبب توتر العلاقات الفارسية العثمانية على اثر هجوم قوات نجيب باشا على كربلاء • ثم ما لبثت ان عادت الى النظر في مواد النزاع بعد ان توصلت الدول الاربع الى تصفية أزمة كربلاء • وكانت المطالب الفارسية على النحو التالي :

١ ـ اعادة الأمراء الفارين الى فارس ، وامتناع السلطات الثمانية عن مساندة امثالهم في اتخاذ الأراضي العثمانية قواعد للتآمر على النظام الفارسي •

٢ ـ حق اشتراك الشاه مع السلطان في اختيار حاكم على السليمانية •

٣ ـ حق الشاه في تعيين قناصل لدى الدولة العثمانية ، ومنح القنصل الفارسي حق حماية الرعايا الفرس ، وحق مغادرة البلاد والعودة اليها وقتما يشاء •

٤ ـ احترام رعايا الشاه الموجودين في الدولة العثمانية ، وتطبيق المساواة بين رعايا الدولة العثمانية بغض النظر عن الدين أو المذهب •

٥ ـ اعادة العشائر الفارسية التي هاجرت الى الاراضي العثمانية •

٦ ـ دفع تعويضات عن :

أ ـ هجوم امير راوندوز (ميركور) على الاراضي الفارسية ١٨٣٢ ـ ١٨٣٦ •

ب ـ الخسائر التي لحقت بالفرس خلال حملة علي رضا على المحمرة (١٨٣٧) •

جـ ـ الخسائر التي لحقت بالفرس خلال أزمة كربلاء (١٨٤٢ـ١٨٤٣)•

---

(١١٧) عبدالعزيز نوار : المصدر لسابق ، ص ٣٣٥ـ٣٣٦ •

٧ ــ معاقبة العشائر العثمانية التي تهاجم الاراضي الفارسية .

٨ ــ تسهيل امر الزوار والحجاج الفرس الى العراق والحجاز .

٩ ــ تخفيض الضرائب المفروضة على الفرس في نقطة طرابزون الحدودية .

١٠ــ دفع متأخرات ايجار الرعي في الاراضي الفارسية .

١١ــ رفع القضايا القائمة بين الفرس والعثمانيين الى المحاكم الشرعية ،وبضمن ذلك القضايا التجارية .

١٢ــ الغاء الضرائب المفروضة على دفن الموتى في العتبات المقدسة ، وعلى عبور الانهار ودخول الخانات او عند الحصول على تذكرة السفر . والغاء أية ضريبة مستحدثة فرضت على الرعايا الفرس ، والاكتفاء فقط بالضريبة المفروضة على الاموال التجارية والمحددة بـ ٤٪ .

اما مطالب الجانب العثماني فأهمها ما يلي :

١ ــ انسحاب الفرس من زهاب والمحمرة .

٢ ــ اعتراف الحكومة الفارسية بمعاهدة بلطة ليمان المعقودة بين الدولتين العثمانية والبريطانية (١٨٣٨) .

٣ ــ احترام احكام المواد الواردة في معاهدات ١٦٣٩ ، ١٧٤٦ ، ١٨٢٣ .

٤ ــ دفع تعويضات عن الخسائر التي لحقت بلواء السليمانية من جراء الهجمات الفارسية عليه .

٥ ــ تحديد تبعية مجموعة مر العشائر المتنقلة على الحدود ، واعادة بعض العشائر الموجودة فعلا في الاراضي الفارسية الى حظيرةالدولةالعثمانية. وطالب العثمانيون بأن تكون لهم وحدهم تبعية مجموعة من العشائر الكردية والعربية الجوالة عبر الحدود التي أهمها : سنجابي ، هورامان، كلهر ، جاف ، منكور ، المحيسن ، بنو لام[١١٨] .

---

(١١٨) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ ــ ٣٣٩ . لونكريك : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ــ٣٣٥ .

تحولت جلسات اللجنة الى مشادات كلامية بين المندوبين الفارسي والعثماني ، وتطورت المناقشات الى تبادل الاتهامات والادعاءات المجردة مما ادى الى تشعب الموضوعات وتعقدها . ولما وجدت الدولتان الوسيطتان ان مشكلات الحدود تحتاج الى وقت طويل لحلها ، وحتى يمكن رسم خط حدودي واضح يقضي على أسباب النزاع في المستقبل ويحدد تبعية كل عشيرة بدقة .. أقترحتا ان تعقد معاهدة تنص على حل لبعض المشكلات القائمة وان يترك بعض منها للدراسة والتسوية ، وعلى هذا الاساس تم الاتفاق فيما بعد على ابرام معاهدة ارضروم الثانية (١٨٤٧) التي تنازلت بموجبها الدولة العثمانية عن مطالبها في عربستان الى الفرس ومقابل ذلك اعترف الجانب الفارسي بسيادة الدولة العثمانية على لواء السليمانية .

واستمرت اجتماعات لجنة الحدود خلال ١٨٤٩ ـ ١٨٥١ ولكن دون جدوى ، فانتقلت المفاوضات الى عواصم الدول الاربع بناء على اقتراح الجانب الانكليزي بينما تركت لجنة فنية في ارضروم لتقوم باستكمال دراسة الحدود ووضع خريطة لها . وخلال قيام اللجنة بعملها نشبت حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦) فتوقفت اللجنة عن العمل. ولم تكد تنتهي هذه الحرب حتى أعلن الانكليز الحرب على الشاه واتهموه بالخضوع للتوجه الروسي بسبب قيامه بارسال حملة الى هرات ضد الامير الافغاني المتحالف مع الانكليز . وقامت البحرية البريطانية باحتلال المحمرة واجبرت الفرس على عقد معاهدة باريس (١٨٥٦) ، فعادت لجنة الحدود الى عملها ، واستمرت الدراسات من ١٨٥٧ ـ ١٨٦٥ ووضعت خلالها خريطة للحدود من جبال أرارات الى الخليج العربي ، وقدمت الخريطة ليعتمدها الطرفان ، ووافق كل منهما عليها . ومع ذلك لم تحسم هذه الخريطة نزاع الحدود ، ومن ذلك أن قبيلة هماوند الكردية أثارت الفوضى على الحدود لسنوات عديدة .

واستمرت أزمة قبيلة هماوند وغيرها من المشاكل المعتادة حتى عهد مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) الذي شهد اول زيارة رسمية لشاه قاجاري

للعراق وهو الشاه ناصر الدين (١٨٤٨ ــ ١٨٩٦)[١١٩] .

ان مسببات الصراع العثماني الفارسي في عهد مدحت باشا هي نفسها التي واجهها ولاة العراق بعد عقد معاهدة ارضروم الثانية ، واهمها مشكلة العشائر المتنقلة عبر الحدود ، وحماية خطوط البرق من هذه العشائر ، ومسألة توافد الزوار الفرس الى الاماكن المقدسة . وكانت اول مشكلة عشائرية صادفها مدحت هي اعتداء عشائر هماوند على نواحي السليمانية بتحريض وحماية حاكم زهاب الفارسي . كما كانت عشائر سنجابي الفارسية تعتدي على خطوط البرق . كذلك اشاعت عشائر الفيلية الفوضى على الحدود المشتركة وهاجمت نواحي شهربان وقزلرباط وقامت بسلب قوافل الزوار . وواجه مدحت مشكلة عشائر هورامان التي تعرضت لحملات ابادة من قبل الفرس ، فاضطر الى قبول لجوئها الى العراق واسكنها في نواحي السليمانية[١٢٠] .

ونظرا لخطورة تلك الاحداث اتفقت الدولتان على تبادل وجهات النظر حول مشكلات الحدود وتوصلتا الى وضع بروتوكول في سنة ١٨٦٩ وقعه الطرفان ــ بتوثيق من روسيا وبريطانيا ــ يتضمن اقرار الدولتين على احترام خط الحدود المبين على الخريطة التي وضعتها لجنة تخطيط الحدود . ووفق هذا البروتوكول ظلت المنحدرات الجنوبية الغربية في بشتكوه قرب دجلةعلى ما كانت عليه لحين تثبيت الحدود بدقة ، على ان لا تبنى أية مبان او حصون على هذه الاراضي[١٢١] .

وخلال زيارة ناصرالدين شاه للعراق سنة ١٨٧٠ جرت مفاوضات بين الطرفين حول مشكلة الحدود والمشاكل الاخرى المعلقة بين البلدين وهي :

---

(١١٩) عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٣٤٥ــ٣٤٧ .

(١٢٠) عباس العزاوي : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٢ــ١٨٦ ، ٢٢٤ . لونكريك : المصدر السابق ص ٣٦٥ــ٣٦٦ . عبدالعزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٤٣٥ــ٤٣٦ .

(١٢١) Aitchison : A Collection, Vol. XII., P. 21-22. نقلاً عن عبدالعزيز نوار ؛ المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

١ ـ دفن الموتى : اتفق الطرفان على انه لا تدفن رفات المتوفى الفارسي في الاماكن الدينية الا بعد مرور سنة واحدة على الوفاة .

٢ ـ سعر صرف السكة الفارسية : تحديد سعر الصرف للقران بثلاث قروش وعشر بارات.

٣ ـ تحف ومجوهرات العتبات المقدسة : تقرر عدم التصرف بها وابقائها مكنوزة .

٤ ـ مشكلة الحدود : جرت بشأنها مفاوضات طويلة الا انها انفضت دون الوصول الى نتيجة مجدية . ففي الوقت الذي اتفق فيه الطرفان على منع تجاوز واعتداء عشائر هماوند وسنجابي الكردية الا ان حرس الحدود الفرس لم يلتزموا بتطبيق بنود هذا الاتفاق ، فاضطر مدحت باشا الى انشاء مواقع عسكرية في الممرات التي تربط بين حدود البلدين لمنع التجاوز بقوة السلاح(١٢٢) .

وفي سنة ١٨٧٦ عادت مشكلات الحدود الى الظهور عند « قطور » و « زهاو » واستمرت المنازعات بين الدولتين ، وقدمت فارس مذكرة جاء فيها :

١ ـ ان استمرار احتلال قطور وعدة اماكن اخرى يعد انتهاكا لنصوص معاهدة ١٨٤٧ .

٢ ـ سوء معاملة الزوار والحجاج الفرس .

٣ ـ عدم تنفيذ الوعد بنقل مرزا عباس من بغداد ، وكان هذا المرزا من مثيري الشعب في ايران .

٤ ـ عدم الجدية في تحديد الحدود .

٥ ـ مشكلة جزيرة شهلة في شط العرب(١٢٣) .

---

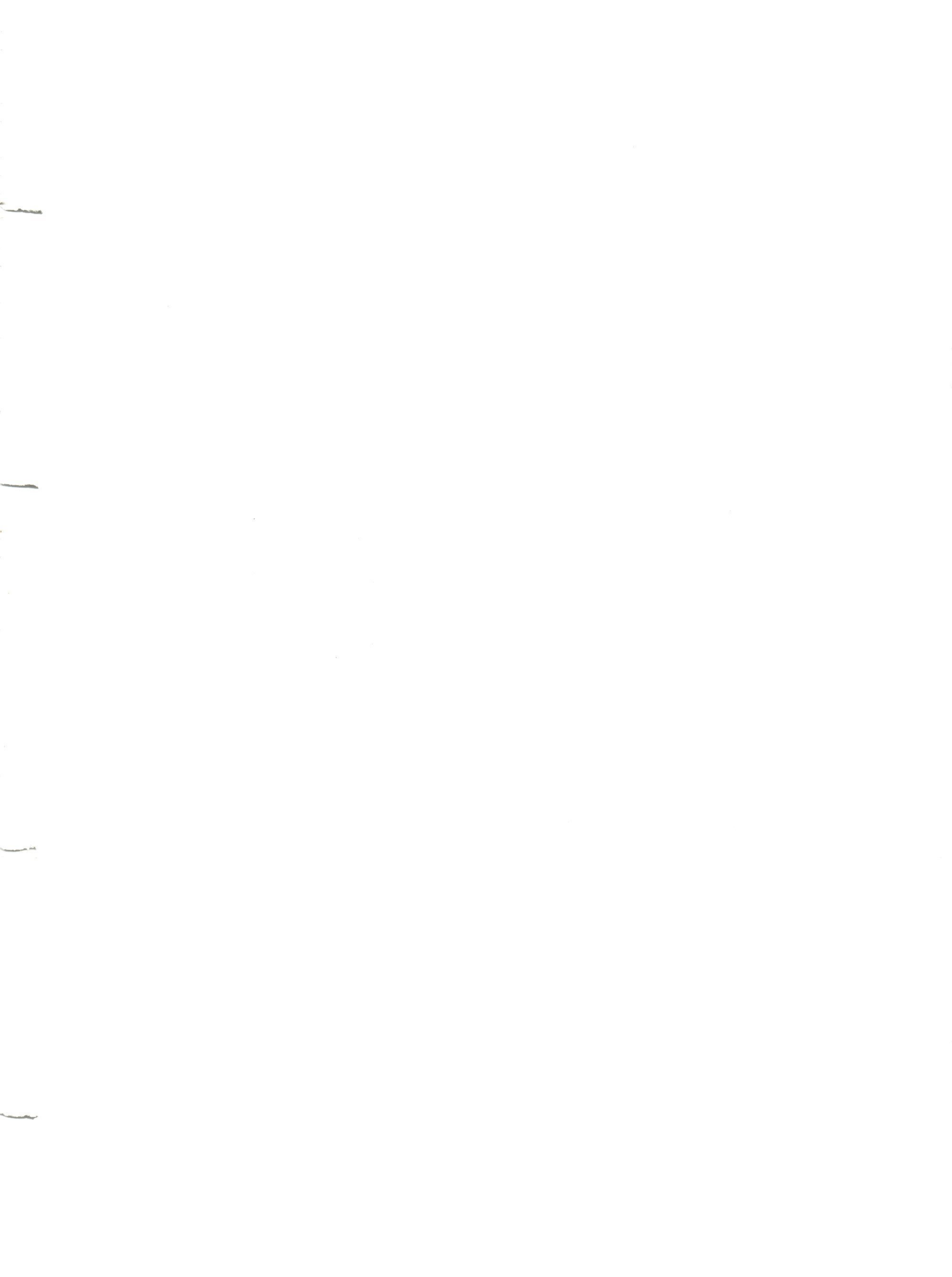
(١٢٢) مدحت باشا : تبصره عبرت ، استانبول ١٣٢٥ هـ ج١ ، ص ٩٦ ـ ٩٨ .

(١٢٣) عبد العزيز نوار : المصدر لسابق ، ص ٤٣٨ـ٤٣٩ .
Aitchison : Ibed, P. 22.

الفصل الرابع

الوضع التاريخي لمدن واراضي الحدود الشرقية البرية للوطن العربي

د . عماد عبدالسلام رؤوف
كلية التربية ـ جامعة بغداد



ان تاريخ العلاقات الايرانية العراقية في العصر الحديث ، لا يمثل جانب منه ، في الاقل ، الا تاريخ التجاوز المستمر على الاقاليم الحدودية للعراق ، وضمها تدريجيا ، وبذرائع مختلفة ، الى الولايات الايرانية الغربية. ان الانتقاص الدائم من سيادة العراق ، مهما كان نوع السلطة فيه ، على أراضيه الشرقية ، كان سببا رئيسا في توتر العلاقات السياسية بين السلطتين الفارسية والعثمانية ، وليس نتيجة له . كما كان ، من نواح أخرى ، سببا في اراقة كثير من دماء سكان تلك الاراضي ، وتخريب مناطق واسعة ، وتعطيل الزراعة والرعي وجميع مظاهر الانتاج الاقتصادي فيها .

لم تكن الحدود العراقية ـ الايرانية بصفتها الحاضرة حدودا ثابتة ، بل هي مجرد الصورة الاخيرة للتجاوزات الايرانية على الارض العراقية عبر التاريخ ، وكانت هذه الحدود تتخذ في كل حقبة صورة مختلفة ، هي أبعد عن الانصاف والحقيقة ، من صورتها في الحقبة التي سبقت .

ان مدنا واراضي عديدة مثل « بانه » و « سربل زهاب » و « كرند » و « قصر شيرين » و « نفط شاه » و « سومار » لم تكن مدنا وأراضي ايرانية حتى عهد قريب ، وانما جرى ضمها بالقوة المسلحة على مراحل بطيئة لكنها دائبة(*) .

وقد اتبعت الحكومات الفارسية في توسعها الدائب على حساب ارض العراق ، السياسات الرئيسة الآتية :

١ ـ سياسة التدخل في الشؤون الداخلية . حيث استغلت تلك الحكومات بعض الاوضاع والمشاكل التي كانت قائمة في العراق أبان العصر العثماني ، وخاصة في ولاية شهرزور (السليمانية ـ اربيل ـ كركوك) لفرض نفوذها

(*) تراجع لاغراض البحث الخارطة رقم (٤) .

السياسي على تلك المناطق • وقد جهدت الحكومات الفارسية المتعاقبة،وبخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لايجاد حكام لتلك المناطق موالين لها • فكانت تستغل حالات توتر العلاقات بين اولئك الحكام والحكومة المركزية في بغداد لتتدخل عن طريق فرض هذا المرشح أو ذاك ، أو باسناده بالقوةالمسلحة اذا لزم الامر ، أو بتهديده أحيانا ، وذلك بهدف زيادة نفوذها في تلك المناطق العراقية الستراتيجية ، وفرض نوع من الهيمنة السياسية عليها ، تمهيدا لضمها الى بلادها في نهاية المطاف • وقد أدى هذا الاسلوب دورا غير حميد في انتزاع ايران مدنا واراضي عراقية مهمة في منطقة شهرزور ، فضلا عن احداث اضرار ومآس متنوعة في الاراضي العراقية الاخرى استمرت حتى توقيع معاهدة أرضروم سنة ١٨٤٧ التي كشفت عن تحول اهتمام ايران الى اقليم الاحواز العربي •

٢ ـ سياسة التضليل الدبلوماسي

لم تثبت ايران حدودها البرية الغربية ، ولم تعلن عنها بصفة رسمية ، فقد كانت‌تعمد ، عقب توقيعها أية معاهدة حدود ، الى التجاوز على بنود تلك المعاهدة ، بفرض واقع جديد يستدعي عقد معاهدة اخرى ، فاذا ما عقدت ، شرعت باستغلالها لتثبيت ما كانت قد حصلت عليه في الحقبة السابقة ، والتهيئة في الوقت نفسه ، الى عمل توسعي آخر •

لقد نقضت الحكومات الايرانية معاهدات عديدة طوال العصر العثماني محققة ، من ورائها ، مكاسب اقليمية توسعية • من ذلك مثلا ان معاهدةارضروم سنة ١٨٤٧ كانت في حد ذاتها مكسبا للحكومة الايرانية آنذاك،اذ استولت فيه على أراض مهمة في منطقة زهاب العراقية ، وعلى اقليم الاحواز العربي ، الا انها لم تكف عن المضي في ضم الاراضي والتوسع وخلق حالة من الفوضى على طول خط الحدود ، وصولا الى وضع معقد يمكن استغلاله في عقد معاهدة جديدة • وقد تم لها بعض ذلك في بروتوكول الحدود في الاستانة سنة ١٩١٣

الذي أخذ بمبدأ استبقاء الوضع الراهن ، وهو الوضع الناجم عن التغييرات التي طرأت على الحدود ما بين سنة ١٨٤٨ وسنة ١٩٠٥ ، وهذه التغييرات تعني الواقع الذي فرضته ايران خلال المدة المذكورة •

٣ ـ سياسة تغيير التركيب القومي والقبلي

لقد راعت المعاهدات المعقودة بين الطرفين العثماني والايراني ـ في معظم الاحوال ـ الوضع القبلي على المناطق الحدودية بين دولتيهما ، فأقرت وحدة العشيرة ، وحالت دون شطرها بحسب الحدود الفاصلة ، بأن ثبتت تبعية كل قبيلة لاحدى الدولتين ، وتركتها تنتقل بحرية تامة بين مشاتيها ومصايفها[1] • فشكل هذا عاملا متحركا مناقضا لمبدأ ثبات الحدود واستقرارها ، فالقبائل التي عينت تبعيتها معاهدة زهاب في القرن السابع عشر ، تكاثرت ، وتفرعت ، واكتسبت اسماء جديدة على مر الزمن ، بل وغيرت مواطنها على نحو شامل[2] ، مما جعل من العسير تحديد الحدود بين الدولتين في تلك المواطن ، وخلق وضعا قانونيا معقدا بسبب ازدواجية السيادة على افراد القبيلة ، وعلى ارضها في وقت واحد •

ولقد دأبت الحكومات الايرانية المتعاقبة ، وبخاصة منذ منتصف القرن الثامن عشر ، على استغلال هذا العامل المتحرك في دفع حدودها مع العراق ، والتوسع على حساب اراضيه التاريخية تدريجيا • وكانت وسيلتها في ذلك دفع القبائل الفارسية واللورية غربا للضغط على القبائل العربيـة في تلك المناطق الحدودية وطردها منها • أو تشكيل نسبة عددية من اتباعها من شأنها ان تغير

---

(١) جابر الراوي : الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية (بغداد ١٩٧٥) ص ٢١٥ •

(٢) انظر درويش باشا : تقرير درويش باشا رئيس لجنة تحديد الحدود الايرانية العثمانية قدمه سنة ١٨٥٣ وطبع في استانبول سنة ١٣٢١ ترجمة وزارة الخارجية العراقية (بغداد ١٩٥٣) البند ٤٧ •

الكيان القومي في المناطق المذكورة ، تمهيدا لسلخها عن الارض العراقية وضمها الى ايران •

٤ ـ سياسة القوة المسلحة

دأبت ايران ، منذ بدايات العصر الحديث ، على استخدام القوة العسكرية لانتزاع اجزاء من ارض العراق ، وضمها اليها عنوة • وقد طغى هذا الاسلوب على علاقات ايران بالولايات العراقية ، وسار بتوافق مع الاساليب الاخرى ، لتحقيق أكبر المكاسب التوسعية ، عن طريق فرض الامر الواقع بالقوة ، ثم تكريسه بالوسائل السياسية والاجتماعية المختلفة •

ان سياسة « القضم » المستمرة التي انتهجتها الحكومات الايرانية ازاء مناطق الحدود العراقية ، كانت تتوخى ، بالدرجة الاولى ، تغيير معالم تلك المناطق المستولى عليها من مدن وقرى وجماعات بشرية ، بل ومسخ اسمائها ، لتغدو كأنها جزء من البلاد الايرانية• بيد ان أية دراسة مدققة للظروف التاريخية التي مرت بها هذه المناطق ، تكشف بوضوح عن حقيقة مهمة، هي أن سياسة التوسع الدائب من الجانب الايراني ، وسياسة السكوت والتراجع من الجانب العثماني ، هما المسؤولتان عن سلب العراق أجزاء مهمة من اراضيه القومية •

لقد كانت اراضي الحدود العراقية معروفة منذ القرون الوسطى ، بشكل أفاض في وصفه البلدانيون والجغرافيون المسلمون أبان تلك المرحلة ، وبقيت كذلك طوال العصور التالية ، وقبل احتلال العثمانيين للعراق ، وعقد اول معاهدة عثمانية ـ ايرانية • مثال ذلك انه حينما احتل الصفويون العراق سنة ١٥١٠ اعلنت الدولة العثمانية ان هذا الاحتلال يمثل خرقا لحدودها، أي تجاوزا لحدود ايران المعروفة نفسها ، ولم تكن ، أي الدولة العثمانية ، قد استولت على العراق بعد[٣] • وفي معاهدة فرهاد باشا المعقودة بين الطرفين سنة ١٥٩٠ تركت

---

(٣) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط (طبعة خامسة) ص ٣٣ •

شهرزور بيد الاخيرة[٤] ، دون أي تحديد لحدودها ، مما دل على انها لم تكن خافية على أهل ذلك العصر • ويمكن القول ان عدم تفصيل المعاهدات الاولى بين الطرفين لحدودهما كان بسبب وضوح تلك الحدود ، اتباعا للقاعدة القائلة بأن المعروف لا يعرف ، ولم تأخذ المعاهدات المتأخرة بالتفاصيل الا بعد أن برزت مشكلة التجاوزات الايرانية على أراضي العراق واقتطاع اجزائه الشرقية •

وان اية دراسة لحدود العراق البرية التاريخية يقتضي ان تعتمد الاسس الآتية :

١ ـ اجماع المصادر القديمة ، وبخاصة الاسلامية منها ، على المدى الذي كانت تصل اليه حدود العراق ، والاقاليم التي يتألف منها العراق في العصور الاسلامية ، لا سيما العصر العباسي ، حيث أسهبت تلك المصادر في ذكر حدود العراق ، والمناطق التي تنتهي اليها أراضيه لتبدأ من بعدها اراضي الطرف الآخر •

٢ ـ تنظيمات العراق الادارية خلال القرون الاخيرة ، حيث تنص تلك التنظيمات على اسماء الوحدات الادارية ، وطبيعة ارتباطها بالادارة المركزية للولايات العراقية • وكثير من اسماء تلك الوحدات الحدودية يعين المدى الذي تبلغه حدود العراق آنذاك • وهي تطابق ـ بصفة عامة ـ ما كان معروفا من حدوده في العصر العباسي وما بعده •

٣ ـ المعلومات التاريخية المستمدة من النصوص العديدة التي وردت في كتابات المؤرخين العراقيين والعثمانيين والاوربيين، والفرس أحيانا، وفي رحلات

---

(٤) انظر موجز هذه المعاهدة في أحمد راسم : عثمانلي تاريخي (استانبول ١٣٢٩هـ) جـ٣ ص ١٠٤٣ وكامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية (استانبول ١٣٢٧) وقد ترجمها عن المصدر الثاني شاكر صابر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران (بغداد ١٩٦٦) ص ٢١ •

السياح الاجانب الذين مروا في المنطقة وأشاروا الى نوع تبعيتها السياسية والادارية .

٤ ـ المعاهدات والاتفاقات العديدة الخاصة بحدود العراق البرية التي عقدت بين الدولة العثمانية بصفتها صاحبة السيادة عليه آنذاك،وبين الحكومات الايرانية المتعاقبة . وتبدأ هذه المعاهدات بمعاهدة أماسية سنة ١٥٥٤ وتنتهي باتفاق الاستانة ١٩١٣ . ويتضح من دراسة المواقع التي اشارت اليها المعاهدات الاولى ، انها أقرت حدود العراق الاقليمية كما نصت عليها المصادر الاسلامية السابقة ، ولم تزد على تثبيت واقع تلك الحدود شيئا . بيد ان ضعف الدولة العثمانية المستمر، والمشاكل المتنوعةالتي كان يعاني منها العراق على نحو خاص، تسببا في اقرار بعض المعاهدات المتأخرة ، للتجاوزات العديدة التي قام بها الجانب الايراني على تلك الحدود .

ونظرا لطول حدود العراق البرية ، وتنوع الظروف التاريخية التي أثرت فيها ، فسوف نقسمها على ثلاثة أقسام ، هي :

الاول : من ملتقى حدود الدولتين الى منطقة اورمان .

الثاني : من درتنك الى نفط شاه .

الثالث : من سومار الى دهلران حيث يبدأ اقليم الاحواز .

ـ ١ ـ

يخترق خط الحدود الحالي المنحدر من نقطة التقائه بالحدود الايرانية ، وحتى منطقة حلوان (زهاب) ، ما كان معروفا باسم « كورة شهرزور »القديمة. فقسم من هذه الكورة يشكل الآن محافظات السليمانية واربيل وبعضا من التأميم (كركوك) في العراق ، والقسم الآخر منه يؤلف ما يعرف حاليا باستان كردستان (أو اردلان) وجزءا من استان كرمانشاه وجزءا من استان اذربيجان

الغربية في ايران . ووصف الجغرافيون المسلمون في القرون الوسطى حدود شهرزور بانها « كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان »[٥] . وقد ضمت شهرزور الى الموصل ، حتى انفصلت عنها في آخر خلافة الرشيد[٦] . وفي مرحلة ضعف الادارة العباسية انحسرت عنها سلطة الدولة الفعلية ، لتنشأ فيها عدة امارات محلية[٧] ، ثم عادت ، في اول القرن الثاني عشر ، جزءا من امارة الموصل ، ثم من امارة اربل ، وكانت اربل نفسها تعد من أعمال الموصل ، أو من العراق العربي[٨] .

ولقد أدى سقوط العراق بأيدي المغول في القرن الثالث عشر الى احداث تغييرات مهمة في أحوال شهرزور ، فقد اندثر قسم من مدنها ، كمدينة شهرزور نفسها ، وانتقل مركز ثقلها الى قراها الريفية . ونشأت في أعمالها الريفية هذه امارة مستقلة عرفت بامارة حكام اردلان[٩] ، وشملت نواحي زلم وسروجك وقرەداغ وشهربازار وهاورن (هرون) وقزلجة (في العراق الحالي) وتغسو وشميران والان ودمبران وسنه (سننذج) وحسن آباد (في ايران الحالية) . واستمرت هذه الامارة مستقلة موحدة حتى القرن السادس عشر ، اذ انضمت مع احتفاظها باستقلال ذاتي محدود ، الى الدولة العثمانية . فاصبحت

---

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان (بيروت ١٩٥٧) ٣/٣٧٥ وزكريا القزويني : آثار البلاد واخبار العباد (بيروت ـ دار صادر د . ت) ص ٣٩٧

(٦) البلاذري : فتوح البلدان (القاهرة ١٩٥٩) ص ٣٢٩ وابن الاثير : الكامل (القاهرة ١٣٥٣) ٣/١٩ .

(٧) انظر عنها زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة (القاهرة ١٩٥١) ص ٣٢١ ومحمد امين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (القاهرة ١٩٦١) ١/١٣١ و ١٣٥ .

(٨) دائرة المعارف الاسلامية . مادتا اربل لهارتمان وشترك (الترجمة العربية . القاهرة ط٢ جـ٢ ص ٥١٥ـ٥٢٤) .

(٩) شجرة امرائها في زامباور : المصدر السابق ص ٣٩٦ .

مدنها وقراها المذكورة من املاك هـــذه الدولة[10] . وعندما حاولت الدولة الصفوية في ايران استغلال الخلافات بين أفراد البيت الاردلاني الحاكم لبسط نفوذها على الامارة ، ضم العثمانيون هذه الامارة الى ادارتهم بصفة مباشرة، فاصبحت تعرف بايالة شهرزور ، وبذلك فقد استرجعت المنطقة وضعها الطبيعي السابق في العصر العباسي وأصبحت تعد جزءا أساسيا من أعمال المدن المركزية في العراق . ويعين البدليسي تاريخ اعادة شهرزور الى وضعها المذكور في حدود سنة ١٥٦١ فيقول « وهكذا دخلت ولاية شهرزور في عداد الممالك السلطانية، واصبحت من ذلك التاريخ احدى الولايات الملحقة للدولة العثمانيـــة »[11] وجعلت سنه (سنندج) وحسن آباد ، وقزلجة ، وقرهطاغ (قرهداغ) ومهروان (مريوان) وشهربازار وغيرها ، سناجق (ألوية) على حسب القاعدة المتبعة في الولايات العراقية الاخرى ، ومنحت الى أفراد من الاسرة الحاكمة السابقة[12] . وعندما وضعت قواعد الادارة في العراق في آخر القرن السادس عشر، أصبحت ايالة شهرزور تتألف من ٢١ سنجقا[13] ، وتشمل مناطق واسعة تصل شـــمالا الى الطرف الجنوبي من بحيرة اورميه وتصل شرقا الى سنه ويحكمها وال يقيم في قلعة كلعنبر (في جنوب السليمانية)[14] . وقد أقرت الدولة الفارسية وضع الولاية المذكور في المعاهدة المعقودة بينها وبين الدولة العثمانية سنة ١٥٩٠ ثم

---

(١٠) البدليسي : شرفنامه ، ترجمة محمد علي عوني (القاهرة ١٩٦٢) ٢/ ٨٠-٨٢ .

(١١) المصدر نفسه ٢/٨٤ .

(١٢) المصدر نفسه ٢/٨٥ .

(١٣) اوليا جلبي : اوليا جلبي سياحتنامه سي (استانبول ١٣١٤) ٤/ ١٨٦ .

(١٤) المصدر نفسه ٤/٣٧٠ وهامر : دولت عثمانية تاريخي ، ترجمة محمد عطا (استانبول ٣٣٥) ٩/١١٣ .

اعادت اقرارها هذا في معاهدة سنة ١٦١١[١٥] وفي معاهدة سنة ١٦١٣[١٦] ، وبذلك فقد رسمت هذه المعاهدات حدود العراق البرية في ذلك العهد •

وعلى الرغم من اعتراف السلطة الفارسية بهذه الحدود المرة تلو الاخرى، فانها ما انفكت تحاول التدخل في شؤون ايالة شهرزور الداخلية عن طريق تحريض بعض الحكام العثمانيين من السلالة الاردلانية على الولاء لها • وفي زمن الغزو الفارسي للعراق (من ١٦٢٢ الى ١٦٣٨) سلخت السلطة الفارسية لواء سنه ، ولم تعده اليه معاهدة زهاب المعقودة بين الطرفين سنة ١٦٣٩[١٧]، فجعل ذلك الحدود الايرانية ـ العراقية تتخذ شكلا غائرا في الارض العراقية، وهو ما اطلقت عليه المعاهدة المذكورة عبارة «المنفذ[١٨] المتجه نحو شهرزور» • وقد أمسى هذا « المنفذ » الايراني ، بمثابة الجسر الذي تدخلت عن طريقه الحكومات الايرانية المتعاقبة في شؤون المناطق الاخرى من شهرزور وشمالي العراق بصفة عامة •

وفي المراحل التي تلت معاهدة زهاب ، استمرت ايران في عملية سلخ

---

(١٥) وتعرف باسم نصوح باشا • وقد أوجز نعيما ، مصطفى الحلبي (ت ١٧١٦) بنودها في تاريخه ، روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين (استانبول ١٢٨٠ هـ) ٢/٨٨ وعربها عنه شاكر الضابط : المصدر السابق ص ٢٢ـ٢٣ •

(١٦) نعيما : المصدر نفسه ٢/١١٣ •

(١٧) انظر نصوص المعاهدة في نعيما : المصدر نفسه ٣/٤٣٠ ومعاهدات عمومية مجموعة سي (استانبول ١٢٩٤) ٢/٣١٠ـ٣١٢ واحمد راسم : عثمانلي تاريخي ٢/٩٧ ونقلها الى العربية ، بايجاز ، شاكر الضابط : المصدر السابق ص ٣٤ ونص المعاهدة بالفارسية في اسكندر بيك تركمان : ذيل تاريخ عالم آراي عباسي ، تصحيح سهيلي خوانساري (تهران ١٣١٧) ص ٢٢٠ـ٢٢٧ •

(١٨) في الاصل التركي « كدوك » وقد ترجمها الضابط « البروز » •

أجزاء من العراق ، وتغيير مناطق الحدود لغير صالحه ، ويمكن ايراد «نماذج» منها على النحو الآتي :

أ ـ اشنى (اشنو ، اشنويه)

مدينة قديمة ، انشأها ـ على رواية ـ الخليفة هارون الرشيد ودمرها المغول ، ثم اعيد تعميرها في عهد الجلائريين • وهي احدى ألوية ايالة شهرزور في العصر العثماني[١٩] ، وموقعها اليوم عند بداية الحدود العراقية ـ الايرانية ، بين خط الحدود نفسه ، وبحيرة اورميه (رضائية كما سماها الفرس) • وقد ورد اسمها ضمن التنظيمات الادارية في القرن السادس عشر لكونها اللواء العشرين في تلك الايالة[٢٠] • وتولى تمثيل السلطة الرسمية فيها سلالات حاكمة قبلية ، تقوم بجباية ضرائب اقامة القبائل المسماة « خراج » باسم الدولة[٢١] • وعند توسع امارة راوندوز في عهد محمد باشا ميركور (١٨١٣ ـ ١٨٣٨) مد هذا الامير نفوذه الى اشنى[٢٢] ، وأخذ باستيفاء الضرائب والرسوم لحساب خزينة راوندوز • واستمر هذا الوضع حتى بعد انتهاء حكم محمد باشا المذكور • وفي أواخر القرن التاسع عشر وضع حكام ايران يدهم على اشنى بالقوة المسلحة ، وبرشوة قبائل المنطقة[٢٣] • وجاء بروتوكول الحدود المعقود بين الطرفين الايراني والعثماني في الاستانة سنة ١٩١٣ ليثبت سلخ هذا اللواء المهم تماما[٢٤] •

---

(١٩) اوليا جلبي : المصدر السابق ٤/٣٠٩ •

(٢٠) المصدر نفسه ٤/١٨٦ ـ ١٩٣ •

(٢١) درويش باشا : المصدر السابق بند ٧٠ •

(٢٢) حسين حزني المكرياني : موجز تاريخ امراء سوران ، نقله الى العربية محمد الملا عبدالكريم (بغداد د • ت) ص ٣٦ •

(٢٣) درويش باشا : المصدر السابق بند ٧١ •

(٢٤) مجموعة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود التركية الفارسية للسنة ١٩١٣ ـ ١٩١٤ (مطبعة الحكومة بغداد ١٩٥٥) وفي مقدمتها نص البروتوكول ص ٩ •

ب ـ لاهيجان (لارجان)

مدينة ومقاطعة في اقليم شهرزور القديم ، تقع اليوم مقابل خط الحدود في الجانب الايراني ، الى الجنوب من اشني ، وكانت في أواخر القرن الخامس عشر جزءا من أراضي الامارة البابانية • وبانضمام امراء البابان الى الدولة العثمانية سنة ١٥٣٤ اصبحت تلك المقاطعة جزءا من الاملاك العثمانية[٢٥] • وحتى القرن التاسع عشر كانت لاهيجان تابعة لولاية بغداد ، يحكمها ضابط يعينه متسلم كوي سنجق[٢٦] • ثم ان امير راوندوز محمد باشا ميركور مد اليها نفوذه وضمها الى امارته في حدود سنة ١٨١٣[٢٧] •

ونظرا لموقع المنطقة المهم ، والمتحكم في طرق القوافل ، والمشرف على بعض المقاطعات في ايران ، مثل ساوجبلاق ومراغة ، فقد شرعت الحكومة الايرانية بمد نفوذها اليها تدريجيا ، حتى أصبح جزء منها تحت سيطرتها فعلا منذ اواخر القرن التاسع عشر • وأصبحت تدفع رواتب لبعض زعماء العشائر المحلية هناك بأن تعدهم تابعين لها[٢٨] • وعندما قامت لجنة تحديد الحدود سنة ١٩١٣ بعملها ، كانت هذه المنطقة قد انتزعت من أعمال راوندوز، وأمست قسما مهما في ما عرف باسم « استان اذربيجان الغربية » في ايران •

جـ ـ بانـه

مدينة مهمة ، تقع اليوم في شمالي استان كردستان (اردلان) في الجانب الايراني ، والى الشرق من مدينة السليمانية العراقية • كانت ارضها قديما جزءا من كورة شهرزور ، ثم تكونت بها ، بعد سقوط بغداد بأيدي المغول ، امارة وراثية ، عرفت بامارة بانه[٢٩] • وتشير معلومات بعض السياح الذين

---

(٢٥) البدليسي : المصدر السابق ٢٧٧ •

(٢٦) درويش باشا : المصدر السابق بند ٦٢ •

(٢٧) المكرياني : المصدر السابق ص ٣٦ •

(٢٨) درويش باشا : المصدر السابق بند ٥٨ •

(٢٩) البدليسي : المصدر السابق ٣١٩/٢ •

مروا بالمنطقة الى ان بانه هو اسم المنطقة ، أما حاضرتها فتدعى « بيروزة » ثم نسي الاسم الاخير ، فاطلق اسم بانه على المدينة ذاتها ، وعرفت به منذ القرن التاسع عشر[٣٠] • ويذكر البدليسي في القرن السابع عشر ان الامارة المذكورة كانت تضم قلعتين وناحية ، احداهما قلعة بيروز ، والثانية شيوه ، اما الناحية فهي بانه • وقد حاولت السلطات الفارسية الصفوية التدخل في شؤون الامارة عن طريق فرض مرشحين لحكمها ، مستغلة ضعف السلطة المركزية في العراق قبل ضمه الى الدولة العثمانية • وعندما فتح السلطان سليمان القانوني العراق سنة ١٥٣٤ عادت بانه الى وضعها القديم كجزء من هذه البلاد[٣١] • وأصبحت أحد الالوية الستة التي تتألف منها ايالة الموصل في القرن السادس عشر • وكان يحكمها « امير لواء » يتولى الالتزامات الادارية والاقطاعية نفسها المفروضة على سائر ألوية الايالة[٣٢] • بيد ان ضعف السلطة العثمانية في المرحلة التالية أدى الى قيام بعض السلالات المحلية بحكم بانه ذاتيا ، فاطمع ذلك السلطات الفارسية المتربصة بها ، وجرت محاولة فارسية للسيطرة عليها في عهد كريم خان الزندي سنة ١٧٧٧[٣٣] ثم استولت عليها في زمن لاحق (ربما في اول القرن التاسع عشر) • ويستنتج ريج قنصل بريطانيا في بغداد آنذاك انها خضعت الى والي سنه (سنندج) بمقتضى معاهدة[٣٤] • وليس في مجموعة المعاهدات المعقودة بين ايران والدولة العثمانية ما يبرر هذا الاستنتاج ، وشهدت بانه ،

---

(٣٠) ريج ، كلوديوس : رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ ، ترجمة بهاء الدين نوري (بغداد ١٩٥١) ١٧٥/١ •

(٣١) البدليسي : المصدر السابق ٣١٩/١ •

(٣٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية (بيروت ١٩٦٥) ص ٢٣٥ عن قوانين آل عثمان لعين علي افندي (كتب سنة ١٦٠٩) •

(٣٣) جودت : تاريخ جودت ازترتيب جديد (استانبول ١٣٠٣) ٥٤/٢ •

(٣٤) ريج : المصدر السابق ص ١٥٤ •

في الربع الاول من القرن التاسع عشر ، اول مشروع ايراني لتسليحهـــا بالمدفعية[٣٥] • ويظهر ان لموقعها القريب من اراضي العراق الاخرى أثرا في ذلك • وقد أقر بروتوكول الحدود لسنة ١٩١٣ سلخ « بانه » عن ارض العراق تماما •

هـ ـ مريوان (مهروان ، مهربان)

مدينة في اقليم شهرزور ، تعد مركزا لمنطقة تعرف باسمها ، وتشكل اليوم ما يدعى بشهرستان مريوان ، احدى الوحدات الادارية المؤلفة لاســتان كردستان (اردلان) الايراني • وكانت أرضها جزءا من كورة شهرزور قديما، ثم دخلت في املاك الامارة الاردلانية التي كانت تحكم هذه الكورة ، وفي القرن السادس عشر تقريبا ، أقطع احد أمراء اردلان مريوان لفرد من اسرة كلباغي المحلية[٣٦] • ثم انتقلت تبعيتها، مع سائر ولاية شهرزور، الى العثمانيين• وبقيت كذلك حتى الغزو الفارسي (١٦٢٢) حين استولى عليها الفرس مـع ما استولوا عليه من أرض العراق ، الا انه بمجرد اندحار الغزاة وانسـحابهم سنة ١٦٣٠ استرجعت مريوان وضعها الطبيعي السابق[٣٧] • ولم يفلح الشاه الصفوي في احتلالها مرة اخرى ، لذا فقد نالت المدينة أهمية كبيرة لكونها مركزا لحامية عثمانية قوية[٣٨] • الا ان القوات المذكورة انسحبت منهـــا

---

(٣٥) المصدر نفسه ص ١٧٦ •

(٣٦) البدليسي : المصدر السابق ١/٣٢١ •

(٣٧) نعيما : المصدر السابق ٣/٢٥ وكاتب جلبي : فذلكه كاتب جلبي (استانبول ١٢٨٥) ٢/١٢٠١ وهامهر : المصدر السابق ٩/٣١٠ وميـرزا اخسائي : تاريخ فارسنامه (حجر ايران) ص ١٩٤ • ويشير المؤرخ الايرانـي اسكندر بيك تركمان في كتابه ذيل تاريخ عالم آراي عباسي ص ٤١ الى ان مريوان هي جزء من شهرزور. قال «قلعة مريوان منتهى ولاية شهرزور» وهذا يعني انها كانت ، حتى عهده (اتم تاليفه ١٦٢٧) تعد من وجهة النظر الرسمية الفارسية ، جزءا من ولاية عراقية ، وليست ارضا ايرانية •

(٣٨) اوليا جلبي : المصدر السابق ٤/٣٧٠ •

بموجب معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩ التي قضت بأن يترك السلطان العثماني « مهريان وتوابعها لتكون في تصرف الشاه وضبطه » واذ لم تكن واضحة تلك الظروف التي دعت الى التنازل عن منطقة حساسة كهذه ، فمن المؤكد ان التنازل عن أرض عراقية ، مثل مريوان ، كان يشكل مكسبا للجانب الايراني ، ناله دونما جهد كبير ، واستغله فيما بعد في التحرش بالمدن والنواحي العراقية الاخرى والتجاوز على مناطقها الحدودية .

و ـ آورمان (هاورمان)

مدينة مهمة ، يتبعها عدد كبير من القرى ، تشكل الآن ما يعرف باسم « شهرستان آورامان » التابع لاستان كرمانشاه . وكان في أصله جزءا من كورة شهرزور[٣٩] . ولبثت ، حتى القرن السادس عشر ، تعد قسما من الامارة الاردلانية الحاكمة في ذلك الاقليم ثم ضمت ، مع سائر اراضي الامارة ، الى الدولة العثمانية . وأصبحت ، منذ تنظيم الادارة في العراق سنة ١٥٧٤ لواء من ألوية ايالة شهرزور[٤٠] . ولم يتغير وضعها هذا حتى قيام السلطة الفارسية بسلخ لواء سنه من الاملاك العثمانية أثناء الغزو الفارسي (١٦٢٢ ـ ١٦٣٨) وأقر هذا السلخ في معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩ حين نصت على ترك آورمان وقراها التابعة للشاه . ونظرا لعدم وضوح هذا التحديد ، فقد عمدت ايران ، في المراحل اللاحقة ، على انتزاع كل ما يمكن انتزاعه من القرى العراقية المجاورة في منطقة حلبجة بحجة انها تابعة لاورمان . ثم مضت فادعت ، في جلسات قومسيون تحديد الحدود سنة ١٩١٣ بملكيتها لقرى عديدة اخرى

---

(٣٩) سمى العرب جبال آورمان القريبة من مدينة شهرزور التي نسبت اليها مدينة اورمان ومقاطعتها ، بجبل شعران وجبل زلم قال ياقوت في الاول «هو جبل قرب شهرزور» وقال في الثاني« هو بقرب رستاق الزاب من شهرزور» (معجم البلدان ٣/١٤٦ و ٣٤٩) .

(٤٠) اولياچلبي سياحتنامهسي ٤/١٩٠ وعباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ (بغداد ١٩٤٩) ص ٦٣ .

(أهمها اليوم نوسود وآلان القريبة من الحدود في ايران) • ورغم الادلة القوية التي قدمها الجانب العثماني ، وتشمل سجلات النفوس والضرائب والتجنيد والطابو وغيرها[٤١] ، مما يثبت ـ بما لا يقبل الشك ـ عائديتها الى العراق ، فان ايران حصلت على معظم مطالبها غير المشروعة ، مقتطعة بذلك اجزاء مهمة ، وذات قيمة ستراتيجية عالية ، من أرض العراق القومية • ان منطقة اورمان تضم اليوم نحو ١٧ قرية تابعة لقضاء حلبجة ، وناحية خورمال (في العراق) وباقي القرى تابعة لايران ، وهي نحو ١٠٠ قرية[٤٢] • منها باوه (وهي بلدة عراقية في كورة شهرزور القديمة)[٤٣] وسر قلعة ، وثلاث وغيرها •

ـ ٢ ـ

ان خط الحدود الحالي الممتد من آورمان ـ حلبجة الى نفط شاه ـ نفط خانه ، لهو صورة أخرى للتجاوزات الايرانية ، على مدن العراق وأراضيه الشرقية • واذا كان خط الحدود في المنطقة نفسها قد شطر كورة شهرزور الى شطرين ، أحدهما لايران ، فان خط الحدود في هذه المنطقة قد اقتطع « كورة حلوان » الغنية المهمة باجمعها تقريبا من العراق دفعة واحدة ، وضمها الى الجانب الايراني ، باسم جديد هو « شهرستان قصر شيرين » •

وحلوان كورة واسعة ، وصفها الجغرافيون العرب بانها قرب شهرزور

---

(٤١) مجموعة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود ص ٨٥ وقد وردت الاشارة الى هذه القرى والنواحي باعتبارها جزءا من ارض العراق في خارطة عسكرية عثمانية وضعت سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م (أي عقب معاهدة ارضروم الثانية مباشرة) بأمر مكتب حربية شاهانه ، ونفذتها (مهند سخانه برية همايون) •

(٤٢) عباس العزاوي : الكاكائية في التاريخ ص ٤١ •

(٤٣) البدليسي : شرفنامه ٣١٦/١ •

وخانقين[٤٤] . بل عدت بعض مصادر القرن العاشر خـــانقين واربل من اعمالها[٤٥] . وهي جزء من ارض العراق[٤٦] ، وفيها مدينة حلوان الشهيرة في التاريخ العربي الاسلامي . وتعد آخر مدن العراق ، ومنها يصعد الى الجبال، اذ ليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها[٤٧] . وهي بوابة بغدادالشرقية، فمصير كل منهما مرتبط بالآخر[٤٨] . وقد رسمها الجغرافيون العرب ضمن خارطة العراق العربي[٤٩] . وسماها ياقوت « حلوان العراق » وعدها «آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد »[٥٠] . واسم حلوان عربي بحت ، فالحلوان في اللغة الهبة ، وقد أشارت المصـــادر الى ان مؤسسها عربي من قضاعة ، انشأها قبل الاسلام[٥١] ، مما دل على قدم الوجود العربي في هذه المنطقة . ثم فتحها العرب المسلمون صلحا بعد معركة جلولاء ســـنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) بقيادة القعقاع التميمي ، وجرير بن عبدالله البجلي . واستوطنها العرب ، ومنهم قسم من أحفاد القائد جرير[٥٢] ، وازدهرت في عهدهم ازدهارا سريعا ، فوصفت في القرن العاشر الميلادي بانها رابع مدينة ، من حيث العمارة

---

(٤٤) محمد بن عبدالمنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار ، حققـه احسان عباس (بيروت) ص ١٩٥ .

(٤٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٦ .

(٤٦) ابو الفداء : تقويم البلدان (باريس ١٨٤٠) ص ٣٠٦ والمستوفى : نزهة القلوب (ليدن ١٩١٣) ص ٤٠ـ٤٣ والقلشندي : صبح الاعشى (القاهرة دار الكتب) ٤/٣٦٧ .

(٤٧) ياقوت : معجم البلدان ٢/٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٤٨) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، باعتناء دي غويه ، ص ٢٥٨ .

(٤٩) ابن حوقل : صورة الارض (بيروت د ت) ص ٢٠٩ .

(٥٠) ياقوت : معجم البلدان ٢/٢٩٠ وابـو الفـداء : تقويـم البلـدان ص ٣٠٧ .

(٥١) معجم البلدان ٢/٢٩١ والحميري : الروض المعطار ٣٠٧ .

(٥٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٩٩ والطبري : تاريخ الرسل والملوك (القاهرة ١٩٦٣) ٤/٢٨ .

والخصب والكبر في العراق[٥٣] • بيد ان الصراعات السياسية ، وخاصة في عهد السلاجقة ، ثم الزلازل ، أديا الى تدهور حلوان[٥٤] • وزاد هذا التدهور الى حد الاضمحلال بعد سقوط بغداد بأيدي المغول ، في القرن الثالث عشر ، حتى وصفها القزويني بأنها «عامرة طيبة والآن خراب»[٥٥] وفي القرن التالي كانت المدينة خاوية تماما ، ما خلا مزارات الاولياء فيها ، وكان في ناحيتها ثلاثون قرية[٥٦] مما دل على ان مركز الثقل الحضاري فيها أخذ بالتحول الى الريف • وهي ظاهرة عامة شهدتها مدن العراق في ذلك العصر ، ونتيجة لهذه الكوارث ، اخذ اسم حلوان المدينة بالاندثار ، ولم يعد يطلق الا على الناحية التي تحتوي آثار المدينة الغابرة (وتعرف اليوم باسم سربل ، أي رأس الجسر) • وفي مصادر القرن الرابع عشر نجد ان اسما جديدا أخذ يرث قسما من ارض حلوان ، هو « درتنك » ووصفت حلوان ودرتنك بانهما منطقتان متجاورتان[٥٧] • وما ان حل القرن الخامس عشر حتى كان اسم حلوان قد نسي تماما ، لتحل محله أسماء لمواضع عدة ، منها زهاب ، وكرند، وبشيوه ، وسربل زهاب ، وقصر شيرين ونفط خانه ، وسرمين ، وخسرو آباد، ورزنه ، ومنصور بيك ، وغيرها •

على أن تغير الاسماء لا يغير التبعية الطبيعية والسياسية للارض نفسها، فلبثت أرض حلوان القديمة ، بأسمائها الجديدة ، جزءا لا ينجزىء من أرض العراق ، ولم تكن قط موضوع نقاش ومفاوضة ، لذا فقد خلت المعاهدات

---

(٥٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٢٠ •

(٥٤) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، الطبعة ١ ، مادة حلوان •

(٥٥) القزويني : آثار البلاد ص ٢٥٧ •

(٥٦) المستوفى : نزهة القلوب ص ٤٢ •

(٥٧) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ، بتحقيق مصطفى جواد (دمشق ١٩٦٤) ج٤ ق٢ ص ٧٠٨ و ٧٢٦ •

الفارسية ـ العثمانية الاولى (١٥٥٤ و ١٥٩٠ و ١٦١١ و ١٦١٣) من أي ذكر لها • ولاحت أولى المطامع الفارسية فيها في معاهدة سنة ١٦١٨ حين طلبت الحكومة الايرانية من العثمانيين بعض نواحي حلوان كثمن لايالة اخسخة التي ضمها العثمانيون الى بلادهم في شرقي الاناضول ، فوافقت الحكومة العثمانية على الطلب[٥٨] • وهكذا فقد جرت المبادلة على حساب ارض العراق التاريخية •

بيد ان حصول الجانب الايراني على بعض المكاسب التوسعية في المنطقة لم يكفه عن السعي للاستيلاء على أجزاء منها ، حتى تطلب الامر ، لاول مرة، وضع حدود واضحة ، ودقيقة نسبيا ، للاراضي العراقية ، فنصت معاهدةزهاب سنة ١٦٣٩ على تحديد منطقة حلوان القديمة ، وتعيين بعض المواقع الحدودية الفاصلة بين الدولتين • وكشفت المعاهدة ، من ناحية اخرى ، عن الاجزاءالتي سلختها ايران بموجب المعاهدة السابقة • ولكن اقرار الحكومة الايرانيةبهذه الحدود لم ينه مطامعها في سائر اراضي حلوان الاخرى ، لذا فقد تكررت تأكيدات الدولة العثمانية على الحدود المذكورة في كل معاهدة جديدة (معاهدات ١٧٣١ و ١٧٣٩ و ١٧٤٦)[٥٩] دون ان يمنع ذلك ايران ، رغم اقرارها من طرفها قانونيا ، من التجاوز المستمر على هذه المنطقة العراقيةالمهمة، والتحرش بموظفيها ، ومحاولة بسط نفوذها عليهم • وفي أوائل القرن التاسع عشر ، انتهزت حكومة القاجاريين الايرانية ضعف الدولة العثمانية ، وانشغالها في البلقان ، وارضروم ، وانصراف حكومة بغداد الى درء مخاطر الغزوات الوهابية عن اراضي العراق الغربية ، فقامت بعمل عسكري مباغت ، احتلت على أثره معظم المدن والنواحي العراقية في منطقة حلوان (درنه ـ زهاب ـ

(٥٨) نعيما : المصدر السابق ٢/١٧٣ •

(٥٩) انظر عن هذه المعاهدات شاكر الضابط : المصدر السابق ٤٣ـ٤٩

كرند ــ وحتى قصر شيرين)[٦٠] وبذلك فقد سلخت عن العراق أجزاء مهمة، وعزيزة ، من أرضه القومية ، وخلقت وضعا ستراتيجيا ضارا بأمنه ومصالحه، فان فقدانه هذه المنطقة ، جعل الحدود الايرانية تقترب من وسطه ، على شكل « بروز » يمتد الى مسافة كبيرة في أراضيه • وفي الواقع فان الحدود المشتركة بين « شهرستان قصر شيرين » والوحدات الادارية الايرانية الاخرى (شهرستان شاه آباد) ليست الا حدود العراق التاريخية القومية ، منذ العصر العباسي ، وحتى ما قبل قرن ونصف من يومنا هذا •

وسنعرض ، فيما يأتي ، الى دراسة المناطق الحدودية العراقية التي اقتطعتها ايران ، وما نجم عنها من تغير لخط الحدود ، في هذه المنطقة لغير صالحه •

أ ــ درتنك

أرض كانت تشتمل على مدينة وقلعة حصينة ، تشرف على مدينة حلوان • وبعد ان أصاب الاخيرة الخراب في القرن الثالث عشر ، حلت درتنك محلها ، فأصبحت مركز هذا الاقليم[٦١] • وقد وصفت درتنك في القرن الخامس عشر بانها « قلعة منيفة على قمة جبل »[٦٢] وعرفت بمشايخ الصوفية العرب فيها[٦٣] • وعند تقلص نفوذ بغداد السياسي عقب تعرضها للغزوات

---

(٦٠) كان هذا الاحتلال يتسم بالمفاجأة ، ودون ان تسبقه أية مقدمات كما كان يفتقر الى اي مبرر • ورغم ذلك فقد ادعى الفرس بان والي بغداد داود باشا كان قد سبق في شن غارات داخل ايران • ولم يكن هذا صحيحا ، وزعموا بان هدفهم ليس احتلال البلاد العثمانية ، وانما مجرد اقامة علاقات طبيعية ومنع التجاوزات . عبدالله رازي : تاريخ مفصل ايران (تهران ١٣٣٥) ص ٤٧٠ •

(٦١) البدليسي : المصدر السابق ٣١٦/١ •

(٦٢) عبدالله الغياث البغدادي : التاريخ الغياثي ، بتحقيق طارق الحمداني (بغداد ١٩٧٠) ص ٢٥٣ •

(٦٣) ابن الفوطي : المصدر السابق ج ٤ ق٢ ص ٧٠٨ و ٧٢٦ •

المغولية ، انفصلت درتنك مؤقتا عن ادارتها • وتولت الحكم فيها سلالة محلية قوية عرفت بامراء درتنك ، وشملت منطقة حكمها عدة مواضع معظمها في كورة حلوان القديمة • ومنذ بداية الحكم العثماني في العراق ، عادت درتنك الى وضعها الطبيعي بوابة العراق وموقعه الحدودي الاول • وضمت ، والمدن والقلاع التابعة لها ، الى ولاية بغداد[٦٤] ، وأصبحت درتنك ، في التنظيمات الادارية العثمانية الموضوعة في القرن السادس عشر ، لواء من ألوية بغداد ، فيها حامية عسكرية ، وبيك الاي ، وامراء ، وقاض ومحتسب وشهبندر (رئيس التجار)[٦٥] • وبعد ان كانت حدود أعمال درتنك تصل الى أطراف الدينور (نحو بعد ٢٥ ميلا من غربي كنكوار ، في الشمال من كرمنشاه)[٦٥] تقلصت تلك الحدود في أواخر القرن السادس عشر • ثم تنازل العثمانيون عن أعمال درتنك الشرقية ، أي معظم نواحيها وقراها ، لقاء احتفاظهم بمناطق مهمة في شرقي الاناضول ، وذلك بموجب معاهدة سراو سنة ١٦١٨ وفي اثناء المفاوضات سنة ١٦٣٨ تمسك العثمانيون بكونها « حدود بغداد » بل رفضوا التفاوض اصلا قبل اعادتها الى العراق[٦٦] • وثبت ذلك رسميا في معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩ حيث نصت على ان تبقى درتنك ضمن الاملاك العثمانية، وتكون المنطقة المقابلة لها للجانب الايراني • وتذكر المصادر المعاصرة تحديدا ادق لخط الحدود ، حيث يذكر اوليا جلبي ــ وقد زار هذه النواحي بنفسه في منتصف القرن السابع عشر ــ ان نهاية بوغاز (مضيق ، وادي) درتنك ، ويبلغ طوله ميل ، وفيه تمر طرق التجارة ، هي آخر حدود ايالة بغداد • وان المضيق ، والاراضي المشرفة عليه ، حيث تقع قلعة شاهين (وهي بلدة

---

(٦٤) البدليسي : المصدر السابق ٣١٧/١ وعباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ بغداد (١٩٣٦) الملحق ص ٦ـ٨ •

(٦٥) اولياجلبي : المصدر السابق ٣٨٨/٤ وساطع الحصري : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ عن قوائم عين علي افندي •

(٦٦) نعيما : المصدر السابق ٣٩٤/٣ والعزاوي : المصدر السابق ٢٣٧/٤ •

عراقية ما تزال تعرف بهذا الاسم ، داخل الارض المستولى عليها) كلها من توابعها • ويعد منتهى المضيق « خط الحدود الواضح » منذ عهد مرادالرابع، وكان كذلك عند قدوم هذا السائح الى المنطقة[٦٧] • وجاءت معاهدة سنة ١٧٣١ لتؤكد هذه الحقيقة ، فنصت على أن درتنك من الحدود القديمة أساسا للحدود بين الدولتين[٦٨] • وتعهد الطرفان بعدم تجاوز ذلك في المعاهدتين التاليتين (سنة ١٧٣٩ وسنة ١٧٤٦) • ورغم ذلك كله ، فقد خرقت الحكومة الفارسية أحكام تلك المعاهدات ، فتعرضت المنطقة الى هجمات ايرانية مخربة ، وخاصة سنة ١٧٧٧ وسنة ١٨١٧ ، ثم احتلتها سنة ١٨٢٠ ولم تنسحب منها[٦٩] • ورغم ان معاهدة ارضروم الاولى سنة ١٨٢٣ نصت على وجوب ارجاع جميع القلاع والقرى والمدن العراقية التي استولت عليها ايران بمختلف السبل ، خلال مدة شهرين ، فان شيئا من ذلك لم يحدث وفي سنة ١٨٤٧ ثبتت ايران توسعها الجديد في معاهدة ارضروم الثانية المبرمة في تلك السنة ، حيث نصت المعاهدة على ان تترك الدولة العثمانية لايران القسم الشرقي ـــ أي جميع الاراضي الجبلية ـــ من منطقة زهاب[٧٠] • وبهذا أصبح خط الحدود ينحدر مع قمم جبال مريوان (آورمان) تاركا منطقة شميران في العراق ، ثم ينحدر مع سفوح جبال حمرين حتى يلتقي بنهر حلوان

---

(٦٧) اوليا جلبي : المصدر السابق ٤/٢٨٨ •

(٦٨) شاكر الضابط : المصدر السابق ٤٣ •

(٦٩) جودت : المصدر السابق ٢/٥٤ والمنشي البغدادي : رحلة المنشي البغدادي ، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي (بغداد ١٩٤٨) ص ٤٣ وعبد العزيز نوار : داود باشا (القاهرة ١٩٦٧) ص ١٨٤ـ١٨٥ •

(٧٠) انظر نصوص هذه المعاهدة بالتركية في احمد راسم : عثمانلي تاريخي ٤/١٦٢١ وقد عربها شاكر الضابط : المصدر السابق ص ٦٣ وقد نشر النص كاملا بالانكليزية جابر الراوي : المصدر السابق ٥٣٥ـ٥٣٩ ونشر بالعربية في مقدمة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود ص ١ـ٢

(الوند) عند بلدة قصر شيرين[٧٠أ] • وهذا يعني ان العراق فقد درتنك ، ومضيقها الستراتيجي ، ومناطق اخرى مهمة ، لتضاف كمكاسب توسعية جديدة لايران •

ب ــ درنه

ارض حدودية كانت تعد من أعمال بغداد وتقع اليوم ضمن «شهرستان قصر شيرين » وكانت قديما جزءا من كورة حلوان • وعدت في القرن السادس عشر من أعمال درتنك المذكورة آنفا ، حيث تبعد عنها بنحو تسع ساعات ، وعندما ضمت درتنك واعمالها الى الدولة العثمانية ، ونظمت ادارة العراق سنة ١٥٧٤ أصبحت درنه سنجقا (لواء) من سناجق ايالة بغداد[٧١] ، وفي القرن الثامن عشر ادمج هذا السنجق ، بسنجق عراقي آخر ، كان يتبع سابقا ايالة الموصل[٧٢] ، ويعرف بسنجق باجلان (باجوان) وتولى حكم هذين السنجقين المدمجين (درنه وباجلان) متصرفون عراقيون من اسرة بابان الشهيرة ، يعينهم في منصبهم والي بغداد ، ويعملون بأوامره وحده[٧٣] •

(٧٠أ) ادرنه‌لى محمد شوكت : مفصل ممالك عثمانى جغرافياسى (استانبول ١٣٠٤ هـ) برنجي قسم ص ١٥٩ ومكتب حربية شاهانه : خارطة طريق بغداد ــ الموصل (مهندسخانه برية همايون سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨ م) ونشر سايكس خارطة ايران ، وتظهر فيها حدودها الغربية قبيل اتفاقية القسطنطينية سنة ١٩١٣ انظر
Sykes, E.C., Persia and its People (London 1910)

(٧١) اوليا جلبي سياحتنامه سي ٣٨٨/٤ والحصري : المصدر السابق ص ٢٣٧ •

(٧٢) عماد عبدالسلام رؤوف: الموصل في العهد العثماني (النجف ١٩٧٥) ص ٢١٥ •

(٧٣) انظر رسول حاوي الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ترجمة موسى كاظم نورس (بيروت ١٩٦٣) ص ١٥١ و ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٨٦ •

وقد أقرت هذا الوضع الطبيعي معاهدة زهاب سنة ١٦٣٨ اذ نصت على ان تكون درنه ، كغيرها من مدن جسان وبدره وبندنيجين (مندلي) تابعة لولاية بغداد ، وتشكل ، ودرتنك ، الجانب العراقي من خط الحدود. واكدته ايضا المعاهدات التالية (١٧٣١ و ١٧٣٩ و ١٧٤٦) الا ان ايران استمرت في تحرشاتها واعتداءاتها على درنه ونواحيها ، فهاجمتها القوات الايرانية المتوجهة من كرمانشاه سنة ١٧٧٧ ودمرتها[٧٤] ثم احتلتها عنوة سنة ١٨٢٠[٧٥] ولم تنسحب منها رغم تأكيدات معاهدة ارضـــروم الاولى سنة ١٨٢٣ وجاءت معاهدة ارضروم الثانية سنة ١٨٤٧ لتقر سلخها بصفة نهائية عن أرض العراق .

ج ــ كيـلان

مدينة من اعمال بغداد مهمة ، تقع على امتداد السهل العراقي (السواد) عند سفوح الجبال ، الى الجنوب الشرقي من قصر شيرين ، كانت تشـكل سنجقا من سناجق ايالة بغداد في أواخر القرن السادس عشر ، وقد عرفتهـا مصادر تلك الحقبة باسم « كيلان عراق »[٧٦] ، ثم غير الفرس اسـمها الى « كيلان غرب » وكان يحاددها لواءان عراقيان آخران، هما هارونية ، والصاح ، وتعد فيما اورده صاحب كتاب جهان نما (القرن ١٧) من ألوية الحدود[٧٧] وفي منتصف القرن الثامن عشر سلخت ايران هذا اللواء العراقي وضمتـه ــ عنوة ــ الى « استان كرمانشاه » . وتقع مدينة كيلان ، بحسب التقسيمات الادارية الايرانية ، في « شهرستان شاه آباد » على الحدود بينها و« شهرستان قصر شيرين » . وهذا ما يؤكد حقيقة ان هذه الحدود الادارية ، لم تكن الا

---

(٧٤) جودت : المصدر السابق ٢/٤٣ .

(٧٥) رحلة المنشي البغدادي ص ٤٣ ودرويش باشا : المصدر السابق بند ٢٢ .

(٧٦) اوليا جلبي سياحتنامه سي ٤/٣٨٩ .

(٧٧) درويش باشا : المصدر السابق ، بند ٢٣ .

حدود العراق التاريخية نفسها ، يوم كانت « شهرستان قصر شيرين » او كورة حلوان ، جزءا من أرضه .

د ـ كـرند

مدينة ذات موقع ستراتيجي مهم ، قريبة من مدينـة حلوان القديمة ، وكانت تعد في القرن الرابع عشر « عند رأس درب حلوان »[78] ، ومن المرجح ان يكون موقعها في العصر العباسي ما عرفه البلدانيون العرب باسم « مـرج القلعة »[79] وهي بلدة ذكروا ان بينها وحلوان منزلا واحدا ، وكان بهـا « دواب الخلفاء في المروج »[80] .

وقد تولت حكم كرند ، في القرون التي تلت الغزو المغولي ، سلالات محلية حاكمة ، منها اسرة « كلباغي » ، ولكنها سرعان ما انضمت الى العراق من جديد ، بعد أن فتحه العثمانيون ، في القرن السادس عشر[81] . ونظمت الادارة فيها على الاسلوب المتبع في سائر انحاء العراق ، اذ جعلت لواء من ألوية ايالة بغداد الثمانية عشر[82] . ولا يعلم ـ على وجه التحديد ـ تاريخ اقتطاعه منها ، ومن المحتمل ان يكون في أثناء الغزو الفارسي للارض العراقية سنة ١٨٢٠ حيث أشارت معاهدة ارضروم الثانية سنة ١٨٤٧ الى ان «الحكومة العثمانية تترك وادي كرند الى الحكومة الايرانية » فيكون سلخه من العراق قبيل ذلك التاريخ .

---

(٧٨) المستوفي : نزهة القلوب ١٣٨ .

(٧٩) قدامة : الخراج ص ١٩٨ وابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٩ وانظر ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤) ص ٢٢٧

(٨٠) ياقوت : معجم البلدان ٥/١٠١ .

(٨١) البدليسي : شرفنامه ١/٣٢٣ .

(٨٢) اوليا جلبي سياحتنامه سي ٤/٣٩٠ والحصري ، المصدر السابق ص ٢٣٧

هـ ـ زهاب (زهاو)

مدينة حدودية قديمة من توابع بغـداد ، قريبة من مدينـــة درتنك ، ومن موقع (سربيل ، سربول) عند ضفة حلوان جاي ، حيث تقع خرائب مدينة حلوان ، وتعرف اليوم باسم « سربيل زهاب » (سربيل تعني : رأس الجسر) • وقد ورد اسم زهاب في مصادر القرن السادس عشر لكونها جزءا من امارة درتنك ، وبانضمام امراء الاخيرة الى العثمانيين في القرن المذكور ، أصبحت زهاب تابعة الى ايالة بغداد[٨٣] ، ثم سرعان ما زادت أهميتها على درتنك نفسها ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر أنشأ أحـد امراء زهاب فيها جامعا ودار حكومة واتخذها مقرا لامارته ، فانتقل مركز الحكم من درتنك اليها ، وصارت لواء زهاب بدلا من لواء درتنك[٨٤] • وكان يتولى حكم زهاب امراء من الاسرة البابانية العراقية ، يخضعون لوالي بغـداد بصفة مباشرة[٨٥] • وقد دمج لواء زهاب في اوائل القرن التاسع عشر بلواء درنه وباجلان[٨٦] ، وعدت زهاب احدى المناطق الحدودية الحصينة للعراق ، وكانت تعسكر فيها حامية عثمانية قوية ، وهي آخر محطة على الطريق قبل الدخول في الاراضي الايرانية • قال الكركوكلي عن حملة عثمانية كانت تقوم بعمليات عسكرية دفاعية سنة ١٨٠٦ « واصلوا تقدمهم حتى زهـاو حيث عسكروا فيها بانتظار جواب الدولة العلية » وذكر ايضا ان بعض القوات « تخطت الحدود وبلغت ناحية مايدشت »[٨٧] فمايدشت (ماهيدشت) اول

---

(٨٣) البدليسي : المصدر السابق ١/٣٢٤ •

(٨٤) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ٧/٧٩ •

(٨٥) انظر ياسين العمري : زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية ، بتحقيق عماد عبد السلام رؤوف (النجف ١٩٧٤) ص ١٦٥ •

(٨٦) ريج : رحلة ريج الى العراق ص ٢٨٨ •

(٨٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ٢٣٦ •

منطقة ايرانية بعد مدينة زهاب العراقية وليس بينهما موقع متميز فاصل[٨٨] ، وقال أيضا في حوادث سنة ١٨٢٠ « اتجه [الشاه زاده ميرزا محمد] نحو زهاو وتخطى الحدود »[٨٩] • وذكر صاحب مطالع السعود انهم « دخلوا في حدود ممالك الدولة العلية ووصلوا الى بلدة زهاب قاصدين بغداد »[٩٠] ، فحدود العراق كانت واضحة معلومة •

وكانت اطماع الفرس تتطلع الى زهاب نظرا لموقع هذه المدينة الجغرافي المهم ، وسيطرتها على طريق المواصلات في المنطقة ، وفي سنة ١٧٧٧ قام كريم خان الزندي بعملية عسكرية مباغتة احتل على اثرها زهاب[٩١] ، فاضطر حاكمها والموظفون الى الانسحاب منها مؤقتا ، ولم يترك الغزاة المدينة الا بعد نحو ستة أشهر ، حققوا خلالها توسعا جديدا على حساب الحدود العراقية ، باقتطاعهم ناحيتي كيلان التي ذكرناها سابقا وكلفين من ارض لواء زهاب ، وضمهما الى ايران[٩٢] • ولم تنته التجاوزات الايرانية على المناطق الحدودية العراقية طيلة المرحلة التالية • وفي عهد فتح علي القاجاري (١٧٩٧ — ١٨٣٤) استولت القوات الايرانية على زهاب عنوة ، ودون اي مبـرر[٩٣] ، ونظرا لمخالفة تصرفهم هذا نص المعاهدات السابقة كافة ، وتجاوزهم للحدودالعراقية بشكل سافر ، فقد اضطرت الحكومة الايرانية الى الاعتراف ، في معاهـدة

---

(٨٨) يذكر الكركوكلي ان موقعا اسمه « سطر نجان كدوكي » كان يعـد المحل الفاصل بين الحدود (دوحة الوزراء ص ١٥٨)

(٨٩) الكركوكلي : المصدر نفسه ص ٢٩٦ •

(٩٠) عثمان بن سند : مطالع السعود ، اختصره امين الحلواني (القاهرة ١٣٧١) ص ١٤١ •

(٩١) درويش باشا : المصدر السابق ، بند ٢٢ والعمري : زبدة الاثار ص ٢٣٧ •

(٩٢) الكركوكلي : المصدر السابق ص ٢٩٩ ودرويش باشا بند ٢٢ •

(٩٣) الكركوكلي ص ٢٩٧ والعزاوي : المصدر السابق ٦/٢٧١ • وعبد الله رازي : تاريخ مفصل ايران ص ٤٧٠ •

ارضروم الاولى سنة ١٨٢٣ ، بوجوب اعادة جميع ما استولت عليه من القلاع والاراضي والقرى والمدن الى الدولة العثمانية ، الا أن القوات الايرانية لم تنسحب من زهاب ، كما لم تنسحب من المناطق الاخرى أيضا • وجاءت معاهدة ارضروم الثانية سنة ١٨٤٧ لتثبت ما كانت ايران قد سلخته من ارض العراق، حيث نصت بعبارة غامضة على تعهد الحكومة الايرانية بأن تترك للحكومة العثمانية جميع الاراضي المنخفضة في القسم الغربي من منطقة زهاب ، وتعهدت الحكومة العثمانية على ترك القسم الشرقي ، أي جميع الاراضي الجبلية[٩٤] من المنطقة المذكورة الى الحكومة الايرانية • ولم تنص المعاهدة على وضع مدينة زهاب نفسها ، وفي الواقع فان قوات الاحتلال الفارسي لم تنسحب منها منذ ذلك الحين[٩٥] •

و ـ قصر شيرين

مدينة كانت جزءا من كورة حلوان الحدودية العراقية ، وتبعد بمسافة فرسخ عن مدينة حلوان نفسها[٩٦] ، وقد فتحها العرب المسلمون بقيادة القعقاع التميمي سنة ١٦ هـ بعد فتحهم جلولاء[٩٧] •

تردد اسم قصر شيرين في المصادر العربية لكونها منطقة أثرية قديمة أكثر منها مدينة سكنية ، وبأنها محطة على طريق حلوان (او درتنك)[٩٨] • ولم يرد اسمها في المعاهدات العثمانية ـ الايرانية لانها جزء من الاراضي العراقية ، وبعيدة عن خط الحدود الفاصل بين الدولتين • ورغم ذلك فقد استولت عليها

---

(٩٤) Lowlands & Mountainous

(٩٥) والى زهاب (زهاو) تنسب اسرة الزهاوي العراقية المعروفة ببغداد •

(٩٦) الطبري ٤/٣٤ •

(٩٧) المصدر نفسه •

(٩٨) ياقوت : معجم البلدان ٤/٣٥٨ والقزويني : آثار البلاد ص ٤٤٠ والقلقشندي : صبح الاعشى ٤/٣٦٧ •

القوات الايرانية عنوة سنة ١٨٢٠ بعد استيلائها على زهاب مباشرة[٩٩] • ولم تتعرض معاهدة ارضروم الثانية سنة ١٨٤٧ الى وضع قصر شيرين ، على الرغم من انها كانت تقع في عمق لواء زهاب السليب • ولم يقر هـذا السلب الا في بروتوكول الحدود الموقع من الطرفين سنة ١٩١٣ ، وباقراره ، فقد العراق أجزاء اخرى من ارضه ، مما كان يتبع قصر شيرين ، وأهمها منطقة آبار النفط المعروفة ــ الآن ــ بنفط شاه ، وكانت هذه الآبار تعطى من قبل ادارة مندلي بالالتزام الى طالبيها ، ويسلم ريعها الى صندوق مال مندلي[١٠٠] •

ــ ٣ ــ

يخترق خط الحدود الحالي الممتد من منطقة نفط شاه ، الى دهلـران (حيث يلتقي باقليم الاحواز ــ عربستان ــ العربي) عدة مناطق من أعمـال طريق خراسان القديم ، ومن أعمال واسط ، ومن كورة ميسان • وتمثل هذه المناطق الامتداد الطبيعي لارض « سواد العراق » وذلك من حيث التكوين الجيولوجي والتضاريسي والمناخي ، كما انها ــ وهذا ما يتصل بنطاق بحثنا ــ تمثل الامتداد التاريخي لنفس العوامل الحضارية والاقتصادية التي صـاغت الحياة في مدن العراق وأراضيه الاخرى • لقد ارتبطت تلك المناطق ، بروابط عميقة وعديدة ، تشمل القوميـة واللغـة والعادات والاعراف والنشاطات الاقتصادية والاجتماعية كافة ، وشكلت ــ على الدوام ــ اقليما عراقيـا واحدا[١٠١] •

---

(٩٩) العزاوي : المصدر السابق ٤/ ٢٥ •

(١٠٠) درويش باشا : المصدر السابق بند ٢٩ •

(١٠١) عن بعض تلك الروابط انظر خالدة السعدون : تحليل العوامـل التي ترسم خط الحدود بين العراق وايران (رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد ١٩٧٠) ص ١٣ـ٣٠ •

وقد عمدت ايران ، منذ العهد الصفوي فيها ، الى احداث تغييرات قومية مستمرة في الاراضي الحدودية العراقية ، بهدف السيطرة على المناطق المرتفعة المشرفة على السهل العراقي المجاور ، والتحكم في الموارد المائية الهابطة منها ، ومن ثم تهديد مراكز الحياة والحضارة فيه على الدوام ، وحرمان العراق من مواقعه الدفاعية الطبيعية في تلك المرتفعات • وكانت وسائل ايران في تنفيذ هذا الهدف ، تنسجم مع طبيعة الحياة القبلية غير المستقرة التي تتميز بها المنطقة ، حيث دفعت ، على نحو مستمر ، القبائل الفارسية واللورية العديدة، مثل سنجابي ، وكلهر ، لاستيطانها بصفة دائمة ، ومزاحمة القبائل العربية التي تسكنها منذ عهود بعيدة ، وخاصة قبائل بني لام ، والقبائل العربية المنضوية تحت زعامتها ، امثال كعب ، والسواعد ، وربيعة ، وكنانة ، والصقور ، والخزرج ، وغيرها ، فكان ذلك كله سببا في تغيير الصبغة القومية العربية للمنطقة ، والتمهيد لايران حتى تمد نفوذها السياسي والعسكري اليها ، بما يدفع خط الحدود غربا ويحقق مصالحها المذكورة • وهكذا فان تاريخ هذه الحدود لم يكن ، في حقيقة الامر ، الا تاريخ التدخل المستمر في التركيب القومي والعرقي للمجتمعات الحدودية ، وحسر العروبة عن اراضي العراق في تلك المنطقة المهمة •

ويمكن القول ، استنادا الى شواهد مختلفة ، بأن تاريخ بدء اهتمام السلطات الايرانية بالمناطق الحدودية هذه ، وسلخها من العراق تدريجيا هو في أواخر القرن الثامن عشر ، وخاصة في عهد كريم خان الزندي الذي يعد أحد ابرز منفذي هذه السياسة التوسعية ، وكانت اهتمامات الحكومات الايرانية قبل ذلك منصبة ، بشكل اساس ، على مناطق الحدود الشمالية والوسطى في شهرزور وحلوان[١٠٢] • وزادت هذه السياسة نشاطا وسرعة في القرن

---

(١٠٢) عماد عبد السلام رؤوف : المصدر السابق ص ١١٣ وعلاء نورس العراق في العهد العثماني (بغداد ١٩٧٩) ص ٢١٤-٢١٥ •

التاسع عشر ، حتى اقتطعت اجزاء مهمة من ارض العراق التاريخيـــة ، مثل سومار ، والطيب ، ودهلران ، ومهران ، وجنكوله ، وغيرها ، مؤلفة منهامعظم ما عرفته باسم « استان عيلام » .

وفيما يأتي « نماذج » من المدن والاراضي العراقية المذكورة :

أ ــ ســومار

مدينة تقع على الوادي المعروف باسمها ، وفيــه مجرى نهـر غنكـير (كنكير) الذي يسقي مدينة مندلي في العراق الحالي . واسم سومار حديث، ومن المحتمل انه استخدم في القرن التاسع عشر . بيد ان موقعها شغلته ، في العصور السابقة ، وخاصة في العصر العباسي ، عدة مدن وقرى زاهرة ، لعل أهمها مدينة « أريوجان » التي وصفت بانها « مدينة حسنة في الصحراء ، بين جبال كثيرة الشجر، كثيرة الحمات والكباريت والزاجات والبوارق والاملاح، وماؤها يخرج الى البندنيجين (مندلي) فيسقى النخل بها »[١٠٣] . وقدخربت اريوجان في القرن الثالث عشر ، ولم يبق منها في عهد ياقوت الا بعض الآثار والعيون (وهي التي تصب ماءها في وادي ســـومار ، او كنكير) فورثت اهميتها ومكانتها في تلك الناحية ، بلدة مجاورة لها ، قريبة من ضفة الوادي المذكور ، عرفت في التاريخ باسم « ده بالا » وفيها دفن الخليفة المهدي العباسي سنة ١٥٨ هـ / ٧٨٥ م ، وكان قبره موجوداً بها الى حقبة متأخرة من العصر العباسي[١٠٤] . واستعادت دهبالا مكانتها في القرن السادس عشر حينمـــا أصبحت ، ضمن التنظيمات العثمانية لايالات العراق ، لواء من ألوية ايالــة بغداد[١٠٥] ، يحادده من الشمال لواء كرند ، ومن الغرب لواء قزانية ، ومن

---

(١٠٣) ياقوت : معجم البلدان ٥/٤١ .

(١٠٤) المصدر نفسه ٢/٤٩١ وفي روايات اخرى انه دفن في قرية تدعى «الرذ » (الطبري ٨/١٧١) و « بقرية بالقرب من قلعة الماهكي » (سنبط بن قنيتو الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، بغداد د.ت ، ص ٩١) .

(١٠٥) الحصري : المصدر السابق ص ٢٣٧ عن قائمة عين علي افندي .

الجنوب لواء جنكوله ، أما من الشرق ، فخط الحدود العراقية ـ الايرانية[١٠٦] ، ومنها يصعد الى درنه ، فكرند ، فدرتنك (ثم زهاب) • وكان نهر سومار (كنكير) يجري ، بأجمعه ، في أرض هـذا اللواء العراقي ، حتى ينتهي بمدينة مندلي (ضمن لواء قزانية) • والى الاخيرة يعود حق استيفاء اجور مياهه • وكان أصحاب الاراضي الزراعية في وادي سومار ، وهم عراقيون من سكان مندلي ، يستوفون ضريبة الأرض المسماة « عقر » من مزارعيهم ، ومن العشائر ، الذين يعملون في تلك الارض ويدفعون خمس محصولهم الى مندلي[١٠٧] •

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر ، أخذت قبائل لورية ، من التبعية الايرانية ، باجتياز الحدود والاستقرار في تلك النواحي[١٠٨] • وفي سبعينات القرن المذكور أخذت حكومة الزنديين في ايران في تنفيذ مشاريعها التوسعية في المنطقة ، فمنح كريم خان الزندي (١٧٥٠ ـ ١٧٧٩) حاكمية منطقة ايوان (قرب دهبالا) الى والد زوجته علي خان ، وكانت قبائل كلهرية ، ايرانية التبعية ، قد حلت في المنطقة أثناء تلك الحقبة • واخذت نسبة افرادها بالتزايد السريع ، حتى أخذوا ، منذ اوائل القرن التاسع عشر ، ينافسون ـ وأحيانا يقاسمون ـ اهل مندلي في استيفاء الضرائب ، واجور مياه سومار ، من مزارعيهم • ونتيجة لضعف الادارة العثمانية في مندلي ، فقد توقف أصحاب اراضي سومار عن سداد خمس محاصيلهم الى هذه الادارة ، ثم اخذوا نتيجة لضغط قبائل كلهر ، بدفعها الى زعماء تلك

---

(١٠٦) انظر :
Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire (Leiden 1922) Map, XXXIII

(١٠٧) درويش باشا : المصدر السابق بند ٢٥ •

(١٠٨) عبدالرحمن السويدي : تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، بتحقيق عماد عبدالسلام رؤوف (بغداد ١٩٧٨) ص ١١٤ •

القبائل • وفي سنة ١٨٢٢ هاجمت القوات الايرانية بقيادة محمد حسين ميرزا القاجاري مندلي بغتة ، ودمرتها ونهبت ما فيها بوحشية[١٠٩] ، واتلفت ما لدى اهلها من سندات تثبت ملكيتهم لمزارعهم في سومار[١١٠] • وبذلك تم سلخ هذا اللواء عن الارض العراقية تماما ، وضمه الى «استان كرمانشاه» في ايران• وباستيلاء الايرانيين على سومار ، برزت مشكلة توزيع مياه (نهر كنكير) بينهم وبين مدينة مندلي • لذا فقد اوصى بروتوكول الحدود لسنة ١٩١٣ قومسيون التحديد بوضع «اتفاقية خاصة» لتوزيع مياهها بين الفرقاء ذوي الشأن[١١١]• وتم توضيح حصة قضاء مندلي من تلك المياه بشكل واف في نص الجلسة ٢٨ من محاضر القومسيون المذكور ، ويتلخص ذلك في تقسيم مياه هذا الوادي مناصفة بين مندلي وسومار ، الا أن الحكومة الايرانية تذرعت بحجة قلة المياه متناسية ان تلك القلة لم تكن الا بسبب اغتصاب الزراع الايرانيين حصة العراق أثناء جريان النهر في الاراضي المستولى عليها قبل وصوله مندلي[١١٢]• وما تزال قلعة دەبالا موجودة حتى يومنا هذا ، على الضفة اليسرى لنهر سومار، في أعلى مدينة سومار ذاتها ، وتسمى الآن « ديرولي » •

وثمة نواح ومدن أخرى من هذه الارض العراقية، ضمت مع سائر المنطقة الى ايران ، لتمسي ما يعرف الآن « بشهرستان عيلام » منها مدينة « الصالح »

---

(١٠٩) صفاءالدين عيسى البندنيجي : شرح القصيدة الرائية ، الورقة٣٢ (مخطوط) والكركوكلي : دوحة الوزراء ص ٢٩٩ وعبد الله رازي : مفصل تاريخ ايران ص ٤٧٠ـ٤٧١ •

(١١٠) درويش باشا : المصدر السابق بند ٢٥ •

(١١١) مجموعة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود ص ٥٠ •

(١١٢) شاكر الضابط : العلاقات الدولية ص ٨٤ وانظر أيضا خالص الاشعب : مشكلة مياه مندلي، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية مجلد ٥ السنة ١٩٦٥ ورشاد قزانجي : تقرير الحدود العراقية الايرانية ومياه الانهر المشتركة الحدودية ، رونيو ، مديرية الري العامة ، بغداد ١٩٦٩ •

وموقعها الى الجنوب من سومار • وهي مدينة عربية بناها آل صالح ، في المرحلة التي سبقت مجيء العثمانيين الى العراق ، وأصبحت ، في القرن السادس عشر ، لواء من ألوية بغداد ، مربوطا ـ من النواحي المالية ـ بدفتر التيمار (سجل المقاطعات الزراعية) فيها[113] • وقد اطلق الفرس على المدينة ، بعد انتزاعها من العراق ، اسم « صالح آباد » وما تزال تعرف بهذا الاسم ، ومنها قلعة لان (وما تزال معروفة باسمها هذا)وكانت اقطاعا عراقيا تابعا لمدينة زنك آباد[114] •

ب ـ اراضي بادرايا وباكسايا (مهران)

منطقتان زراعيتان (طسوجان) من مناطق العراق الخصبة في العصور الاسلامية ، وكانتا جزءا من منطقة النهروان الوسيعة احدى أغنى أراضي العراق في تلك العصور • وتعد مدينتا بادرايا (بدرة الحالية) وباكسايا (آثارها قرب مركز شرطة الشهابي جنوب بدرة) حاضرتي تلك المنطقة ، وهما من أعمال مدينة واسط العراقية الشهيرة • وكان طسوجاهما (الطسوج : منطقة زراعية) يشملان ناحية جنكوله وسائر النواحي المجاورة الممتدة في الجهة الشرقية من خط الحدود الحالي ، من مقابل بدرة ، وحتى نهر الطيب (في استان عيلام حاليا) • قال ياقوت واصفا بادرايا «طسوج بالنهروان،وهي بليدة بقرب باكسايا بين البندنيجين (مندلي) ونواحي واسط » وقال واصفا باكسايا « بلدة قرب البندنيجين وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي في اقصى

---

(113) أوليا جلبي سياحتنامه سي ٣٨٩/٤ والحصري : المصدر السابق ص ٢٣٧ •

(114) عرفتها السجلات الرسمية العثمانية باسم « سيد لان » ، وكان قربها قبة (لضريح) لمن يدعى بهذا الاسم ، وعدتها تلك السجلات اقطاعا من نوع « مالكانه » • انظر :

دفاتر الطابو العثمانية المحفوظة في استانبول Basvekalet Arsiv Dairesi

دفتر رقم ١٠٧٥ ، الورقة ١٤٧ (نسخة مصورة منه في مكتبة الدراسات العليا ببغداد برقم ١٢٥٧) •

النهروان »[١١٥] • ويبدو ان الكوارث البشرية والطبيعية التي حلت بالمنطقة بعد انتهاء العصر العباسي ، أدت الى خفوت ذكر هاتين المدينتين، لتحل محلهما مُدينات ونواح أخرى نشأت في طسوجيهما او في أطرافهما • وابرز تلك المُدينات « جنكولة » وموقعها الى الشرق من باكسايا في قدمات جبال بشتكوه[١١٦] • وما يزال يحمل اسمها مجرى مائي ينساب من تلك الجبال ، ويخترق الحدود العراقية الحالية عند قرية سيد أحمد الى الجنوب من بدرة • لقد ورثت هذه البلدة أهمية المدن السابقة ومكانتها ، فأصبحت ، منذ التنظيمات العثمانية الاولى لاراضي العراق في القرن السادس عشر ، مركزا للواء من ألوية بغداد[١١٧] ، يحده من الشمال لواء دهبالا ، ومن الجنوب لواء بيات (الطيب) ويمثل حده الشرقي (ويصل الى ذرى جبال كبير كوه)[١١٨] حدود العراق الشرقية نفسها[١١٩] •

وكان سكان هذه المنطقة الواسعة ، كغيرهم من سكان وسط العراق وجنوبه ، عربا أقحاحا ينتمون الى قبائل عربية شهيرة ، توطنت فيها منذ عهود سحيقة ، منهم ، في المرحلة التي سبقت العصر العثماني ، قبيلة ربيعة العدنانية• ثم استقرت فيها ، منذ مطلع ذلك العصر ، قبائل بني لام بعشائرها وفروعها

---

(١١٥) معجم البلدان ٣١٦/١ و ٣٢٧ •

(١١٦) يقدم درويش عددا من الادلة والقرائن والمستندات التي تثبت ان بشتكوه وسلسلة جبال كبيركوه (الجبل الكبير) كانت من املاك الدولة العثمانية وهي موطن قبائل العراق العربية وخاصة قبائل بني لام • وينقل عن راولنسون قنصل بريطانية في بغداد في منتصف القرن التاسع عشر ان مدينة الصيمرة واقعة على الحدود ، وهي تقع في نطاق جبال بشتكوه « فهذا دليل بأن الحدود بين الدولتين كانت بشتكوه ، وكانت معلومة لدى الجميع » (تقرير درويش باشا بند ١٨ ، ١٩) •

(١١٧) اوليا جلبي سياحتنامه سي ٣٨٩/٤ والحصري : المصدر السابق ص ٢٣٧ •

(١١٨) درويش باشا بند ١٨ •

(١١٩) انظر Pitcher, Op. Cit, Map, XXXIII

الكثيرة[١٢٠] • وزاد ارتباطهم بادارة بغداد المركزية الى حد ان ولاة بغداد أخذوا منذ مطلع القرن الثامن عشر ، يعزلون شيوخها ويولون آخرين بدلهم[١٢١] • وتشير الوثائق الى ان اولئك الولاة كانوا يمنحون اراضي بكسايا الى شيخ بني لام ، في القرن التاسع عشر ، دفعة واحدة ، ويقوم هو بمنحها مساحات صغيرة الى الشيوخ الصغار ، وكان يتسلم منهم الايجار الميري ويدفعه الى الحكومة • وما تزال في منطقة باكسايا ، بالقرب من الجبال ، خرائب ثكنة ومستودعات قامت الحكومة العثمانية ببنائها ، مما يؤكد تبعيتها آنذاك للعراق• وهو أمر تصرح به التقارير الرسمية العثمانية وسجلات التزام الاراضي في ذلك القرن[١٢٢] • وتؤكد المصادر الجغرافية العثمانية ، في أواخر القرن التاسع عشر، على ان منابع نهر دجلة ، في سلسلة جبال بشتكوه ، مما استولى عليه الايرانيون آنذاك ، كان معدودا من ارض العراق[١٢٢أ] •

وكان انحدار القبائل اللورية (الفيلية) من التبعة الايرانية الى سفوح بشتكوه الغربية قد اخذ في اول الامر (أواخر القرن الثامن عشر) صفة اللجوء والبحث عن فرص للعمل في كنف قبائل بني لام العراقية ، ثم سرعان ما تحول ذلك ، في القرن التالي ، الى دفع حقيقي لهم ، من شأنه تهديد وجودهم وطمس هوية البلاد القومية ، وزاحمت تلك القبائل بني لام وغيرهم من العرب في

---

(١٢٠) محمد الباقر الجلالي : موجز تاريخ عشائر العمارة (بغداد د.ت) ص ١١-١٢ وعبد الكريم الندواني : تاريخ العمارة وعشائرها (بغداد ١٩٦١) ص ٣٧-٣٨ •

(١٢١) مرتضى نظمي زاده : كلشن خلفا . ترجمة موسى كاظم نورس (بغداد ١٩٧١) ص ٣٢٣ وعبدالرحمن السويدي : حديقة الزوراء (مخطوط) الورقة ٨٠ •

(١٢٢) مجموعة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود ص ٤٩ •

(١٢٢أ) ادرنه‌لي محمد شوكت : مفصل ممالك عثماني جغرفيا سي ص ١٦٠ •

مواطنهم وسبل رزقهم ، وشنت الهجمات التخريبية على قراهم وزروعهم،وما ان حل منتصف القرن التاسع عشر حتى كانت مساحات شاسعة من تلك الارض ، تنتهي بسفوح مرتفعات بشتكوه ، قد أمست تحت السيطرة الايرانية فعلا ، متمثلة بوجود الفيلية فيها • فانحسرت حدود العراق الى الشريط الممتد بين بدرة والطيب[١٢٣] ، الا ان عملية التوسع الايراني لم تتوقف عنده ، بل تجاوزته في المرحلة التالية ، مقتطعة من الارض العراقية اجزاء واسعة غنية ، وضمتها الى ما عرف باستان عيلام في ايران •ولم تقر نتائج هذا التوسع ، الا في بروتوكول الاستانة سنة ١٩١٣ رغم السجلات والوثائق والشهادات العديدة التي قدمها الجانب العثماني والتي تثبت ، بما لا يقبل الشك ، ان تلك الارض كلها ليست الا جزءا من أرض العراق نفسها[١٢٤] • ومن أهم المدن التي تقع في هذه المنطقة ، مدينة « مهران » الواقعة في مقابل مدينة زرباطية وبدرة العراقيتين •

ج ـ الطيب ودهلران

ارض واسعة خصبة من كورة واسط ، كانت تقع فيها ، أبان العصور الاسلامية ، بلدة عرفت بالطيب ، وصفت بأنها « تتصل بعمل واسط » وتتوسط المسافة بينها وبين خوزستان (اقليم الاحواز العربي) وقد أشار ياقوت الى ان « اهلها نبط الى الآن ولغتهم نبطية »[١٢٥] والنبطية هي اللغة الآرامية ، او بعض لهجاتها ، من لغات الجزيرة العربية التي كان يتكلم بها سكان العراق قبل الفتح العربي الاسلامي ، ثم اختصت بالفلاحين منهم حتى ازمنة متأخرة،فسكان

---

(١٢٣) درويش باشا بند ٢٠ـ٢٢ •

(١٢٤) مجموعة محاضر •• ، ص ٥١ـ٥٣ •

(١٢٥) معجم البلدان ٤/٥٣ والقزويني : آثار البلاد ص ٤١٧ ولبسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٨٩ •

الطيب عرب فلاحون،ويذكر ياقوت انهم كانوا صابئة فأسلموا عند الفتح[١٢٦]. وقد اندثرت بلدة الطيب ، بعد ياقوت ، لتنشأ في جوارها منذ القرن الرابع عشر بلدة أخرى ورثت دورها في المنطقة،هي «بيات»التي اكتسبت اسمها من بعض القبائل الوافدة على العراق فيما بعد الغزوات المغولية لمدنه وأراضيه[١٢٧].ويظهر ان مكانة بيات تعاظمت في القرن السادس عشر ، حتى أنها اصبحت ، بحسب التنظيمات العثمانية في ذلك القرن،مركزا لاحد الالوية التابعة لايالة بغداد[١٢٨]، ولكن اراضيه لبثت تعرف بالطيب ، حيث يسقيها نهر يحمل هذا الاسم ، وعلى ضفته نشأت ، في القرن التاسع عشر ، بلدة دهلران (دليران) الحالية .

وتميزت الطيب ونواحيها في العصر العثماني بأنها كانت موئلا لقبيلة ربيعة ، ثم لقبائل بني لام ، التي اتخذت الارض الممتدة بينها وبين نهر دويريج (الى الجنوب منها) موطنا لبيوت زعمائها ، وانتشرت قبائلهم في منطقة واسعة شغلت ما بين باكسايا ، ودهلران ، ونهري كنجان جم ، وكانوي (وعلى الاخير تقع مهران المقابلة لمندلي) وبعمق يصل الى نهر الكرخة[١٢٩] . وبما ان بني لام كانوا من التبعة العثمانية بحسب الفرامين والاعراف القديمة ، ويتبعون في شؤونهم ادارة بغداد ، فان منتهى مواطنهم تلك ، مثّل في العصر العثماني الحدود العراقية ـ الايرانية . بيد ان هذه الاراضي أخذت بالتناقص ، نتيجة للتوسع الايراني والتجاوز المستمر على مواطن القبائل العربية ، ودفع القبائل الفارسية واللورية اليها ، لذا لم يبق بأيدي بني لام في منتصف القرن التاسع عشر الا الضفة اليمنى لنهر دويريج ، فعد ذلك النهر الحد الفاصل بين

---

(١٢٦) معجم البلدان ٤/٥٣ .

(١٢٧) العزاوي : المصدر السابق ٤/٣٧٠ .

(١٢٨) اوليا جلبي سياحتنامه سي ٤/٣٩٠ والحصري : المصدر السابق ٢٣٧ .

(١٢٩) الندواني : المصدر السابق ص ٧٤ ، وانظر ايضا ص ٩١-٩٢ ، ١١٤ .

الدولتين[130] ، وفي السنين التالية تجاوز التوسع الايراني هذه الحدود ، اذ شرعت القبائل من التبعية الايرانية بارهاب القبائل العربية المستقرة هناك ، فدمرت عشائر الفيلية دهلران وبيات وباغ شاهي ، ونكلت بسكانها العرب ، واستولت عنوة على جميع الاراضي الزراعية في باكسايا ، مما اضطر بنو لام للانسحاب الى الاراضي الواقعة بين نهري كنجان جم ، وكاوي بالقرب من زرباطية . ورغم قوة الدلائل التي قدمها الجانب العثماني وكلها يؤكد تبعية باكسايا وتلك المدن والقرى للعراق ، ومنها سجلات بغداد والعمارة ، وحقوق التزام الاراضي المذكورة ، واصحابها السابقون أنفسهم[131] ، فقد جاء بروتوكول الحدود لسنة ١٩١٣ ليثبت خط الحدود على هذه الصورة الاخيرة ، فخسر العراق بذلك اجزاء واسعة ومهمة من اراضيه التاريخية .

---

(١٣٠) مضبطة بني لام ضمن تقرير درويش باشا بند ١٩ وهذا النهر هو الذي كان يعرف ، للسبب المذكور ، بنهر الحد . في منتصف القرن التاسع عشر . جونز ، جيمس فيلكس : بغداد في سنة ١٨٥٣ ، ترجمة عبدالوهاب الامين ، مجلة المورد مجلد (٣) [بغداد ١٩٧٤] ص ٤٦) .

(١٣١) مجموعة محاضر جلسات قومسيون الحدود ص ٤٠ ـ ٤٨ .

المصـــادر

أولا ـ مصادر الخارطـة
(المرقمـة ٤)

وضعت الخارطة في ضوء النتائج المستخلصةمن هذا البحثبصفة اساسية، كما استفادت أيضا من المصادر الآتية :

1. Sykes, E.C., Persia and its People (London 1910) Map of Persia
2. Pitcher, An Hisorical Geography of the Ottoman Empire (Leiden 1922) Map, XXXIII.
3. Faik Resit Unat, Tarih Atlasi (Istanbul ..) Harita 32.
4. The Times Atlas of World History, (Britain 1978) P. 170-171.

٥ ـ مكتب حربية شاهانه : خارطة طريق بغـداد ـ الموصل ، طبـع مهندسخانه برية همايون) سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨ م .
(مهندسخانه برية همايون) سنة ١٣٦٥هـ/١٨٤٨ م .

ثانيا ـ مصادر الفصل

أ ـ الوثائق غير المنشورة

دفاتر الطابو العثمانية المحفوظة في استانبول

Basvekalet Arsiv Dairesi

دفتر رقم ١٠٧٥ (نسخة مصورة منه في مكتبة الدراسات العليا ببغداد برقم ١٢٥٧) ٠

ب ـ الوثائق المنشورة :

١ ـ درويش باشا : تقرير رسمي قدمه سنة ١٨٥٣ بصفته رئيسا للجنة تحديد الحدود الايرانية ـ العثمانية ٠ وطبع في استانبول سنة ١٣٢١ هـ ، ترجمة وزارة الخارجية العراقية (بغداد ١٩٥٣) ٠

٢ ـ معاهدات عمومية مجموعة سي (استانبول ١٢٩٤ هـ) .

٣ ـ مجموعة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود التركية الفارسية للسنة ١٩١٣ ـ ١٩١٤ (مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٥٥) ٠

جـ ـ المصادر التركية

١ ـ ادرنه لي محمد شوكت : مفصل ممالك عثماني جغرافيا سي (استانبول ١٣٠٤ هـ) ٠

٢ ـ اوليا جلبي ، محمد ظلي : اوليا جلبي سياحتنامه سي (استانبول ١٣١٤ هـ) ٠

٣ ـ جودت ، احمد : تاريخ جودت (استانبول ١٣٠٢ هـ) .

٤ ـ حسين : اطلس بغلي ايران (استانبول ١٩٢٦) ٠

٥ ـ راسم ، أحمد : عثمانلي تاريخي (استانبول ١٣٢٩ هـ) ٠

٦ ـ كاتب جلبي ، مصطفى : فذلكة التواريخ (استانبول ١٢٨٥ هـ) ٠

٧ ـ كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية (استانبول ١٣٢٧ هـ) ٠

٨ ـ نعيما، مصطفى : روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين (استانبول ١٢٨٠ هـ) ٠

٩ ـ هاممه ر : دولت عثمانية تاريخي ، ترجمة محمد عطا (استانبول ١٣٣٥)

Faik Resit Unat, Tarih Atlasi (Istambul ....)

د ـ المصادر الفارسية :

١٠ـ تركمان ، اسكندر : ذيل تاريخ عالم آراي عباسي (تهران ١٣١٧هـ).

١١ـ رازي ، عبدالله : تاريخ مفصل ايران (تهران ١٣٣٥ هـ) .

١٢ـ ميرزا احسائي : تاريخ فارسنامه (طبع حجر ـ ايران) .

هـ ـ المصادر العربية والمعربة :

١٣ـ ابن الاثير ، علي : الكامل في التاريخ (القاهرة ١٣٥٣ هـ) .

١٤ـ ابن حوقل ، محمد : المسالك والممالك ، (بيروت د.ت) .

١٥ـ ابن خرداذبة ، عبيد الله : المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩) .

١٦ـ ابن سند ، عثمان : مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود ، مختصر لامين الحلواني ، بتحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة ١٣٧١ هـ) .

١٧ـ ابن الفقيه ، أحمد : مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٨٨٥) .

١٨ـ ابن الفوطي ، عبدالرزاق : تلخيص مجمع الاداب في معجم الاسماء والالقاب ، بتحقيق د . مصطفى جواد (دمشق ١٩٦٤) .

١٩ـ ابن قنيتو ، سنبط الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك (بغداد ، د ت).

٢٠ـ ابو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل : تقويم البلدان باعتناء ماك ديسلان (باريس ١٨٤٠) .

٢١ـ البدليسي ، شرف الدين : شرفنامه ، ترجمة محمد علي عوني (القاهرة ١٩٦٢) .

٢٢ـ البلا ذري ، أحمد : فتوح البلدان (القاهرة ١٩٥٩).

٢٣ـ البندنيجي ، عيسى صفاءالدين : شرح القصيدة الرائية وتخميسها (مخطوط في مكتبة المتحف ألعراقي) .

٢٤ـ الجلالي ، محمد الباقر : موجز تاريخ عشائر العمارة (بغداد ، د . ت) .

٢٥ـ الحصري ، ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية (بيروت ١٩٦٥).

٢٦ـ الحموي ، ياقوت : معجم ألبلدان (بيروت ١٩٥٧) .

٢٧ـ الحميري ، محمد بن عبدالمنعم : الروض المعطار في خبر الاقطار ، بتحقيق د . احسان عباس (بيروت) .

٢٨ـ الراوي ، جابر : الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية (بغداد ١٩٧٥) ٠

٢٩ـ ريج ، كلوديوس : رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ ، ترجمة بهاء الدين نوري (بغداد ١٩٥١) ٠

٣٠ـ زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة (القاهرة ١٩٥١) ٠

٣١ـ السعدون ، خالدة : تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق وايران (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد ١٩٧٠) ٠

٣٢ـ السويدي ، عبدالرحمن : تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، بتحقيق د ٠ عماد عبدالسلام رؤوف (بغداد ١٩٧٨) ٠

٣٣ـ ــــــــــ : حديقة الزوراء في سيرة الوزراء (مخطوطة المتحف البريطاني) ٠

٣٤ـ الضابط ، شاكر صابر : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران (بغداد ١٩٦٦) ٠

٣٥ـ الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة ١٩٦٣) ٠

٣٦ـ العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٩٣٥ ـ ١٩٥٦)

٣٧ـ ــــــــــ : الكاكائية في ألتاريخ (بغداد) ٠

٣٨ـ عماد عبدالسلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني (النجف ١٩٧٥)٠

٣٩ـ العمري ، ياسين : زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية ٠ بتحقيق عماد عبدالسلام رؤوف (النجف ١٩٧٥) ٠

٤٠ـ الغياث البغدادي ، عبدالله : التاريخ الغياثي ، الفصل الخامس ، بتحقيق طارق الحمداني (بغداد ١٩٧٥) ٠

٤١ـ قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة. ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه (ليدن ١٨٨٩) ٠

٤٢ـ قزانجي ، رشاد : تقرير الحدود العراقية الايرانية ومياه الانهر المشتركة الحدودية ، رونيو ، مديرية الري العامة (بغداد ١٩٦٩) ٠

٤٣ـ القلقشندي ، أحمد بن علي : صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة ـ دار الكتب) ٠

٤٤ـ القزويني ، زكريا : اثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ـ دار صادر ، د ٠ ت) ٠

٤٥- الكركوكلي ، رسول حاوي : دوحة الوزراء في سيرة بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت (د . ت) .
٤٦- ليسترنج ، كاي : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤) .
٤٧- لونكريك : همسلي : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ،ترجمة جعفر خياط (طبعة خامسة د . ت) .
٤٨- محمد امين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ترجمة محمدعلي عوني (القاهرة ١٩٦١) .
٤٩- المكرياني ، حسين حزني : موجز تاريخ امراء سوران ، ترجمة الملا عبدالكريم (بغداد ، د . ت) .
٥٠- المنشي البغدادي : رحلة المنشي البغدادي ، ترجمة عباس العزاوي (بغداد ١٩٤٨) .
٥١- الندواني ، عبدالكريم : تاريخ العمارة وعشائرها (بغداد ١٩٦١).
٥٢- نظمي زاده ، مرتضى : كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس (بغداد ١٩٧١) .
٥٣- نوار ، عبدالعزيز سليمان : داود باشا والي بغداد (١٩٦٧) .
٥٤- نورس ، علاء موسى كاظم : العراق في العهد العثماني ، دراسة في العلاقات السياسية (بغداد ١٩٧٩) .

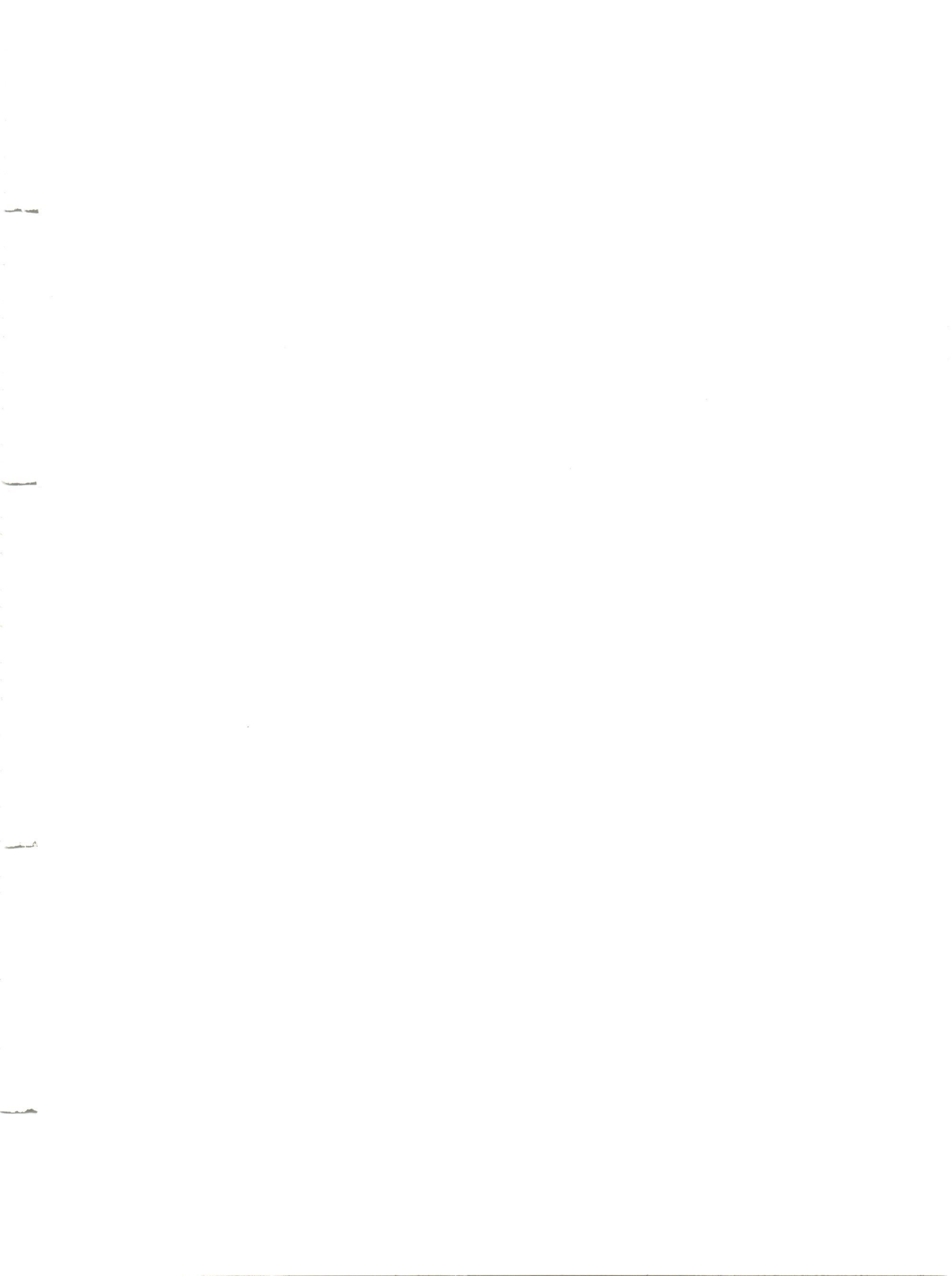
٥٥- دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية . مادة (أربل) ومادة (حلوان) .

و - الدوريات :

١ - جونز ، فيلكس : بغداد في سنة ١٨٥٣ ، ترجمة عبدالوهاب الامين . مجلة المورد مجلد ١ (٣ [بغداد ١٩٧٤] .
٢ - الاشعب ، خالص : مشكلة مياه مندلي ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية مجلد ٥ (بغداد ١٩٦٥) .

ز - المصادر الاوربية :

1. Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire (Leiden 1922).
2. The Times Atlas of World History (Britain 1978).
3. Sykes, E.C., Persia and its People (London 1910).



الفصل الخامس

اتفاقيات الحدود الشرقية الى نهاية القرن التاسع عشر

د . ياسين عبدالكريم

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مقـــــــدمة :

سقطت بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م وحكم العـراق المغول ثم الايلخانيون والجلائريون وبعدهم التركمان • وفي سنة ١٥٠٠ م اسس شاه اسماعيل الصفوي الدولة الصفوية واتخذ تبريز عاصمة له ، وقد كان رجلا طموحا لذلك غزا العراق في سنة ١٥٠٨ واستولى على بغـداد ، وبعمله هذا أثار انتباه الدولة العثمانية على العراق • وبدأ النزاع والمنافسة بين الدولة الصفوية والعثمانية للسيطرة على العراق الذي اصبح في النتيجة ساحة للحركات •

كان بايزيد الثاني يحكم الدولة العثمانية ومعاصـرا لشاه اسماعيـل الصفوي،وكان رجلا ورعا يميل الى السلم،انتشر دعاة شاه اسماعيل الصفوي في انحاء الدولة العثمانية حتى كادوا ان يقوموا بالانقلاب عليها ، لذا ازاح سليم الاول والده عن الحكم واستولى على العرش وغزا الدولة الصفويـة ودحر شاه اسماعيل الصفوي في معركة جالديران سنة ١٥١٤ م واحتل تبريز • ثم غزا سوريا ومصر واستولى عليها •

بعد معركة جالديران ، كان قد اعلن ذو الفقار حاكم بغداد ، انفصالـه عن الدولة الفارسية وولاءه للسلطان سليم ، لذلك احتل الفرس بغداد للمرة الثانية في عهد الشاه طهماسب في سنة ١٥٣٠ •

ان عودة الحكم الفارسي الى بغداد ، واضطهاده بعض السكان ، جعل سليمان القانوني يقوم بحملة على العراق عن طريق تبريز وايران ، وتمكـن من فتح بغداد بدون مقاومة في سنة ١٥٣٤ • ثم وسع حكمه الى مختلف ارجاء

العراق واعلن راشد بن مغامس حاكم البصرة ولاءه للسلطان وتمت سيطرة الدولة العثمانية فعلا على البصرة في سنة ١٥٤٦ • « وبعد فتح البصرة اتجهت الحكومة العثمانية الى بسط سيطرتها على المناطق المحيطة بالبصرة عن مشرق وغرب وجنوب • او بمعنى آخر في اتجاه عربستان والحويزة والجزائر شرقا وغربا في اتجاه عشائر ما بين البصرة والاحساء ، وفي اتجاه الاحساء والقطيف والبحرين ومسقط »[1] •

رجع سليمان القانوني الى بلاده عن طريق بغداد ، كركوك وشهرزور وايران وخلال سفره علم برجوع السيطرة الفارسية على تبريز ، ذلك استولى القانوني عليها مرة اخرى •

بعد معركة جالديران اتبعت الدولة الصفوية ستراتيجية خاصة مع العثمانيين : وهي عدم مجابهة القوات العسكرية العثمانية في معارك حاسمة ، بل الانسحاب تدريجيا الى داخل بلاد فارس لكي يبتعد الجيش العثماني عن بلاده وتطول طرق مواصلاته ويصعب تموينه ويتردد في التوغل بايران •

وبعد ان مكث القانوني مدة في تبريز عاد الى الاستانة • انتهز الفرس انشغال سليمان القانوني في اوربا لذا حاول الشاه طهماسب السيطرة على اذربيجان وواصل زحفه حتى وصل الى ارضروم ، فتوجه السلطان سليمان مرة اخرى نحو الشرق في ١٥٥٢ م ، وحاول السلطان اجبار الجيش الصفوي على مجابهة الجيش العثماني ، غير ان الشاه كعادته سحب جيشه الى اواسط بلاد فارس وبدلا من ان يقبل المعركة اخذ يتشبث باجراء المصالحه وارسل وفدا يطلب عقد معاهدة مع السلطان وتم ذلك في ٩٦٣ هـ/١٥٥٤ م وسميت

---

(١) دكتور عبدالعزيز سليمان نوار ، التاريخ الحديث ، الشعوب الاسلامية ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٣ ، ص١١٤-١١٥ •

بـ « معاهدة آماسيه »[٢] ، وهي اول معاهدة عقدت بين الفـرس والدولـة العثمانية وشملت[٣] ما يلي :

١ ــ تترك ولاية قارص وقلعتها الى الدولة العثمانية .

٢ ــ يجرى تحديد حدود ولاية شهرزور ، حلا للنزاع الموجود حـولها ، ومنعا لوقوع الاضطرابات والمشاكل على حدود الدولتين المتعاقدتين .

٣ ــ ضرورة تأمين سلامة الزوار القادمين من بلاد فارس لزيارة العتبـات المقدسة في العراق ، وكذلك تأمين سلامة الحجاج الذاهبين لزيارة بيت الله الحـرام .

وفي سنة ١٥٥٩ التجأ بايزيد بن سليمان القانوني الى الشاه طهماسب ، واستقبله الاخير بحفاوة ، ولما طالب القانوني اعادة ابنه اليه ، اشترط الشاه تسليمه بغداد ثمنا لذلك ، ورفض السلطان طلب الشاه لذلك[٤] .

وتقرر اخيرا في ١٥٦٢ تسليم بايزيد الى أبيه مقابـل اعـادة اولاد خان تبليس الى الشاه الذين كانوا قد التجأوا الى بغداد .

ثم عقدت عدة معاهدات اخرى بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية

---

(٢) اماسية بلدة تقع في تركيا بالقرب من ساحل البحر الاسود .

(٣) حول معاهدة اماسية راجع :

أ ــ شاكر صابر الضابط ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، دار البصرى ، بغداد ١٩٦٦ ، ص١٨ـ١٩ .

ب ــ دكتور نوار ، السالف الذكر ص ٢٣٩ ــ ٢٤٢ .

ج ــ الدكتور عبدلعزيز سليمان نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات ، مؤتمر ارضروم ١٨٤٣ـ١٨٤٤ ، دار الفكر العربي ١٩٧٤ ، ص١١ـ١٢ .

(٤) الضابط ، السالف الذكر ص٢٠ .

نشير الى اهمها ذاكرين فقط المواد التي لها علاقة بالعراق ومن هذه المعاهدات ما يلي :ـ

بموجب معاهدة فرهاد باشا[٥] التي عقدت في ١٥٩٠ م تنازل الفرس عن لورستان وشهرزور الى الدولة العثمانية واصبحتا جزئين من العراق كما كانتا سابقا •

وبموجب معاهدة ١٦١٣[٦] تعهدت الدولة الفارسية بعدم تقديم اية مساعدة مادية أو معنوية للمتمردين في شهرزور ، ويظهر بأن الدولة العثمانية كانت مهتمة بالقضاء عليهم •

وبموجب معاهدة سراو[٧] في سنة ١٦١٨ ، تنازلت الدولة العثمانية عن درنة ودرتنك التابعتين لولاية بغداد الى فارس لقاء تنازل الاخيرة عن ولاية اخسخة للدولة العثمانية •

معاهدة زهاب ١٦٣٩

الظروف التاريخية التي ادت الى عقد معاهدة زهاب

كانت الحالة السياسية في العراق بعد الفتح الاول في ١٥٣٤ م غير مستقرة ، اذ تميزت بكثرة الثورات والتمردات التي كان بعضها تغذى من لدن الدولة الصفوية •

كان بكر صوباشي قائد الانكشارية في بغداد ولم يكن للوالي يوسف باشا من السلطة غير الاسم ، وانتهز الوالي قيام بكر صوباشي بجولة خارج بغداد لجمع الضرائب ، وحرض بعض الانكشارية ضده ، ولما علم بذلك رجع

---

(٥) ن٠م ، ص٢١ •

(٦) ن٠م ، ص٢٤ •

(٧) ن٠م ، ص٢٤ •

مسرعا الى بغداد وتمكن من القضاء على التمرد وقتل الوالي المذكور ، واصبح بكر صوباشي في ١٦٢١ سيد بغداد بلا منازع ، وكتب الى الباب العالي يرجو تعيينه واليا على بغداد ، ولكن الباب رفض طلبه وعين شخصا آخر ، وعند وصول الوالي الجديد رفض قبوله صوباشي • وجهزت الدولة العثمانية حملة بقيادة حافظ احمد باشا والي ديار بكر لتأديب الثائر صوباشي ، ورفض الاخير الانصياع لطلب حافظ باشا ، لذا فرض قائد الحمله الحصار على بغداد ولما لاحظ صوباشي سوء الاوضاع ، ارسل الى شاه ايران عباس الاول مفاتيح بغداد[٨] •

وكان في البلاط الفارسي بعض المغامرين الذين كانوا باستمرار يتحدثون « عن اهمية السيطرة الفارسية على العراق ، لما فيه من عتبات ••• مقدسة ، ولما يحتويه من اراضي زراعية واسعة [وخصبة] ولانه يفتح الطريق امام الفرس الى البحر [الابيض] المتوسط ، ويضمن لفارس منفذا سهليا على الخليج العربي »[٩] • وانتهز عباس الاول هذه الفرصة الذهبية ، وأعد حملة عسكرية لاحتلال بغداد ، وارسل قائد الحملة رسولا الى حافظ باشا ليعلن له « ان بغداد اصبحت فارسية ، فهل للسردار [قائد الحملة العثمانية] ان ينسحب من جوارها ليدوم السلم بين الدولتين » ، فرد حافظ باشا على الرسول « ان هذه الارض ليست فارسية ونحن نقوم بتأديب ثائر من الثوار »[١٠] • وكان الاجدر له ان يقول ونحن نقوم بمعاقبة خائن قد خان

---

(٨) علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ـ ١٧٥ ، دراسة في احواله السياسية ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، قدمت الى قسم التاريخ، كلية الاداب ، بغداد في شباط ١٩٧٦ ، كنت المشرف على هذه الرسالة واشتركت في لجنة المناقشة ، لذا فضلت الاقتباس منها عند اللزوم • ص٢٦ـ٣٧ •

(٩) دكتور نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، ص١٢ـ١٣ •

(١٠) علي شاكر ، السالف الذكر ص٣٢ •

دولته ووطنه وتراب بلاده • وتجاه هذا الوضع قرر حافظ احمد باشا منح حكم ولاية بغداد الى بكر صوباشي وانسحب الاول الى الموصل • ولكن الشاه اصر للسيطرة على بغداد وجهز حملة لاحتلالها ، وفرض الحصار حولها لمدة ثلاثة اشهر •

اتصل محمد بن بكر صوباشي « الابن على شاكلة والده » بالشاه ، الذي وعده اذا فتح ابواب القلعة للفرس سيعينه واليا عليها ، وتم ذلك في شهر تشرين الثاني ١٦٢٣ م ، بعد ان اعطى الامن لاهل بغداد ولكن الشاه نكث بوعده وامر بقتل الاف السكان ، ووضع صوباشي واخاه عمر في زورق بأمر من الشاه وصب النفط عليهما فاحرقا في الحال[١١] •

لقد ادت خيانة بكر صوباشي الى وقوع بغداد فريسة بيد الصفويين ، وجردت الدولة العثمانية ثلاث حملات لتحرير بغداد من حكم الفرس •

(١) حملة حافظ احمد باشا في سنة ١٦٢٥ ، قاد الحملة الصدر الاعظم حافظ احمد باشا وفرض الحصار على بغداد عدة اشهر ، ولكنه لم يتمكن من اقتحامها وتحريرها من ايدى الفرس واضطر على الانسحاب الى الاستانة عن طريق الموصل وحالما وصلها عزل عن الصداره لفشله في انقاذ بغداد من الفرس[١٢] •

(٢) حملة خسرو باشا في سنة ١٦٢٩ م ، قاد الصدر الاعظم خسرو باشا حملة كبيرة ، في محاولة ثانية لتحرير بغداد من الفرس ، ووصل الموصل ، ثم حرر شهرزور من حكم الفرس ، وجدد قلعة كل عنبر « خورمال الحالية » ومر بحلوان ودرتنك ، ثم قصر شيرين ، وحالما وصل بغداد القى الحصار حولها ، ولكنه لم ينجح في تحريرها من الفرس ورجع خائبا الى الاستانة وحالما وصلها عزل عن الصدارة لفشله في انقاذ بغداد من الفرس[١٣] •

---

(١١) ن٠م ص ٣٤ـ٣٦ ٠
(١٢) ن٠م ص ٤٢ـ٥٠ ٠
(١٣) ن٠م ص ٥٠ـ٥٧ ٠

(٣) حملة مراد الرابع في سنة ١٦٣٨ م ، اعتلى السلطان مراد الرابع العرش في ١٠ ايلول ١٦٢٣ م وكان صبيا لا يتجاوز عمره الثانية عشرة ، وكانت الدولة العثمانية تشكو من الضعف والانحلال ، وتمكن مراد من السيطرة على الحكم بصورة تدريجية وجمع السلطات بيديه وقرر قيام حملة لتحرير بغداد ٠

قاد السلطان مراد الرابع الحملة ، ووضع منهاجا خاصا لها ولبس زيا عربيا مشبها نفسه بالخلفاء الراشدين ٠ وعن طريق ديار بكر وصل الموصل وسلك طريق التون كوبري وكركوك وداقوق وشهربان ، ثم وصل الى القرب من جوار مرقد امام الاعظم وخيم في موضع يقال له الان « سبع أبكار » وتمكن من فرض الحصار حول بغداد ، وبعد قتال مرير تمكن الجيش العثماني من اختراق اسوار بغداد ، وقرر القائد الفارسي بكتاش خان تسليم نفسه الى السلطان مراد الرابع ، وطلب الامان لجنده ، وتوجه للمثول بين يدي السلطان الذي اكرمه ووافق على منح الامان للحامية الايرانية شريطة تخلية بغداد من الفرس حالا ٠ بعد سقوط بغداد شب حريق في مخزن البارود في القلعة الداخلية ادى الى هلاك ٨٠٠ جندي عثماني واتهم الفرس بهذا التدمير ، فامر السلطان بقتل الفرس الموجودين داخل بغداد جزاء لمخالفتهم شروط الصلح وقيامهم بالمؤامرة على الجيش العثماني ٠

---

(١٤) مصادر عن حملة مراد الرابع على بغداد :

أ ـ علي شاكر السالف الذكر ص ٥٧ـ٧٧ ٠

ب ـ الدكتور صالح محمد العابد ، حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد ، مجلة المورد المجلد الثامن ،العدد الرابع ١٩٧٩ ، ص٧٩ـ٩٥.

جـ ـ حسين محمد القهواتي ، العراق بين الاحتلالين العثمانين الاول والثاني ١٥٣٤ـ١٦٣٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاداب ، جامعة بغداد) ص٢١٣ـ٢٣٥ ٠

بقي السلطان مراد الرابع في بغداد بعض الوقت لاعادة تنظيم المدينة ورجع الى الاستانة عن طريق الموصل واستقبل في العاصمة بحفاوة كبيرة ، وبنى قصرا فخما سماه كشك بغداد وتوفى في سنة ١٦٤٠ م .

معاهـــدة زهـــاب ١٦٣٩

بقي الصدر الاعظم مصطفى باشا في بغداد لاعادة تنظيمها بعد ان ظلت تحت حكم الفرس اكثر من خمس عشرة سنة ثم ترك بغداد وبالقرب من شهربان « المقدادية » استقبل وفدا ايرانيا ، وتقرر عقد اجتماع آخر في قزلرباط « السعدية » واشترط الصدر الاعظم على الوفد الفارسي ، انسحاب القوات الفارسية من درتنك ودرنة واعتراف الشاه بتبعية قارص للدولة العثمانية كشرط اساس للدخول في مفاوضات الصلح »[١٥] . رجع الوفد الايراني لعرض وجهة نظر الدولة العثمانية على الشاه صفي ، وتقدم الجيش العثماني الى خانقين ، ووصل المندوب الفارسي صاروخان الى زهاب حاملا موافقة الشاه على المطاليب العثمانية واستعداده لانهاء الخلافات بين الدولتين، وبعد مناقشات طويلة تم الاتفاق بين الطرفين ، ووقع المندوبان على محضر الجلسات وذلك في ١٧ مايس ١٦٣٩ م/١٤ محرم ١٠٤٩ هـ باللغتين التركية والفارسية ، ثم جرى التصديق على شروط المعاهدة من قبل مراد الرابع والشاه صفي ، وعدت المعاهدة نافذة المفعول من تاريخ التوقيع .

وردت في مقدمة المعاهدة الاية الكريمة « وان جنحوا للسلم فاجنح لها

---

(١٥) علي شاكر ، السالف الذكر ص ٨١ـ٨٢ ؛ نقلا عن المؤرخ مصطفى نعيم الحلبي ، روضة الحسين في خلاصة اخبار « الخافقين » المشهور باسم تاريخ نعيما ، استانبول ١٢٨١ ، ص٧٧ـ٧٨ .

وتوكل على الله انه هو السميع العليم » وتعهد الطرفان الالتزام ببنود[١٦] المعاهدة ، وسيقع على المخالف اثم عظيم وانه مسؤول امام الله .

وتقرر ان تكون حدود جصان وبدره ومندلجين « مندلي » ودرنـــه ودرتنك من توابع ايالة (ولاية) بغداد الى المحل المعروف سرفل وتكـون الاراضي الواقعة بين المحل المذكور والمدن المشار اليها في اعلاه تابعة للدولة العثمانية .

وتتبع عشيرتا ضياء الدين وهاروني من فروع قبيلة الجاف الدولـــة العثمانية ، وتكون جميع القرى الواقعة غربي قلعة زنجير تابعة للدولة العثمانية وكذلك تتبعها شهرزور وبالقرب منها تحتل القوات العثمانية الجبال المطلـة على قلعة « ظالم علي » ويكون المضيق الضيق (الممر الجبلي اوكلى) المتجه نحو شهرزور وقرية قزلجة « بنجوين » تابعة للدولة العثمانية .

وتمتنع فارس من التدخل والتعرض لجميع القلاع ، السهول « البقاع » والمقاطعات والاراضي والجبال والتلال الواقعة ضمن حدود اخسخة وقارص ووان وشهرزور وبغداد والبصرة وغيرها التابعة للدولة العثمانية ، وتعهدت فارس ايضا عدم تشجيع حركات التمرد في هذه الاماكن .

وتملك فارس سهل بيره وزردوى المسماة زمردماوا ، وتتبعها ايضـا القرى الواقعة في شرقي قلعة زنجير ، واورمان « هورمان » وتوابعها ومهربان « مروان » وتوابعها ، ولا تتدخل الدولة العثمانية في شؤونها ، اسوة بتعهد الشـاه .

---

(١٦) حول نص المعاهدة راجع :

(١) تاريخ نعيما ج٣ ، السالف الذكر ص ٣٩٦ .

(٢) محمد يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباس ص٢٢٠ـ٢٢٣ .

C.J.C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record; 1535 — 1914 Actogon Books, N.Y., 1972, Vol. I, pp. 21 — 23.

كما تقرر تأمين سلامة التجار والمسافرين التابعين للدولتين المتعاهدتين ، وتقرر هدم قلعة زنجير التي تقع على احدى قمم جبل سبكه وكذلك تقرر هدم قلعة مغاز برد الواقعة في نهاية حدود وان وحوالي قوتور وماكور وقارص .

ملاحظات عامة :

١ ــ يظهر بان النسخة التركية الاصلية لمعاهدة زهاب غير متوفرة الان في دور الارشيف التركية ، ويعتقد الباحث العربي المعروف الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار بان «النسخة التركية احترقت خلال أحد الحرائق الكبيرة التي تعرض لها الباب العالي في الاستانة . كذلك فقدت النسخة الفارسية خلال واحدة من الاضطرابات العديدة التي وقعت في طهران »(١٧) .

٢ ــ توجد نسخة تركية موقعة بختم الصدر الاعظم مصطفى باشا في ارشيف فينا(١٨) . ويمكننا ان نتساءل كيف وصلت تلك النسخة الاصلية الى ارشيف فينا ؟ ربما تسربت النسخة المذكورة عن طريق الاحتيال والسرقة الى الارشيف المذكور ، وربما ارسلت الدولة العثمانية تلك النسخة الى حكومة آل هبسبرك كاعلان للمعاهدة .

٣ ــ اعتمدنا على النص التركي الذي نشره الدكتور جابر الراوي(١٩) . وهو اشبه برسالة كتبها الوزير التركي الى السلطان مراد الرابع حول الشروط التي تم الاتفاق عليها ، وهكذا يصبح النص المشار اليه في اعلاه اشبه بمسودة Draft للمعاهدة .

---

(١٧) دكتور نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية ص٢٥١ .

(١٨)
G.T. Edmonds, Kurds Turks and Arabs, Oxford University Press, N.Y, 1957, p. 125

(١٩) الدكتور جابر ابراهيم الراوى ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، دار السلام بغداد ١٩٧٥ ، ص٥٢٧ .

٤ ــ اعتمد السيد شاكر صابر الضابط في كتابه السالف الذكر ص ٣٥ ــ ٣٦ على النص التركي المنشور في معاهدات عمومية مجموعــه سي ج ٢ ٣٠٨ ــ ٣١٢ تختلف ترجمة السيد الضابط عن النص المنشور في كتاب الدكتور الراوي كما حصلت اخطاء مطبعية في ترجمة النص المنشور في كتاب السيد الضابط •

٥ ــ ان عدم تطرق معاهدة زهاب الى حدود ولاية البصرة لدليل قاطع على عدم وجود خلاف حولها وان تابعية ولاية البصرة وشط العرب للدولة العثمانية كانت فوق الشبهات والاختلافات •

٦ ــ حدود الولايات ، اما التقسيم الاداري للولايات فكانت معروفــة في مركز كل ولاية ومسجلة تقسيماتها وحدودها بفرامين محفوظة في مركز كل ولاية ، بالاضافة الى ذلك كانت تسجل الفرامين في سجلات المحكمة الشرعية في مركز الولاية لاضفاء الشرعية Lega'ity عليها • وكان سكان القرى الواقعة على حدود الدولة العثمانية هم اعرف النــاس بحدود اراضي قراهم ومراعيهم وبمنابع المياه وكيفية الاستفادة منها ، وعند الحاجة كانت الدولة تستعين بهم لاثبات حدود الولاية الدولية ، وقد استفاد درويش باشا من هذه المعلومات لتأييد رأيه في لجنة الحدود الدولية عندما مثل الدولة العثمانية في لجنة تثبيت الحدود بموجــب معاهدة ارضروم التالية •

ان معرفة سكان القرى المجاورة للحدود الدولية ، كانت تســد بعض النقص الناجم من فقدان الخرائط • وكانت الغاية من عدم تثبيت الحدود على اساس الخطوط واتباع طريقة التخوم Zones وتــرك بعض الاراضي منطقة محايدة هي لتلافي الاختلافات بين رعايا الدولتين المتجاورتين قدر الامكان •

٧ ـ واخيرا يمكن أن نعد معاهدة زهاب الحجر الاساس في تثبيت الحدود بين الدولة العثمانية والفارسية لذا تستحق الاهتمام بها . ويكون من المفيد جمع مختلف النصوص التركية والفارسية والانكليزية . والمقارنة بينها ثم الوصول الى نتيجة تكون اقرب الى الحقيقة التاريخية ، وعند ذلك يمكن رسم خريطة جديدة لحدود الدولتين بموجب النص الاخير ، ومن الضروري ايضا تتبع الانتقال Mobility الذي اصاب المدن والقصبات والقرى والقلاع وغيرها وذلك على طرفي الحدود وكذلك من الضروري تتبع تغير اسماء الظواهر الجغرافية وخاصة السهول والجداول والتلال والجبال والقمم وغيرها .

معاهدات اخرى

وبموجب معاهدة أمير[٢٠] اشرف لسنة ١١٤٠ هـ : ١٧٢٧ قررت الدولة العثمانية احتلال الحويزة لوجود اضطرابات فيها ، ونشر الامن فيها بغية تأمين سلامة البصرة ، ووافقت فارس على عدم التدخل عند قيام الدولة العثمانية باحتلالها .

وتقرر بقاء الاراضي والقلاع والقرى التي احتلتها القوات العثمانية في همدان وكرمنشاه ، واردلان ولورستان وسلطانية تحت نفوذ الدولة العثمانية كما تقرر تأمين سلامة الزوار والحجاج وتشجيع التجارة بين الدولتين المتجاورتين وحسن معاملة التجار .

وبموجب معاهدة[٢١] احمد باشا التي عقدت في سنة ١١٤٤ هـ/١٧٣١ م تقرر بقاء درنة ودرتنك بجانب العراق وتنازلت الدولة العثمانية عن اردلان كرمنشاه ، وهمدان وحويزة ولورستان الى الحكومة الفارسية .

---

(٢٠) الضابط ، السالف الذكر ص ٤١ .

(٢١) ن . م ، ص ٤٣ .

وفي سنة ١١٥٩ هـ/١٧٤٦ م عقدت معاهدة[٢٢] اخرى بين الدولتين الاسلاميتين وتقرر بموجبها اتباع سياسة حسن الجوار وحماية الزوار الذين يقصدون العراق لزيارة العتبات المقدسة وعدم جباية ضرائب غير قانونية من التجار التابعين للدولتين .

وبناء على اقتراح الدولة العثمانية تقرر ان تكون الحدود بين الدولتين حسب معاهدة زهاب لسنة ١٦٣٩ ، او معاهدة مراد الرابع ولا يجوز الاخلال بها او تغييرها .

معاهدة ارضروم الاولى في ١٨٢٣

الظروف التي ساعدت على عقد معاهدة ارضروم الاولى

في بدء القرن التاسع عشر حاول السلطان سليم الثالث ادخال اساليب المدنية الحديثة والصناعية منها بصورة خاصة في الدولة العثمانية ، فتآمرت عليه القوى الرجعية وعناصر الشر وفي سنة ١٨٠٧ ازيح عن الوجود . وبعد مدة قصيرة تولى محمود الثاني العرش (١٨٠٨ — ١٨٣٩) ، وكان قوي العزيمة فتمكن من القضاء على الانكشارية في ١٨٢٦ ، ولكنه لم ينجح في تهيئة جيش قوي حسب النظام الجديد ، لذا صعب عليه المحافظة على الامن الداخلي والدفاع عن الامبراطورية وبابه مشاكل كثيرة منها :

ثورة اليونان : خضعت بلاد اليونان للدولة العثمانية خلال حكم محمد الفاتح ، وفي بدء القرن التاسع عشر انتقلت مبادىء الثورة الافرنسية اليها ، ثم تأسست في روسيا جمعية روسية يونانية لتحرير بلاد اليونان من حكم العثمانيين . وفي ١٨٢١ م اندلعت الثورة في اليونان وايدتها الدول الاوربية الكبرى لكونها ثورة تحررية لشعب مسيحي ضد الدولة العثمانية المسلمة .

---

(٢٢) ن . م ، ص ٤٨ .

وكانت الثورات ضد حكم السلطان مستمرة ايضا في رومانيا وصربيا ، فاضطر السلطان الى اتباع سياسة التهدئة في انحاء الدولة العثمانية ومنها العراق .

اعتداءات الفرس : كان شاهات الفرس يطمعون دائما في الاستيلاء على العراق[٢٣] ، وكان مؤسس الاسرة القجارية اغا محمد معروفا بخططه التوسعية ورغبته الشديدة بالاستيلاء على بغداد ، واثار خلفه فتح على شاه هذه الاطماع بين حين وآخر بحجة المحافظة على العتبات المقدسة ضد غزوات الوهابين وسوء معاملة الزوار او مساعدة البابانين .

كانت قد تشكلت الامارة البابانية في الشمال الشرقي من العراق ، وكان التنافس بين افراد هذه الاسرة للوصول الى الحكم شديدا جدا ، لذلك اخذ بعضهم يلتجيء الى فارس بغية الوصول الى الحكم ، وانتهزت الاخيرة هذه الغرص واخذت تتدخل في شؤون امارة بابان والعراق .

تولى الحكم عبدالرحمن باشا البابانى (١٧٨٩ — ١٨١٣) ولكنه عزل عدة مرات من قبل والي بغداد ، لرفضه تنفيذ واجباته تجاه حكومة بغداد ومحاولاته الانفصال عن العراق بمساعدة الفرس ، ثم تعاون ابنه محمود باشا مع الفرس ايضا ضد حكومة بغداد . لقد شجع هذا الوضع فارس القيام بحملات مع العراق متذرعة بالعطف على البابانيين بينما كانت غاية حكام الفرس السيطرة على العراق[٢٤] .

في سنة ١٨٠٦ عزل علي باشا والي بغداد عبدالرحمن باشا البابانى فالتجأ الاخير الى الشاه الذي طلب من الوالي اعادة البابانى الى الحكم ، وقاوم والي بغداد تدخل الشاه في امور العراق الداخلية ، لذا قامت الحرب بين الطرفين

---

(٢٣) عبد ربه سكران الوائلي ، تاريخ الامارة البابانية الكردية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قدمت الى قسم التاريخ ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٩ ، ص٢٢٨ .

(٢٤) ن وم ، ص٢٠٧ .

والكن السلطان لم يوافق على اعلان الحرب على فارس(٢٥) واعيد الباشا البابانى الى الحكم ، كما انه اعيد بتأييد من فارس في سنة ١٨٠٩ .

وفي سنة ١٨١٢ حرض محمود باشا البابانى فارس القيام بحملة لاحتلال بغداد فاضطر والي بغداد ترضية الامير الفارسي ماليا للكف عن الحملة(٢٦) .

وفي خلال حكم داود باشا حرض محمود باشا البابانى القيام بحملة على العراق . وارسلت فارس ثلاثة ارتال لمهاجمة العراق من كردستان ومندلي وبدرة وجصان وارسل داود باشا قوة عسكرية كافية تمكنت من صد الهجوم الفارسي ، واضطرت فارس لعقد الصلح مع داود باشا في ١٨١٨ ، وتقرر بموجبه انسحاب القوات الفارسية الغازية من مندلي وبدرة وجصان(٢٧) .

الحرب العثمانية الفارسية في ١٨٢٠ ــ ١٨٢١ م(٢٨) ، لم يحل صلح ١٨١٨ المشاكل بين داود باشا وفارس ، وكان ولي عهد فارس قد وقع تحت تأثير السياسة الروسية القيصرية التي كانت تشجع فارس للتوسع في الدولة العثمانية تعويضا لخسائرها في معاهدة كلستان ١٨١٣ مع روسيا ومعاهدة ١٨١٤ مع انكلترا .

انتهزت حكومة فارس عدم تقديم داود باشا التهاني الى الشاه في المناسبات والاعياد ، فهاجم الجيش الفارسي السليمانية وتعاون بعض امراء البابانيين مع الفرس وجهز داود باشا القوات العسكرية اللازمة للدفاع عن العراق واخبر الباب العالي بذلك وامر محمود الثاني باعلان الحرب على الحكومة الفارسية وارسل نجدة لوالي بغداد . احتلت القوات الفارسية

---

(٢٥) ن٠م ، ص١٧٧ـ١٧٩ .

(٢٦) ن٠م ، ص٢١٠ .

(٢٧) ن٠م ، ص٢٢٢ـ٢٢٥ .

(٢٨) ن٠م ، ٢٢٨ـ٢٤١ .

السليمانية ثم زحفت نحو كركوك ولم تتمكن من احتلالها وتوجهت نحو بغداد عن طريق كفري • انتشر مرض كوليرا بين افراد الجيش الفارسي ، واضطر قائد الحملة الفارسية الى طلب عقد الصلح بين الجانبين وانسحبت القوات الفارسية من الاراضي العراقية التي كانت قد احتلتها •

ثم استمرت الحكومة الفارسية حشد قواتها في همدان بغية تهديد العراق ، واحتلت بعض انحاء كردستان العراقية • وكان ولي العهد الجديد اكثر رغبة من والده المتوفى في احتلال العراق ، وقاد قوة فارسية ووصل في زحفه الى شهربان « المقدادية » ، وتعاونت قوات داود باشا والعشائر العربية ومرض كوليرا في صد الجيوش الفارسية الزاحفة باتجاه بغداد وارغمت الاوضاع الجيوش الفارسية لطلب عقد الصلح مرة اخرى والانسحاب من الاراضي العراقية •

وكذلك « دارت رحى الحرب في نواحي ارضروم دون ان يحرز أي من الطرفين نصرا واضحا ، ونظرا للمشكلات العديدة الداخلية التي كانت تعاني منها كل من فارس والدولة العثمانية قبلتا التفاوض وعقد معاهدة ارضروم الاولى ١٨٢٣[٢٩] » •

معاهدة ارضروم الاولى في ١٨٢٣م

جرى الاجتماع بين الوفد الفارسي والعثماني في مدينة ارضروم ، مثل الجانب الاول عباس ميرزا بن محمد علي ميرزا ولي العهد الفارسي ومثل الدولة العثمانية رؤوف باشا قائد القوات العثمانية الشرقية •

بدأت الجلسات في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٢٣٨ هـ وانتهت في اليوم التاسع عشر من شهر ذي القعدة من تلك السنة ، وبعد

---

(٢٩) د• نوار العلاقات العراقية الايرانية ، ص٢٦ •

المصادقة على المعاهدة تبودلت في ارضروم في اليوم الخامس من ذي القعدة سنة ١٢٣٨ هـ .

شملت المعاهدة مقدمة طويلة ، فابتدأت باللغة العربية وضمت بعض الايات البينات « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » .

وتقرر ان تكون معاهدة سنة ١١٥٩ هـ « كردن » نافذة المفعول ، وتبقى الحدود كما كانت سابقا ، وتراعى سياسة حسن الجوار بين الدولتين المتعاقدين وتقرر ان تنسحب القوات الفارسية من جميع القلاع والاراضي والقرى والمدن التي استولت عليها حربا او سلما ، وتعاد الى الدولة العثمانية في خلال مدة اقصاها ستون يوما من تاريخ تنفيذ المعاهدة ويتم ذلك باشراف اللجان التي تؤلف لهذه الغاية .

ونصت معاهدة ارضروم الاولى[٣٠] على ما يلي :ـ

١ ـ عدم تدخل أي من الدولتين المتعاقدتين في شؤون الدولة الاخرى . ونصت المادة ايضا على منع تدخل دولة فارس في شؤون الاكراد في العراق وكذلك لا يجوز لها التدخل في موضوع تعيين متصرفين من قبل ولاية بغداد في المنطقة الكردية .

٣ ـ تجبي من العشائر التي تعبر حدود اية من الدولتين المتعاقدتين ، طلبا للكلاء والرعي الرسوم « الضرائب » الاعتيادية ، كما تحل الخلافات والمشاكل عند حدوثها ، بالتفاوض بين والي بغداد ومندوب الشاه .

---

(٣٠) حول نص المعاهدة راجع .

أ ـ الضابط ، السالف الذكر ، ص٥٨ـ٦٠ .

ب ـ الدكتور الراوى ، السالف الذكر ص٥٢٨ـ٥٣٤ .

جـ ـ دكتور نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، ص٢٦ـ٢٨ .

(د)

J.H. Hureurtz, op. Cit, pp 90 — Z

٣ ـ لا تجبى من الزوار والحجاج والمسافرين او التجار الفرس في اراضي الدولة العثمانية اية ضريبة الا بموجب القوانين المرعية • وتجبى الضريبة مرة واحدة من التجار على اساس ٤٪ من قيمة البضائع التجارية ويزود التاجر بوصل يؤيد دفعه الضريبة المذكورة ، ويطبق هذا الشرط على التجار العثمانيين في اراضي دولة فارس •

٤ ـ تقرر حسن معاملة الزوار القادمين من بلاد فارس الى العراق لزيارة العتبات المقدسة ، كما تقرر ضرورة تقديم الحماية اللازمة لهم ضد النهب والاستقلال •

٥ ـ لا تحمى أي من الدولتين الفارين من واحدة لاخرى •

٦ ـ تقرر رفع الحجز عن الاموال الفارسية المجمدة خلال الحرب وتسليمها الى أصحابها بعد ابراز الوصولات اللازمة في هذا الشأن •

٧ ـ كما تقرر تبادل السفراء بين الدولتين في كل ثلاث سنوات لحل المشاكل الناجمة ، عن طريق المفاوضات •

وانتهت المعاهدة بخاتمة طويلة أكدت على عدم جواز المطالبة بالتعويضات ونفقات الحرب وحل المشاكل في المستقبل عن طريق التفاوض والتعاون •

جاءت بنود معاهدة ارضروم الاولى في سنة ١٨٢٣ بصورة عامة ، ولم تعالج المشاكل القائمة بين الدولتين بالدقـة والتفصيل • كانت الاختلافات والمشاكل بين الدولتين كثيرة وعميقة ومعقدة • وكانت الدولة العثمانية تجابه مشاكل داخلية وخارجية كثيرة وصعبة • وكانت الدولة الفارسية تنتهز الفرص للتخلص من قيود المعاهدات التي توقعها وترغب التوسع على حساب الدولة العثمانية وخاصة في ساحة العراق • لذلك ظهرت الاختلافات بين الدولتين قبل تطبيق بنود معاهدة ارضروم الاولى بشكل اعنف واشد •

معاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧م

الظروف التاريخية التي ادت الى عقد معاهدة الضروم الثانية

بعد القضاء على الانكشارية في ١٨٣٦ ، حاول السلطان محمود الثاني تأسيس جيش جديد على النمط الاوربي ، ولكن هذا التحول خلق بلبلة واضعف قوة الدولة العثمانية العسكرية تجاه اعدائها وفي مقاومة توسع كل من روسيا وفرنسا ثم والي مصر محمد علي باشا .

كان السلطان محمود الثاني قد طلب مساعدة محمد علي باشا والي مصر في القضاء على ثورة اليونان ، وكان الباشا قد فاز بولاية جزيرة كريت واخذ يتطلع الى الفوز بولاية الشام علاوة على ولاية مصر ، فأظهر السلطان غيرة وارتيابا ، فلما خيل للباشا انه بات في خطر ، امر ابنه ابراهيم بشن حرب ضد السلطان . وفي تشرين الثاني ١٨٣١ غزا ابراهيم فلسطين وسقطت بين يديه يافا وغزة والقدس ودمشق وحلب ، فعبر ابراهيم سلسلة جبال طوروس ودحر جيش السلطان في قولبن في اواخر ١٨٣٢[٣١] .

طلب السلطان مساعدة انكلترا ، ولكن بالمرستون لم يهتم بطلبه ، فاضطر أن يلتجيء الى عدوه التقليدي طالبا العون من روسيا . كان نيقولا الثاني يكره الثورة والثائرين ، لذلك استجاب الى طلب السلطان ، وفي شباط ١٨٣٣ رسا اسطول بحري روسي امام شاطيء الاستانة ، ثم نزل ٦٠٠٠ جندي روسي الى الشاطيء الاسيوي « اسكدار » لحماية السلطان ضد محمد علي باشا ، واضطر السلطان ان يعقد حلفا دفاعيا هجوميا مع روسيا بموجب معاهدة هنكيار اسكله سي (٨ تموز ١٨٣٣) ووافقت الدولة العثمانية على غلق

---

(٣١) أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلي ، ترجمة بهاء فهمي ، ومراجعة احمد عزت عبدالكريم ، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ـ١٩٥٠ ، مؤسسة سجل العرب ، بدون تاريخ ، ص٤٠٨ـ٤٠٩ .

الدردنيل بوجه سفن الدول الاخرى عند طلب روسيا • وخلال هذه الازمة أيدت فرنسا مصر ، ولكن يالمرستون رئيس وزراء انكلترا أيد السلطان ، وخاصة بعدما اندحر جيشه امام الجيش المصري في نصيبين ، وابحر الاسطول العثماني الى الاسكندرية واستسلم لمحمد علي بحجة ان استانبول اصبحت خاضعة لروسيا[٣٢] •

وفي خلال هذه الظروف الحرجة توفى السلطان محمود الثاني وحل محله ابنه عبدالحميد الذي كان في السادسة عشرة من عمره • وتمكن بالمرستون من التأثير في النمسا وروسيا وبروسيا لتوقيع اتفاقية معه في ١٥ تموز ١٨٤٠ بلندن وتقرر فيها « ان تكون لمحمد علي ولاية مصر الوراثية وولاية عكا مدى الحياة فاذا ما امتنع عن الجلاء عن بقية الاراضي التي فتحها وقبول ذلك العرض خلال عشرة ايام تركت له ولاية مصر وحدها »[٣٣] •

ولما تردد محمد علي في قبول انذار الدول الكبرى قصف الاسطول الانكليزي عكا وظهر امام الاسكندرية واضطر محمد علي الى الاذعان لرغبات الدول الكبرى والجلاء عن بلاد الشام بشرط ضمان ولاية مصر له •

ثم تمكن بالمرستون من عقد اتفاقية في ١٣ تموز ١٨٤١ تعهدت بموجبها الدول العظمى والسلطان بغلق المضايق التركية امام السفن الحربية للدول الاجنبية •

وحاول نيقولا الثاني قيصر روسيا في حديثه مع اللورد ابردين وزير خارجية انكلترا في ١٨٤٤ ، الى ايجاد تفاهم مع انكلترا وقال ان السلطان « رجل مريض مشرف على الموت » ومن الاحسن التفاهم حول مصير مملكته، ولكن يالمرستون عد ذلك « هراء »[٣٤] •

---

(٣٢) ن٠م ، ص٤٠٩ـ٤١١ •

(٣٣) ن٠م ، ص٤١٢ •

(٣٤) ن٠م ، ص٤١٥ـ٤١٧ •

ان هذه الاسطر القليلة تبين لنا بجلاء مدى اهتمام انكلترا بالدولة العثمانية والدفاع عنها وذلك في اواسط القرن التاسع عشر ، لكيلا تزحف روسيا على المياه الدافئة ، ويختل التوازن الدولي والاستقرار في الشرق الاوسط وتتعرض طرق المواصلات البريطانية على الخطر • وفي اواسط القرن التاسع عشر اصبحت لانكلترا الكلمة العليا المسموعة في الباب العالي وأدت السفارة البريطانية في استانبول وخاصة السفير « بويولد آلجي » Sir Stratford Canni دورا بارزا في توجيه سياسة الدولة العثمانية الخارجية والداخلية معا •

الدولة الفارسية ، بعد نجاح الثورة اليونانية اتجهت سياسة روسيا القيصرية التوسعية نحو ايران والدولة العثمانية • وعقدت روسيا معاهدة كلستان في سنة ١٨١٣ مع الدولة الفارسية وبموجبها اقتطعت روسيا أجزاء واسعة من اراضي فارس في الشمال • ثم عقدت بينهما معاهدة تركمان جاي في سنة ١٨٢٨ ، ولم تكن لفارس احسن من الاولى • ولاحظت روسيا ان من الخير لها توجيه السلطات الفارسية « على استعادة بعض ما فقدته عن طريق التوسع في الاراضي العثمانية ، خاصة ان النفوذ الفارسي كان قد بدأ يقوى بشكل محسوس بين افراد اسرة بابان حيث كان « لا يتورع بعض افرادها عن التحالف مع الحكومة الفارسية ضد والي بغداد من اجل الحفاظ على حكم السليمانية »(٣٥) •

سبق ان ذكرنا الحرب الفارسية العثمانية في ١٨٢٠ ، وفي ١٨٤٠ قامت الحرب مرة اخرى بين الدولتين واستولت فارس على السليمانية لمدة قصيرة•

المحمرة :ــ جرى تشييد ميناء المحمرة سنة ١٨١٢ من قبل احد امراء عشائر المحيسن ، وزادت اهمية التجارية في سنة ١٨٣٠ ، واخذ ينافس ميناء

---

(٣٥) دكتور نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، ص٢٦ •

البصرة في تجارته ، واتجهت انظار كل من فارس والدولة العثمانية لتحديد تبعيته . ثم « اعلن امراء المحمرة ان ميناءهم اضحى حرا . وهو مفتوح لجميع السفن دون كمارك ، وصاروا يتعاملون مع السلطة الفارسية والعثمانية على حد سواء فتحولت السفن اليه واخذت تنزل بضعائها فيه . فاصبح مستودعا هاما لها . ومنه كانت تهرب الكثير من السلع الى الزبير والبصرة »[٣٦] .

كانت المحمرة تعد جزءا من توابع البصرة ، وكان سكانها يدفعون الميري الى الدولة العثمانية ، ورأينا بان معاهدة زهاب التي عقدت في ١٦٣٩ ، قد عدت سيادة الدولة العثمانية على ولاية البصرة وتوابعها لا شك فيها ، وتعهدت فارس بعدم التدخل في شؤونها . وكانت عشيرة كعب تعد من رعايا الدولة العثمانية وانتقلت من الضفة الغربية لشط العرب الى الضفة الشرقية .

حاول داود باشا والي بغداد في ١٨٢٧ بسط سيطرته على المحمرة ولكنه لم ينجح في تحقيق هدفه[٣٧] .

وفي ١٨٣٧ قاد الحاج علي رضا باشا والي بغداد حملة على المحمرة ، وشاركت فيها بعض عشائر المنتفق بقيادة آل السعدون ، ومع ان الحملة نجحت عسكريا ووقع الشيخ تامر شيخ كعب على اتفاقية اعترف فيها بتبعيته للسلطان العثماني »[٣٨] . ولكن جابر شيخ المحمرة رفض ذلك .

---

(٣٦) د. مصطفى عبدالقادر النجار ، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب ، منشورات جمعية الدفاع عن عروبة الخليج العربي ، القطر العراقي ـ المركز العام في البصرة ١٩٧٤ ، ص٦١ .

(٣٧) ن.م ، ص٦٢ .
وراجع ايضا حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، الجزء الاول ، مطبعة دار الكتب ، ص٧٨ـ٨١ .

(٣٨) ن.م ، د. النجار ، ص٦٢ـ٦٣ .
وراجع حسين خلف الشيخ خزعل ، السالف الذكر ، ص١٠٧ـ١١٢ .

ثم قامت فارس بحملة ادت الى احتلال عربستان والمحمرة فنشأ « نزاع طويل حول كعب والمحمرة بين الدولتين الفارسية والعثمانية . ومما زاد تعقيد المشكلة هو تدخل الدول الاوربية في القضية لا سيما بريطانيا وروسيا القصيرية »[٣٩] .

المفاوضات

بدأت لجنة تحديد الحدود العثمانية الفارسية اعمالها في ١٥ مايس ١٨٤٣ واتخذت مدينة ارضروم مقرا لها . وكان المندوب العثماني في المفاوضات انور افندي اما المندوب الفارسي فكان ميرزا تقي خان .

مطالب الدولة العثمانية : خلال المفاوضات طالبت الدولة العثمانية بمطالب[٤٠] عديدة نذكر اهمها :

١ ـ طالب المندوب العثماني بالمحمرة وكل ما هو غربي نهر كارون وفرعه قبان .

٢ ـ كما طالب بزهاب وتوابعها طبقا لمعاهدة ١٦٣٩ .

٣ ـ ضرورة تسوية مشاكل الحدود حسب ما جاء بمعاهدة زهاب لسنة ١٦٣٩ .

٤ ـ ضرورة تنفيذ المواد التي لم تطبق من معاهدة ارضروم الاولى .

٥ ـ ضرورة تقديم فارس تعويضات مناسبة عن تعدياتها على الاراضي والممتلكات العثمانية .

وكان اهم مطالب[٤١] الدولة الفارسية كما يلي :

---

(٣٩) ن٠م ، د٠ النجار ، ص٦٣ ٠

(٤١) د . نوار ، ن و٠م ، ص١٢١ ـ ١٢٢ .

١ ــ لفارس حق اختيار حاكم « باشا » السليمانية •

٢ ــ منح القناصل الفارسية الامتيازات التي كان يتمتع بها القناصل الاوربية في الدولة العثمانية •

٣ ــ ضرورة تقديم الدولة العثمانية تعويضات للذين اصابتهم الخسائر كنتيجة لحملة علي رضا باشا على المحمرة في سنة ١٨٣٧ وكذلك تعويض الفرس الذين لحقتهم الخسائر في مجزرة كربلاء سنة ١٨٤٢ •

٤ ــ تسليم امراء الفرس اللاجئين الى الدولة العثمانية •

٥ ــ السماح للفرس في الدولة اعثمانية بممارسة التجارة الخارجية على قدم المساواة مع الرعية العثمانية •

ايد مطالب الدولة العثمانية في المحمرة وشط العرب القنصل البريطاني العام Sir Henry Ralwinson في بغداد (١٨٤٢ ــ ١٨٥٣) ، واوفد سير ستراتد فورد كاننك Sir Stratford Canning السفير البريطاني في الاستانة هنرى لايارد Henry Layard الى العراق ومنطقة عربستان لتقصي الحقائق • وبعد زيارة المنطقة والقيام بدراسة ميدانية دقيقة قدم لايارد Layard تقريرا الى السفير أيد فيه بان المحمرة وشط العرب تابعان الى الدولة العثمانية ، وعد نهر بهمنشير الذي يؤدى الى الخليج العربي المنفذ المائي الوحيد لفارس في منطقة شط العرب •

أيد السفير كاننك آراء لايارد وقدم تقريرا بهذا المآل الى وزارة الخارجية البريطانية واقترح فيه تعيين لايارد عضوا في لجنة تحديد الحدود بين الدولتين الاسلاميتين ، ويذكر لايارد ما يلي : طلب السفير مقابلته ووجده متأثرا يسير ذهابا وايابا في غرفته وعليه علائم التأثر والغضب ثم اطلعه على جواب وزير الخارجية البريطانية اللورد ابردين Lord Aberdeen ، وكأن لسان حال

السفير يقول أن ليس في امكانه معارضة رأي الوزير[٤٢] !

وايد كولونيل شل Colonel Sheil وزير خارجية انكلترا تهدئة طهران المطالب الفارسية ، بحزم وقوة ، وايدت روسيا المطالب الفارسية ترضية لها ، وتعويضا للخسائر التي كانت قد لحقت بفارس بموجب معاهدتي كلستان وتركمان جاى المعقودتين بين روسيا وفارس .

واراد يورد ابردين Aberdeen وزير خارجية انكلترا تهدئة روسيا القيصيرية ونيل رضاها ، طبعا على حساب الدولة العثمانية ، وكان وليمز Williams المندوب البريطاني في لجنة تحديد الحدود قد اقترح اعطاء فارس المحمرة وجزيرة الخضر ومنحها حرية الملاحة في شط العرب لان هذا كان على حسب زعمه يؤدي الى حرية الملاحة البريطانية في شط العرب وربما الى تدويله[٤٣] .

قاومت الدولة العثمانية مطالب فارس وضغط انكلترا وروسيا وكادت اللجنة ان تفشل نهائيا ، ثم وجهت بريطانيا ضغطا كبيرا على الباب العالي ، وكادت الحرب ان تندلع بين الدولتين الاسلاميتين .

اضطرت الدولة العثمانية الموافقة على اقتراحات الدولتين الكبيرتين حيث أيدتا سياسة الوضع الراهن The Status quo في المحمرة والاحتلال الفارسي الفعلي لزهاب .

ولم تمنح اللجنة لسكان المحمرة الحرية لتقرير مصيرهم بالانضمام الى

---

(٤٢)

Sir Henryloyard, Early Adventures, John Murray, 1887, Vol 11, pp 432 — 439.

وراجع ايضا د. النجار ، السالف الذكر ص٦٧ .

(٤٣) د. نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، ص١٢٣ .

الدولة العثمانية او الدولة الفارسية ولو منحت لهم حرية تقرير المصير ، لفضلوا بالتأكيد الحرية وتكوين دولة مستقلة من عربستان واتخاذ المحمرة عاصمة لها .

وعندما لاحظ الباب العالي اصرار الدولتين الكبيرتين على اعطاء المحمرة ومينائها ومرساها وجزيرة خضر لفارس ، لان تعاملهما مع مع الحكومة الفارسية المفككة كان اسهل ، ووجود المحمرة في حوزة فارس كان أحسن لهما واكثر ضمانا لمصالحهما . قدم الباب العالي مذكرة الى السفيرين الوسيطين طلب فيها تقديم ايضاحات حول اربع نقاط ، واكدت الدولة العثمانية « ان تنازلها عن مدينة المحمرة والميناء والمرسى وجزيرة خضر لا يعني انها تخلت عن أي اراض اخرى او مرافىء يمكن ان تقام في المنطقة المذكورة . كما ان تنازلها هذا لا يعني انها تنازلت عن الاراضي التي تخص الدولة العثمانية في الضفة اليسرى حتى في حالة اقامة القبائل الفارسية بشكل جزئي او كلي على الضفة اليمنى من شط العرب »(٤٤) .

قدم السفير البريطاني والروسي في الاستانة مذكرة الى الحكومة العثمانية في السادس والعشرين من نيسان ١٨٤٧ جوابا لمذكرتها المشار اليها اعلاه ، وقالا انهما يصرحان بما يلي :

« بخصوص ١ — ان مرسى المحمرة هو القسم الواقع مقابل مدينة المحمرة في قناة الحفار . وهذا التعريف لا يحتمل ان يؤثر أي تفسير اخر في معناه .

وفضلا عن ذلك فان الممثلين الموقعين في ادناه يشاطران الحكومة العثمانية الرأي القائل بان قيام الحكومة العثمانية بتركها لايران مدينة المحمرة ومينائها ومرساها وجزيرة خضر في المنطقة المذكورة لا يعني تركها اية اراض او موانىء اخرى موجودة في تلك المنطقة .

ويصرح كذلك الممثلان الموقعان في ادناه بانه لن يكون لايران الحق باية حجة كانت في ان تقدم ادعاءات حول المناطق الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا حول الاراضي العائدة لتركية على الضفة اليسرى حتى اذا كانت تقطن في تلك الضفة او في تلك الاراضي عشائر ايرانية او اقسام منها » .

وفي ٢٩ جمادى الاول سنة ١٢٦٣ هـ ، ارسل وزير خارجية تركيا مذكرة الى السفيرين المذكورين ، ايد تسلمه تأييده لرسالتهما واكد مرة اخرى .

« انه لن يكون للحكومة الايرانية الحق في تقديم أي أدعاء كان بحقوق الملكية لا فيما يخص الاماكن الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا فيما يخص الاماكن العائدة للحكومة العثمانية على الضفة اليسرى منه حتى حيث تقطن عشيرة ايرانية او قسم منها ... [واضاف ان السلطان اصدر تعليمات لانور افندي مندوب الباب العالي في مدينة ارضروم ومنحه صلاحية التوقيع] ، على مسودة المعاهدة التي قدمها مندوبا البلاطين الوسيطان بلا تعديل على ان يقبل بلاط ايران بالتأكيدات التي اعطاها ممثلا البلاطين الوسيطان والتي مآلها ان ايران لن تقدم ادعاءات تتعارض وهذه التأكيدات وكذلك على انه اذا ما قدمت ادعاءات من هذا القبيل فان المعاهدة تعد لاغيه وباطلة المفعول »[٤٦] .

١٤ (٢٦) نيسان ١٨٤٧ — الموقعان الخ ...

اوستبنوف

اج . دليسلى»[٤٥]

---

(٤٥) د. النجار ، لسالف الذكر ص٧٧ .
وراجع أيضا الضابط السالف الذكر ص ٦٧ — ٦٨ .

(٤٦) الضابط السالف الذكر ، ص٦٨-٦٩ .
وراجع ايضا د. النجار ، السالف الذكر ص٧٨ .

وفي ٣١ كانون الثاني من سنة ١٨٤٨ ، ارسل ميرزا محمد علي خان المندوب الفارسي مذكرة الى السفيرين الوسيطين جاء فيها :

« اصرح بهذا لمعاليكم بانني بناء على المهمة التي عهدت بها الى حكومتي لتبادل وثائق ابرام معاهدة ارضروم موافق كل الموافقة على الايضاحات التي قدمها ممثلا الدولتين الوسيطان الى الباب العالي حول النقاط الثلاث الاولى من رسالة معاليكم ...

وتأييدا لذلك فقد وقعت على هذه المعاهدة وختمها بختمي .

بيره ٢٣ صفر سنة ١٢٦٤ الموافق ١٩ (٣١) كانون الثاني سنة ١٨٤٨

(الامضاء) محمد علي »[٤٧]

وكان السؤال الاول كما ذكر سابقا يخص مدينة المحمرة والميناء ومرساها الخ .. وان الدولة العثمانية لم تتنازل عن أي ميناء أو أراضي اخرى تابعة لها على الضفة اليسرى « الشرقية » من شط العرب ، زد على ذلك فان الضفة اليمنى الغربية كانت تابعة لها بلا منازع .

ادعت الحكومة الفارسية بعد ذلك بان ميرزا محمد علي خان لم يكن مخولا بالتوقيع على المذكرة التي قدمها اليه المندوب الروسي والانكليزي ، وانه جاوز بذلك الصلاحيات الممنوحة له . لقد اوضح بصراحة كل من المندوب الانكليزي والروسي للمندوب الفارسي ان رفضه التوقيع على المذكرة الايضاحية سيؤدي الى « وقف جهودهما في الوصول الى تسوية شاملة وبتحميل الحكومة الفارسية مسئولية فشل مؤتمر ارضروم »[٤٨] . فكان على المندوب الفارسي ان يختار بين احد الاسلوبين التالين :ـ

---

(٤٧) الضابط السالف الذكر ، ص٧١ـ٧٢ .

(٤٨) الضابط السالف الذكر ، ص٧٣ .

وراجع ايضا د . النجار ، السالف الذكر ص ٧٩ .

١ — رفض التوقيع على المذكرة الايضاحية للمندوبين الوسيطين ، وعند ذلك كان يتحمل مسؤولية فشل المؤتمر والنتائج التي تترتب على ذلك .

٢ — قبول المذكرة الايضاحية للمندوبين الوسيطين وتأييدها خطيا ورسميا ، وقد فضل الحل الاخير لان فارس كانت قد نالت مدينة المحمرة وميناءها ومرساها وجزيرة خضر ، وكذلك نالت زهاب والقسم الشرقي منها .

وبهذا المنطلق ، خرجت من المؤتمر منتصرة ، ومن الناحيـة الاخـرى اشترطت الدولة العثمانية بصورة قاطعة رفض المعاهدة اذا لم يؤيد الممثـل الفارسي مذكرة السفيرين الوسيطين .

تنازلت الدولة العثمانية عن المحمرة تحت الظروف القاهرة ، وبتعبير آخر حملتها انكلترا وروسيا ضغطا كبيرا عليها ، وكانت تمر بظروف حرجة كمـا ذكرنا سابقا ، ولم يكن في امكانها رفض طلب الوسيطين المذكورين ، خاصة بعدما أيد لورد ابردين وزير خارجية انكلترا اعطاء المحمرة الى فارس لاسباب سبق شرحها ، ولم يرغب سير سترفورد كاننك ، السفير البريطاني في الاستانة في معارضة وزيره .

ظلت الدولة العثمانية بعد عقد معاهدة أرضروم الثانية تنتهز الفـرص لاعادة بسط سيطرتها على المحمرة ، وكانت تدعى دائما انها عثمانية ، ولمعرفة رأيها حول المحمرة وتوابعها يكون من المفيد مراجعة تقرير[٤٩] درويش باشا ممثل الدولة العثمانية في لجنة تحديد الحدود بين الدولة العثمانية والفارسية.

وكانت فارس ترغب دائما في انتهاز الفرص والاسـتفادة من الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وخاصة في الجهة الاوربية ، وتخترق الحدود العثمانية وتشجع العشائر التابعة لها القيام بالنهب والسلب لكي تنال بعض الامتيازات وتتوسع على حساب الدولة العثمانية وخاصة في جهة العراق،

---

(٤٩) د. نوار ، السالف الذكر ص ١٤٥_١٤٦ .

وكانت كالعادة لا تتقيد بالاتفاقيات والمعاهدات وتعـدها وسيلة وقتية وآلة للتوسع ونيل بعض الحقوق ، وكلما نالت حقوقا واراضي اكثر كان لسـان حالها يقول « هل من مزيد » .

معاهدة ارضروم الثانية في ٣١ مايس ١٨٤٧

احكام المعاهدة : تشمل معاهدة[٥٠] ارضروم الثانية على تسع مواد ، نذكر فيما يلي اهمها :ـ

المادة الاولى : تتنازل الدولتان الاسلاميتان عن كل ما للواحدة علـى الاخرى من ادعاءات مالية في ذلك الوقت ، ولا تعارض هذه التسوية ما جاء في المادة الرابعة التي سنذكرها فيما بعد .

المادة الثانية : تتعهد الحكومة الفارسية بان تترك للحكومة العثمانية ، جميع الاراضي المنخفضة (السهول) ، أي الاراضي التي تشمل القسم الغربي من منطقة زهاب ، وتتعهد الحكومة العثمانية بان تترك للحكومة الفارسـية القسم الشرقي ، أي جميع الاراضي الجبلية ، من المنطقة المذكورة بما في ذلك وادي كرند .

وتتنازل الحكومة الفارسية عن كل ما لها من مطالب في مدينة السليمانية ومنطقتها ، وتتعهد تعهدا رسميا بالا تتدخل في سيادة الحكومة العثمانية على تلك المنطقة او تعتدى عليها .

وتعترف الحكومة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الحكومة الفارسية التامة على مدينة المحمرة وميناءها وجزيرة خضر والمرسى والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية ـ أي الضفة اليسرى ـ ، من شط العرب ، التي هما في حوزة

---

(٥٠) تقرير درويش باشا ، عضو لجنة الحدود العثمانية الفارسية مترجم من اللغة التركية الى اللغة العربية ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٥١ .

عشائر معترف بانها تابعة لفارس . بالاضافة الى ذلك للسفن الفارسية حق الملاحة في شط العرب ، بحرية تامة ، من موقع مصب شط العرب في البحر الى نقطة اتصال حدود الفريقين .

المادة الثالثة : لما كان الفريقان المتعاقدان قد تنازلا بهذه المعاهدة عن ادعاءاتهما الاخرى المختصة بالاراضي فانهما يتعهدان بان يعينا حالا قوميسرين « مندوبين » ومهندسين كممثلين عنهما ، من اجل تقرير الحدود بين الدولتين بصورة تنطبق على احكام المادة السابقة .

المادة الرابعة : تقرر تشكيل لجنة مشتركة للنظر في القضايا التي سببت اضرارا للطرفين وتسويتها بصورة عادلة ، وكذلك تقرر تسوية المسائل المتعلقة برسوم الرعي بصورة عادلة .

المادة التاسعة : أخرت هذه المادة جميع النقاط والمواد المدرجة في المعاهدات السابقة بين الدولتين المتعاقدتين ، وحصلت اشارة خاصة الى مواد معاهدة ارضروم التي كانت قد عقدت في ١٢٣٨ هـ/١٨٢٣ م ، وتقرر العمل حسب نصوصها ما عدا التي تعدلها او تلغيها هذه المعاهدة . ويسري هذا التأييد على نصوصها كما لو كانت نشرت بحذافيرها في هذه المعاهدة .

وتطرقت المعاهدة الى سياسة حسن الجوار والمحافظة على أمن واستقرار الحدود بين الدولتين ومنع العشائر التابعة للدولتين من القيام بالتجاوزات على الطرف الاخر ، كما اخرت المعاهدة حسن معاملة الزوار الذين يقصدون العراق لزيارة العتبات المقدسة وضرورة حمايتهم وعدم جباية الضرائب غير القانونية منهم ، كما وضعت تعليمات حول دفن الموتى في النجف الاشرف وكذلك تقرر تشجيع التجارة بين الطرفين المتعاقدين ، وضرورة حسن معاملة التجار وعدم جباية ضرائب غير قانونية من قبل الدولتين المتعاقدتين ، وكذلك تقرر جواز فتح القنصليات لكل دولة في الدولة الاخرى حسب الحاجة وبالمقابل .

لجنة تحديد الحدود العثمانية الفارسية

تألفت لجنة تضم مندوبين عن الدول الاربعة الموقعة على معاهدة ارضروم الثانية ، وشملت اللجنة مهندسين لتخطيط الحدود المشتركة بين الدولتين الاسلاميتين ، من مصب شط العرب الى نهاية الحدود المشتركة بين الدولتين .

باشرت اللجنة اعمالها في كانون الثاني ١٨٥٠ في المحمرة . وكان المندوب العثماني درويش باشا بارعا ، وسبق ان درس في انكلترا ، لذا كان يعرف اللغة الانكليزية ، ثم مارس التدريس مدة في مهندسخانه « معهد المهندسين » في الاستانة . درس درويش باشا مشاكل الحدود بين الدولتين ، واهتم بصورة خاصة بالمحمرة وأدرك اهميتها ، وطالب بسحب الموظفين والجنود الفرس منها ، واقترح استبدال العلم الفارسي على المحمرة بأعلام محلية ريثما يستقر أمر تبعيتها ، واخيرا وافق على تأجيل البت في امر المحمرة ريثما يتم التوصل الى حل نهائي بشأنها . استمرت المناقشات والخلافات بين المندوب العثماني واعضاء اللجنة الاخرين ولعدم الاستجابة لطلباته ، انسحب درويش باشا عن اللجنة وقدم تقريرا لحكومته ضمنه رآراءه في قضية شط العرب[٥١] .

استمرت اللجنة تخطيط الحدود ولكنها جابهت مشاكل كثيرة منها :ـ

١ ـ قيام حرب القرم بين ١٨٥٣ / ١٨٥٦ بين الدولة العثمانية وروسيا ، ثم دخول انكلترا الحرب بجانب الدولة العثمانية ، لذا توقفت اعمال اللجنة .

٢ ـ نشوب حرب بين بريطانيا وفارس في سنة ١٨٥٦ .

٣ ـ الحرب الروسية العثمانية في ١٨٧٧ وعقد مؤتمر برلين في ١٨٧٨ .

---

(٥١) حول نصوص المعاهدة ، راجع :
J.C. Hureurtz, op. Cit. pp. 91 — 2

د. جابر ابراهيم الراوى ، السالف الذكر ، ص٥٤٥ـ٥٣٩ : النص الانكليزي
شاكر صابر الضابط ، السالف الذكر ، ص٦٣ـ٧٣ .

بعد حرب القرم ، قام ممثلون عن انكلترا وروسيا برسم خريطة مفصلة ودقيقة للحدود المشتركة بين الدولة العثمانية وفارس ، وتم انجاز الخريطة المتفق عليها ، بعد جهود مضنية في ١٨٦٩ ، وجرى تزويد الدولتين الاسلاميتين بنسخة من الخريطة المتفق عليها في بدء ١٨٧٠ ، وطلب اليهما تثبيت الحدود بموجبها .

وفي ١٨٦٩ عقدت آخر معاهدة حدود بين الدولتين المجاورتين ، وتقرر بموجبها المحافظة على الوضع الراهن Status quo ، على الحدود وعدم تشييد قلاع وحصون جديدة حولها ، وحل المشاكل عن طريق المفاوضات بين الدولتين الاسلاميتين ، او حلها من قبل الهيئة المكونة من الدول الاربعة[٥٢] .

ولما عين مدحت باشا واليا على بغداد (١٨٦٩ — ١٨٧٢) حاول التفاهم والتعاون مع الحكومة الفارسية لنشر الامن والاستقرار على طرفي حدود الدولتين الجارتين ، ولكن العشائر الفارسية استمرت بالهجوم على العشائر والقرى والقصبات التابعة الى العراق وارتكبت اعمال النهب والسلب والقتل، ورفضت الدولة الفارسية معاقبة المجرمين .

ولما زار الشاه ناصر الدين بغداد والعتبات المقدسة في اواخر ١٨٧٠ وبدء ١٨٧١ واستقبل بحفاوة بالغة من قبل حكومة بغداد ، انتهز مدحت باشا هذه الفرصة وكلم الشاه حول ضرورة نشر الامن والاستقرار على طرفي حدود الدولتين واستجاب الشاه لطلبه ، واقترح اجراء المفاوضات مع الوفد الفارسي تحت رئاسة الصدر الاعظم وعضوية وزير الخارجية الفارسية ، وترأس مدحت باشا الوفد العثماني ، وجرت مفاوضات طويلة وشاقة ، ولم تؤد الى اية نتيجة ايجابية . وحالما رجع الشاه الى بلاده بدأت المتاعب والمشاكل على الحدود بصورة اشد واعنف فاضطر مدحت باشا الى وضع خطة للدفاع عن الحدود العراقية ضد هجمات واعتداءات لعشائر الفارسية ولكن الخطة لم تطبق لان الباشا اعفى بعد ذلك عن منصبه ولم يهتم الولاة الاخرين بتطبيقها .

---

(٥٢) د. النجار ، السالف الذكر ، ص٨٤_٨٥ .

استمر النزاع بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية على المحمرة ، وظلت الدولة العثمانية تدعى بان المحمرة عثمانية ، وان سيادة شط العرب تابعة لها وأنها تملك الشط وكلا الضفتين الغربية « اليمنى » والشرقية « اليسرى » . ويحق للسفن التجارية الفارسية استغلال شط العرب لغاية الملاحة ، شريطة دفع الضرائب المقررة ، ولا يسمح للسفن الحربية الفارسية المرور بالشط الا بموافقة الدولة العثمانية ، وكانت تسمح بذلك رغبة منها لاظهار الشعور الودي تجاه دولة جارة ومسلمة ويعرف هذا النوع من التسامح « حق المرور البرىء »(٥٣)

Right of innocent Passage

ثم ظهرت مشاكل اخرى منها بروز جزيرة الشلهه الموازية تقريبا للضفة الشرقية من شط العرب ، ونشوء نزاع حول ملكيتها بين الدولة العثمانية والشيخ مزعل .

وفي اواخر القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين حاولت الدولة العثمانية تحصين الفاو وبناء بعض النقاط الاستراتيجية على الضفة الغربية من شط العرب . قاومت انكلترا المشروع العثماني ورأت من الاحسن اثارة الدولة الفارسية ضد المشروع العثماني ، وشجعت فارس على بناء التحصينات على الضفة الشرقية ، وبهذا عرقلت اعمال الدولة العثمانية من وراء الستار ووسعت شقة الخلاف بين الدولتين الجارتين .

وفي خلال هذه الحقبة نشأت مصالح سياسية واقتصادية واستراتيجية مهمة للحكومة البريطانية في الخليج العربي وفي شط العرب وحاولت انكلترا ان تؤدي دور الشرطي والمرشد The Adviser في الخليج العربي وفي شط العرب واستغلت الى درجة كبيرة قضية الهجوم احيانا على بعض السفن التي كانت تحمل العلم البريطاني ، للتدخل في شؤون ملاحة شط العرب .

---

(٥٣) الضابط ، السالف الذكر ، ص٧٤ ، اتفاقية ١٢٨٦ (١٨٦٩) حول خلافات الحدود .

(٥٤) د. الراوى ، السالف الذكر ، ص٢٣٥-٢٣٦ .

المصـــــادر

(١) خزعل (حسين خلف) ، تاريخ الكويت السياسي ، الجزء الاول ، مطبعة دار الكتب بيروت ١٩٦٢ .

(٢) الراوي (الدكتور جابر ابراهيم) الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، دراسة قانونية وثائقية ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٩٧٥ .

(٣) الضابط (شاكر صابر) ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، دار البصرى ، بغداد ، ١٩٦٦ .

(٤) العابد (الدكتور صالح محمد) ، حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الرابع ١٩٧٩ ، دار الجاحظ ، بغداد ، ص٧٩_٩٥ .

(٥) العزاوي (المحامي عباس) ، تاريخ العراق بين الاحتلاليين ، المجلد الرابع ، العهد العثماني الاول ١٥٣٤_١٦٣٨ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ١٩٤٩ .

(٦) العزاوي (المحامي عباس) ، تاريخ العراق بين الاحتلالين ، المجلد السابع ، العهد العثماني الثالث ١٨٣١_١٨٧٢ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ١٩٥٥ .

(٧) النجار (الدكتور مصطفى عبدالقادر) ، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب : منشورات جمعية الدفاع عن عروبة الخليج العربي ، القطر العراقى المركز العام في البصرة ، ١٩٧٤ .

(٨) نوار (الدكتور عبدالعزيز سليمان) ، التاريخ الحديث للشعوب الاسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ .

(٩) نوار (الدكتور عبدالعزيز سليمان) العلاقات العراقية الايرانية ، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات ، مؤتمر ارضروم ١٨٤٣_١٨٤٤ ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٤ .

(١٠) نورس (الدكتور علاء ، موسى كاظم) ، العراق في العهد العثماني ، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ـ١٨٠٠ ، دار الرشيد للنشر ١٩٧٩ .

(١) علي (شاكر علي) ، تاريخ العراق في العهد العثماني ، ١٦٣٨ – ١٧٥٠ ، دراسة في احواله السياسية ، رسالة ماجستير ، قدمت الى قسم التاريخ، كلية الاداب جامعة بغداد شباط ١٩٧٦ ، غير منشورة .

(٢) الوائلي (عبد ربه سكران) تاريخ الامارة البابانية الكردية ، رسالة ماجستير غير منشوره ، قدمت الى قسم التاريخ ، كليـة الآداب ، جامعة القاهـرة ، ١٩٧٩ .

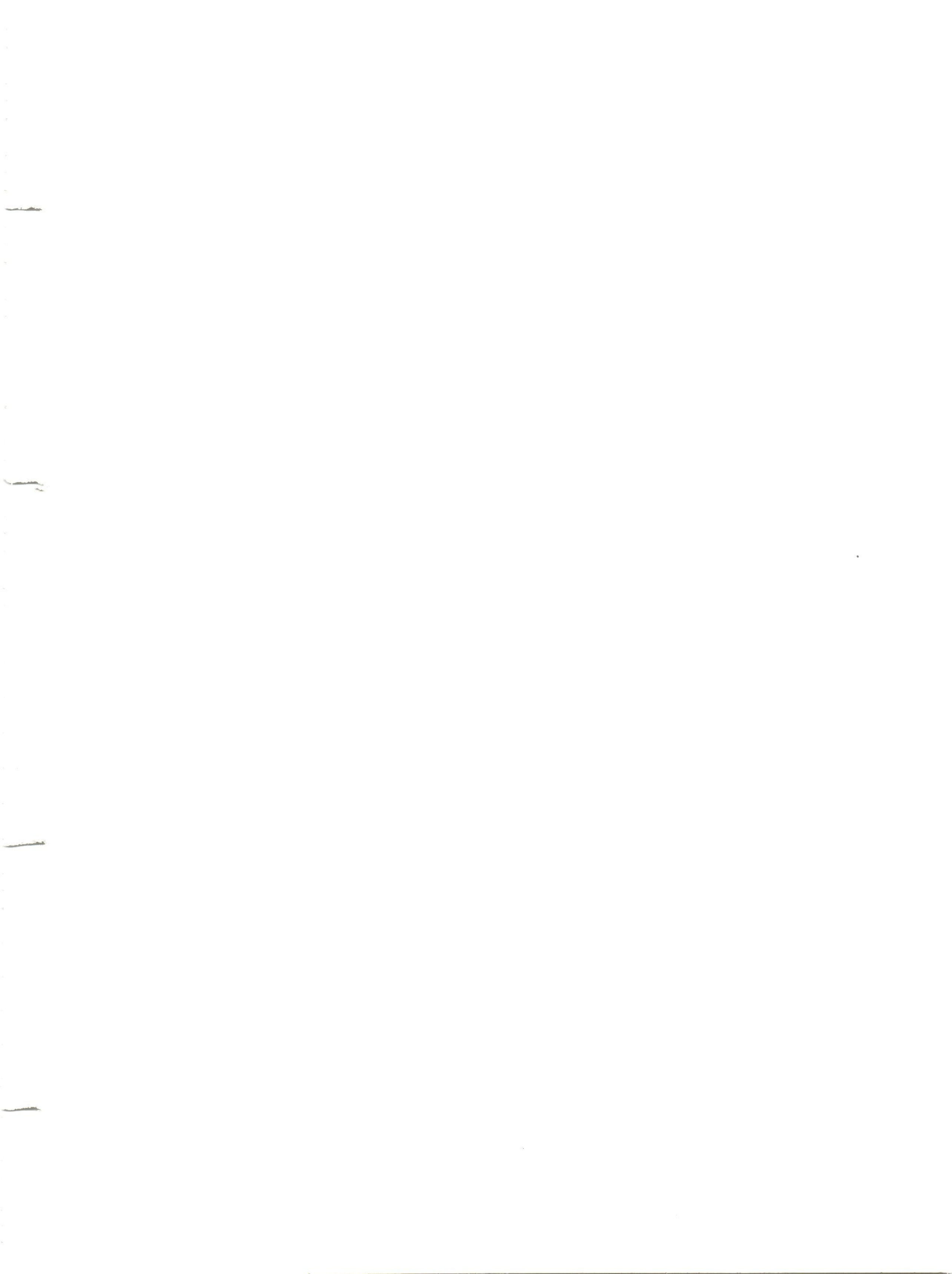
المصادر الانكليزية

1. Edmonds, G.T., Kurds Turks and Arabs, xford University Press, New York, Toronto, 1957.
2. Hureurtz, J.C., Oiplomacy in the Near and Middle East, A Documantary Record; 1535 — 1914, A ctagon Books, New York, 1972.
3. Layard, Sir Henry, Early Adventures in persia, Susiana, and Balylomia, 2 volumes, murray, 1887.
4. Ramazani, R.K., The Foreign Policy of IRAN, 1500 — 1941, Unversity Press of Virgana, 1966
5. Waterfield, grodon, Layard of Nineveh, John murray 1961.

الفصل السادس

امارة كعب العربستانية

الدكتور صالح العابد
كلية الاداب - جامعة بغداد



يحدد اصطلاح « عربستان » الاراضي الرسوبية بين الجبال والبحر الى الجنوب الشرقي من العراق ، وتشمل سهول ديزفول وتستر والحويزة ورام هرمز • ويمكن رسم حدودها بخط من نهر الكرخة الى المحمرة من ناحية الغرب ، وتلول البختياري او أعلى منابع نهر الكارون من الشمال ، وشط العرب والخليج العربي من الجنوب ، ونهر هنديان من الشرق • ومن حيث طبيعة الارض والتكوين فان سهل عربستان هو امتداد لسهل العراق الرسوبي• وفي اواخر القرن التاسع عشر كانت مقسمة على ثماني مقاطعات هي : ديزفول ، تستر ، الحويزة ، الاحواز ، المحمرة ، الفلاحية ، قرية الملا ، ورام هرمز ، يحكم كلا منها نائب حاكم أو شيخ من الاسر العربية الشهيرة في المنطقة[١] • ومنذ بداية القرن الخامس عشر كانت جميعها موحدة يحكمها والي عربستان «وهو عربي ينحدر من سلالة السادة ومقره الحويزة كأمير مستقل تقريبا»[٢] • ولم تستطع فارس ، بسبب طبيعة السكان ان تفرض عليها سيادتها « وان فعلت فتلك سيادة اسمية لاظل لها من الواقع »[٣] •

وسكان عربستان منذ العصور القديمة هم من القبائل العربية ، ويشير كيرزن الى هذه الحقيقة بقوله « ان سكانها هم في الغالبية عرب خلص وخاصة بعد الفتح الاسلامي في ٦٤١ م ، فتتابعت منذ ذلك الوقت هجرات متواصلة من جانبي نهر دجلة والخليج العربي ، والقسم الكبير من القبائل حافظت على

---

(١) George N. Curzon, Persia and the Persian Question (London, 1892), vol. II, p. 320.

(٢) Ibid.

(٣) J. B. Kelly, Britain and the (P.) Gulf 1795 - 1880 (Oxford, 1968), p. 38.

نقاء دمها »[٤] . واشهر قبائل عربستان قبيلة كعب . ومن قائمة أعدهـا روبرتسون Robertson ، القنصل البريطاني في البصرة في ثمانينات القرن التاسع عشر ، يتبين ان من أهم تلك القبائل هي : كعب ، البو غبيش ، العساكرة ، الخنافرة ، الباوية ، البو ناصر ، الكثيّر ، بيت الحجي ، بنو رشيد ، بنو صالح ، بنو طرف ، الحمودي ، الحميد ، الشرافة ، شرفا ، السواري ، السودان ، وسليمان ، وقسم من المنتفك وبني لام . والى جانب هذه القبائل فهناك عدد كبير من القبائل الصغرى[٥] . وسنقتصر في بحثنا هذا على دراسة الامارة التي اقامتها قبيلة كعب وهي واحدة من تلك القبائل التي أدت دورا بارزا في تاريخ عربستان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كمثال للعروبة والشخصية العربية لهذا الجزء من وطننا العربي .

في أوج قوة الكعبيين تحت قيادة الشيخ سلمان في ستينات القرن الثامن عشر ، مدوا سلطانهم على عربستان كلها ، ولكن تأثيرهم في جيرانهم كان لا يتناسب مع حجم ممتلكاتهم الصغيرة فهم يشكلون قوة برية مقاتلة يمكنها الاغارة على داغستان التي تدين بالولاء لكريم خان حاكم فارس ، ويخشى منها الحاكم العثماني في منطقة البصرة ، وكان اسطولهم المؤلف من عدد كبير من السفن والزوارق المختلفة ، قادرا على نقل قواتهم حول الانهر والخلجان الصغيرة والقنوات عند مصب شط العرب والساحل ، بل كان يستطيع التعرض للسفن المتوجهة الى البصرة والقادمة منها واغلاق شط العرب امام التجارة . وكانت هذه الفعاليات هي التي أدت بهم الى الاشتباك مع البريطانيين الممثلين بشركة الهند الشرقية التي تحملت كثيرا من النفقات وعانت من المتاعب جراء الطوق الذي ضربه حولها بنو كعب .

---

(٤) Curzon, 11, p. 321.

(٥) يسجل كيرزن احصائية بعدد أفراد هذه القبائل : كعب ٦٢٫٠٠٠ ، أفراد القبائل في رام هرمز ٢٧٫٠٠٠ ، وفي تستر وديزفول والحويزة ١١٠٫٠٠٠ والمجموع ألكلي التقريبي ١٩٩٫٠٠٠ . Ibid., pp. 321 - 2.

ويعتقد المستشرق بيري J. R. Perry ان بني كعب يمثلون فرعا من بني خفاجة « وهي قبيلة كبيرة هاجرت قبل الاسلام ببضعة قرون الى العراق حيث استقرت بين بغداد والبصرة »[٦] • ويذكر القلقشندي ان بني كعب بطن من بني عامر بن صعصعة نزحت من شبه جزيرة العرب واستقرت في العراق[٧] •

في نهاية القرن السادس عشر استقرت القبيلة اولا في قبان ـ على الساحل بين بندر معشور وشط العرب ـ وذلك كما يبدو مكافأة لها على الخدمات التي قدمتها الى افراسياب باشا حاكم البصرة (١٥٩٦ ـ ١٦٢٤) الذي منحها سلطة الحكم على هذه المنطقة التي انتزعها من التابع الصفوي بكتاش أغا أفشار[٨] • وتحت حكم اسرة افراسياب ، عززت قبيلة كعب مركزها • وحينما أرسل الشاه عباس قائده امام قلي خان ، حاكم شيراز ، لانتزاع البصرة من علي باشا بن افراسياب في ١٦٢٩ ، وقفت كعب بقيادة شيخها بدر بن عثمان بثبات للدفاع عن المدينة ، على الرغم من سريان اشاعة مفادها ان الباشا مستجيبا لنصيحة بعض الانهزاميين في البصرة كان على وشك الفرار[٩] • ومن حسن الحظ باءت الحملة الفارسية بالفشل فانسحبت سريعا اثر وصول خبر موت الشاه عباس • ومنح شيخ كعب ، مكافأة على اخلاصه ، ملكية الجزر الواقعة

---

(٦) John R. Perry, 'The Banū Ka'b, an Amphibious Brigand State in Khūzistān', Extrait de le monde iranien et l'Islam, Tome I, p. 133

(٧) مقتبس في : د • مصطفى النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ـ١٩٢٥ (القاهرة ، ١٩٧١) هامش ٢ ، ص ٤١ •

(٨) Perry, p. 133 فتحالله بن علوان الكعبي ، زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر (بغداد ١٩٢٤) ، ص ١٧ •

(٩) Perry, p. 133;

وهناك رأي يشير الى ان الحملة الفارسية على البصرة جرت سنة ١٦٢٥ ، انظر : علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ـ١٧٥٠ (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٧٦) ، ص ١٤٠ـ١٤١ •

عند مصب شط العرب • ولم تؤثر نهاية حكم اسرة افراسياب وعودة الحكم العثماني المباشر على جنوب العراق[١٠] في وضع بني كعب ، فقد واصلوا حياتهم التي أخذت تتسم بطابع الاستقرار وظهر بينهم عدد من الشخصيات الادبية مثل الشيخ فتح الله الذي ألف كتابا في تاريخ كعب أصبح فيما بعد أحد المصادر الاساسية لتاريخ القبيلة • ويبدو انه لم يكن لنهاية الحقبة الصفوية والغزو الافغاني لفارس[١١] أي صدى لديهم •

وطبقا لما يذكره عباس العزاوي ، فان القبيلة لم تحسب بين قبائل المشعشعين الموجودة في عربستان ، نقلا عن مخطوط زهر الربيع لمؤلفه نعمة الله الجزائري المؤلف في ١٦٩٦[١٢] • ولكن يبدو انهم دخلوها بأعداد كبيرة في خلال الاربعين سنة التالية • وفي خلال حكم نادر شاه (١٧٣٢ ــ ١٧٤٧) ، استغل الكعبيون حركات التمرد في تستر لمد نفوذهم الى مدينة الدروق على نهر الجراحي التي سرعان ما جعلوها مركزهم الرئيس • هذا التطور وظهورهم البارز على مسرح الاحداث جذب اليهم انتباه نادر شاه ، فارسل جيشا بقيادة محمد حسين خان قاجار لمحاصرة القبان ولكن لم تستطع تلك الحملة تحقيق نتيجة حاسمة[١٣] •وبعد ذلك التاريخ مارسوا تقديم ولائهم الاسمي لكلا

---

(١٠) أرسلت الدولة العثمانية عددا من الحملات لانهاء استقلال افراسياب ونجحت حملة قرة مصطفى باشا في ١٦٦٧–١٦٦٨ في القضاء على حكم آخر امرائها حسين باشا (١٦٤٧ ــ ١٦٦٧) الذي لجأ الى الهند . لتفاصيل نهاية حكم افراسياب انظر : علي شاكر علي ، ص ١٤٦ ــ ١٥٨ .

(١١) عن تزايد انحلال السلالة الصفوية والغزو الافغاني لفارس ، انظر :
Laurence Lockhart, Nadir Shah (London, 1938), pp. 1-16.

(١٢) عباس العزاوي ، عشائر العراق (بغداد ١٩٥٦) جـ٤ ص ١٨٤ ،
Perry, p. 134.

(١٣) Ibid.;
أحمد كسروي ، تاريخ بانصد سالة خوزستان (تهران ١٣١٣ هـ) ص ١٦٩–١٧٠ .

المعسكرين ، العثماني والفارسي ببراعة متزايدة • ولكنهم عمليا لم يخضعوا الى أي من الدولتين الكبيرتين[١٤] • ان ارتقاء نجم القبيلة يرتبط بعهد شيخها الشهير سلمان (١٧٣٧ — ١٧٦٨) الذي أوصلها الى مستوى راق لم تعهده من قبـل •

حكم الشيخ سلمان قبيلة كعب بالاشتراك مع اخيه عثمان الى سـنة ١٧٦٤ ، ومع ذلك فمن الجلي ان سلمان كان هو القوة المحركة لسياسـة تأسيس الامارة وتوطيدها وظهرت دلائل ذلك في ١٧٤٧ حينما باغتت قواته حصن كردلان على الضفة اليسرى من شط العـرب واستولت عليه[١٥] • واستغل هذا الزعيـم الفوضى التي ضربت فارس إثر اغتيـال نادر شـاه (١٧٤٧)[١٦] لتقوية دولته وتوسيعها ،فاندفع الى الشمال وأوقع بالافشار ، الذين كانوا يحكمون من قاعدتهم في الدورق باسم الحكومة الفارسـية ، هزيمة ساحقة أسفرت عن طردهم لتصبح كعب سيدة المنطقة بدون منازع[١٧] • وعلى الغرار نفسه ، مد الكعبيون سلطانهم على الضفة اليمنى من شط العرب، فسيطروا على الدواسر التابعة للبصرة وعلى الجزر الواقعة الى الغرب من المصب • وفي خلال سنوات قليلة شملت امارتهم مجالا مثلثا من الارض والماء بين جزيرة بوبيان وهنديان والاحواز يبلغ طول ضلعه مائة ميل تقريبا[١٨] •

---

(١٤) Kelly, pp. 36, 38.

(١٥) كسروي ، ص ١٧٢ •

(١٦) عن الفوضى التي سادت فارس اثر اغتيال نادر شاه انظـر : د . علاء نورس ، العراق في العهد العثماني (بغداد ١٩٧٩) ، ص ٢٠٧ — ٢١٢ .

(١٧) انظر : د . عبدالامير محمد أمين ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (بغداد ١٩٦٦) ص ٤٠—٤١ ؛ John Malcolm, The History of Persia from the Most Early Period to the Present Time (London, 1815), vol. p. 75.

وبينما احتفظ سلمان بقبان كقاعدته الساحلية ، فانه طور الدورق من قرية بسيطة الى مدينة مزدهرة محصنة ، كما شيد مركزا آخر الى الجنوب الغربي منها على نهر الجراحي نفسه أسماه الفلاحية[١٩] ، وسرعان ما أصبحت الفلاحية « عاصمة لدولة من المحاربين الاشداء مهددة البصرة والاحواز »[٢٠]. وفي مدينة السابلة على الكارون ، الواقعة الى الشمال من مجرى مائي يربطها بقبان ، شيّد سلمان سدا من الاخشاب والقصب والقش والطين مكونا خزانا لنظام ري كبير[٢١] • وتمكن الكعبيون وسط الفوضى السائدة المحيطة ببلادهم ان يثبتوا وجودهم كعامل اساس للامن والاستقرار • يقول الشوشتري المعاصر للشيخ سلمان ان المنطقة ازدهرت في عهد هذا الزعيم بدرجة لم تبلغ مثلها في السابق وان الانضباط الذي يمارسه الشيخ ضمن حدود دولته من القوة بحيث « ان اللصوص وقطاع الطرق أصبحوا بندرة طيور العنقاء ••• ولو ان أعمى ضعيفا كان عليه ان يحمل طبقا من الذهب على رأسه ويسير وسط الظلام من قرية الى قرية ، فلن يجرؤ أحد على التحرش به »[٢٢] •

عاشت امارة كعب حياة مزدهرة طوال عشر سنوات وبانسجام نسبي مع جيرانها : باشا بغداد والبصرة وقبيلة (الكثير) العربية حول تستر وديزفول ومولى مطلب شيخ المشعشعين الذي انحصر نطاق سلطته بالحويزة • ومع ان

---

(١٩) هناك رأي يشير الى ان الدورق والفلاحية هما اسمان لموقع واحد (النجار ، ص ٤٢) ؛ ولكن غالبية المصادر تؤكد ماذهبنا اليه • انظر :
Ibid., Kelly, pp. 38-9; Arnold Wilson; The (Persian) Gulf (London, 2nd imp., 1954), p. 186.

(٢٠) Perry, p. 135.

(٢١) Curzon, II, pp. 343-4.

(٢٢) سيد عبدالله بن نورالدين الشوشتري ، تذكره ي شوشتر (كلكتا ، ١٩٢٤) ، ص ٩٩ – ١٠٤ ؛ Perry, p. 135.

دولتهم امتدت بين مناطق الحدود العثمانية ــ الفارسية ، فانهم امتنعوا عن دفع الضرائب لباشا بغداد او لكريم خان الزند[٢٣] ، متذرعين لكل منهما بابتزاز الاخر لهم[٢٤] .

ان ازدهار امارة كعب أثار حسد كريم خان ، فما ان وجد نفسه بعيدا عن الخطر المباشر من منافسيه ، حتى قاد حملة في ١٧٥٧ من أجل اخضاع عربستان[٢٥] . وهناك خلاف على مدى النجاح الذي حققه من حملته هذه ، فالمؤرخ الفارسي مرزا ابو الحسن[٢٦] ، يذكر بان قبيلة كعب وصل الى علمها زحف كريم خان قبل ثلاثة أيام من وصوله الى الفلاحية ، وبأن الجيش الزندي وجد المنطقة خالية والسدود مقطوعة فقام بسلب المنطقة . ولكن ندرة التفصيلات وغياب البراهين الموثقة تجعل المرء يعتقد بأن كريم خان انسحب بدون ان يحقق شيئا مهما ، او في الاكثر حصل على أتاوة معينة[٢٧] .

---

(٢٣) في الفوضى التي اجتاحت فارس أثر اغتيال نادر شاه ، نجح كريم خان الزند في تثبيت نفسه في شيراز سنة ١٧٥٢ مهيمنا على الجزء الجنوبي الغربي من البلاد ، وبعد سنوات من الصراع نجح في اكتساح منافسيه وحكم البلاد بلقب « وكيل » الى وفاته في ١٧٧٩ . للتفاصيل انظر :

Thomas M. Ricks, Politics and Trade in Southern Iran and the Gulf 1745-1765 (Ph. D. thesis, Indiana University, 1975); Malcolm, 11, pp. 115-147.

(٢٤) Perry, p. 136; Wilson, 186.

(٢٥) Kelly, p. 38.

(٢٦) Quoted in : Perry, 136.

(٢٧) انظر : C. Niebuhr, Travels through Arabia and Other Countries in the East (Edinburgh, 1792) vol. II, p. 150; Lorimer, I, Part 2, pp. 1628-9; Malcolm, II, p. 76; Wilson, p. 186.

ولكن نجاحا اكثر قليلا صاحب الحملة العثمانية الاولى في ١٧٦١ — ١٧٦٢ • فقد صدر الامر الى علي باشا ، متسلم البصرة ، بأن يجمع الضرائب بالقوة من كعب لانهم يعدون من رعايا الدولة العثمانية • ولما كان المتسلم عاجزا عن تحقيق ذلك بامكاناته فقد لجأ الى البريطانيين طالبا المساعدة ، واتصل بدوغلاس ، وكيل شركة الهند الشرقية في بندر عباس حينما كان الاخير يقوم بجولة تفتيشية في مقيمية البصرة في حزيران ١٧٦١ • وقد وافق الوكيل على ارسال السفينة (سوالو Swallow) لتتعاون مع الاربعة عشر ترانكي[٢٨] من بحرية البصرة ، من أجل فرض الحصار على خور موسى حيث يرسو قسم من اسطول كعب بالقرب من قبان[٢٩] • وحينما علم الشيخ سلمان بتلك الاستعدادات انسحب عن طريق الجراحي الى الدورق • وبعد وقت قصير وجد الباشا نفسه مجبرا على رفع الحصار خاصة بعد أن تلقى هدايا مناسبة من الشيخ سلمان[٣٠] • ولكن ما ان خف الضغط عليه حتى عاد الشيخ في آب ١٧٦٢ يقطع تجارة البصرة بفرضه الحصار على الممر الملاحي لشط العرب بسفنه المسلحة[٣١] •

---

(٢٨) الترانكي نوع من السفن المستعملة في منطقة الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، ويسير بالمجذاف والشراع وذو غطس قليل • (أمين ، ص ٣٢) •

(٢٩) Perry, pp. 136-7.

(٣٠) Lorimer, I, Part 2, pp. 1217-18;

رسول الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس (بيروت ، ١٩٦٣) ص ١٣٣ — ١٣٥ •

(٣١) Selections from State Papers, Bombay, Regarding the E.I. Co's Connection with the (P.) Gulf 1600-1800 (Calcutta, 1908), p. 158.

بدأت القوة البحرية لكعب في حوالي سنة ١٧٥٨[٣٢] ، ولكنها سرعان ما بزت البحرية العثمانية في الخليج العربي • وكان اسطولهم كافيا ليجعلهم سادة شط العرب والممرات المائية[٣٣] • وبحلول سنة ١٧٦٥ كان الاسطول الكعبي يتألف من سبعين دانق (وهي سفن صغيرة تسير بالمجاذيف) وعشر غلافات (وهي سفن أكبر حجما ذات شراع الى جانب المجاذيف) • وبهذه السفن أصبحت قوات الشيخ سلمان مدربة على القتال البري والبحري وذات قدرة عظيمة على الحركة فوق مساحة تعرف فيها كل مستنقع وكل موقع خلفي منعزل • « ولم يكن كل فرد منها مقاتل مشاة بالبندقية متفوقا في القنص من متراسه فحسب ، بل بحارا بارعا ، واخيرا فارسا وفق التقليد البدوي يقطع سيفه رقاب الغزاة الذين ينجحون في اختراق حواجز المشاة والبحارة »[٣٤] • ومهارتهم الكبيرة في رد الغزاة لمنطقتهم تظهر واضحة في حروبهم مع الفرس والعثمانيين والبريطانيين • وفي ١٧٦٥ نجح الكعبيون في تجميد القوات المسلحة لهذه القوى الثلاث ، وواصلوا جهودهم لكسب المعارك الدبلوماسية التي تلت ذلك ، باستغلالهم كل طرف ضد الطرف الاخر •

الحملات الفارسية والعثمانية والبريطانية ضد كعب :

امام نمو هذه الامارة العربية وتزايد قوتها اتفقت مصالح الفرس والعثمانيين على ضرورة التخلص منها ، ووجد الطرفان في البريطانيين حليفا يمكن الركون اليه ، وذلك لان المصالح البريطانية في المنطقة كانت تتناقض مع ازدهار امارة كعب • وفي اواخر سنة ١٧٦٣ تحرك والي بغداد علي باشا على

---

(٣٢) Curzon, 11, p. 322;

يشير ولسون الى ان الحملة الفارسية (١٧٥٧) كانت المحرك للشيخ سلمان علي بناء الاسطول (Wilson, p. 186)

(٣٣) Kelly, p. 38.

(٣٤) Perry, p. 137.

رأس جيش الى البصرة عازما على اخضاع كعب . وكتب الى برايس ، وكيل الشركة حاثا اياه على استخدام كل قواته البحرية لفرض الحصار على خور موسى ومصب الجراحي بينما سيزحف هو برا على رأس قواته لتدمير مواقعهم الرئيسة[٣٥] . ولقي الطلب استجابه سريعة من الوكيل[٣٦] . واشتبكت سفن الشركة (سوالو) و (تارتار Tartar) في معركة مع سفن كعب الصغيرة ، وانسحبت الاخيرة الى الانهر والخلجان الداخلية ، ولكن جيش الباشا لم يستطع ان يتقدم أكثر مما حققه في أي وقت في الماضي ، وأعقب ذلك عقد هدنة غير مستقرة[٣٧] .

والحملة التالية ضد كعب كانت أكثر تركيزا وكثافة ، ولم تشترك فيها القوات البغدادية والبصرية (العثمانية) والسفن البريطانية من بندر عباس وبومباي فقط ، بل أسهم فيها جيش كريم خان أيضا . ومع ذلك ، فان الحد الادنى من التعاون الفعلي بين هذه القوى الثلاث أدى الى ان تكلل الحملة بالفشل بسلسلة من الارتباكات والتأخير والاتهامات المتبادلة .

في نهاية ١٧٦٤ تم التوصل الى اتفاق بين والي بغداد ، عمر باشا ، وكريم خان على القيام بعمل عسكري مشترك للقضاء على الدولة العربية الفتية وتدمير اسطولها . فكان على الجيش الفارسي القيام بالهجوم على كعب من الشمال الشرقي في ربيع ١٧٦٥ ، في الوقت الذي تفرض فيه القوات العثمانية الحصار على مخارج القبيلة من جهة الغرب والجنوب ، كما يقوم الوالي العثماني بتقديم المؤن والسفن للقوات الفارسية[٣٨] .

---

(٣٥) Ali Pasha to A. Price the Agent at Bussora, rec. 18th Oct. 1763 (I.O.R.) Selections from State Papers, p. 170.

(٣٦) Ibid., p. 171.

(٣٧) Lorimer, p. 1218.

(٣٨) كسروي ، ص ١٧٨ — ١٨٠ .

تحرك كريم خان في نهاية مارت ١٧٦٥ واخترق الاحواز . وفي الاول من نيسان عبر الكارون وتقدم الى داخل منطقة كعب مع كل قواته ، ترافقها قافلة الامتعة والمدفعية ، عابرا القنوات العديدة المتشابكة في كل مكان من اراضي المستنقعات لجنوب عربستان ، مستخدما جسورا مصنوعةمن الحبال والقصب، واتبع الشيخ سلمان تكتيكا بارعا في عدم مواجهة القوة المتفوقة وهي في أوج اندفاعها ، فتراجع برجاله « من جزيرة الى جزيرة مخلفا وراءه قرى مهجورة وبدون زوارق قد يستخدمها الفرس »[٣٩] • بل ان الكعبيين اخلوا حتى الفلاحية وتركزوا في الحفار الواقعة بين الكارون وشط العرب[٤٠] • وأقام الفرس معسكرهم عند ضفاف الكارون منتظرين وصول المساعدة الموعودة من الاتراك • وحينما لم تبد أية علامة على ذلك بعد ثلاثة أيام ، تقدم كريم خان مع ضفة الكارون الى الحفار • ولكن الشيخ سلمان استغل مدة التوقف هذه فعبر برجاله على ظهر سفنه من الحفار الى جزيرة محرزي (عبادان الحالية) • وبعد انتظار طويل للفرس ، لم يرسل متسلم البصرة سوى زورقين محملين بالتمر ومركب لكريم خان ، مبررا ذلك بعدم وصول السفن التي طلبها من بغداد والنقص في الرز والحبوب في البصرة[٤١] •

وعدّ الفرس موقف العثمانيين هذا ، خرقا للاتفاق • ولكن الوقائع تدل على ان ذلك يعود بدرجة كبيرة الى الافتقار للتنظيم • فالبريطانيون الذين أسهموا في اجراءات المتسلم التحضيرية ، كان انطباعهم هو ان الاتراك « قد عقدوا العزم على معاونة الفرس طبقا لاتفاقيتهم »[٤٢] • وفي الواقع تم ارسال فوجي مشاة من بغداد ، كما ان القبودان باشا (قائد البحرية العثمانية في

---

(٣٩) Lorimer, p. 1219.

(٤٠) Perry, p. 139.

(٤١) كسروي ، ص ١٨٠ – ١٨٢ ؛ Ibid.

(٤٢) Lorimer, p. 1219.

البصرة) بذل جهدا كبيرا لجمع اسطول مؤلف من (غلافة) واحدة واحدى عشر تكنة (مراكب صغيرة للنقل) ، اثنتان منها تقرر ان يقودهما بريطانيان • وبمبادرة من الوكيل البريطاني تم تخصيص سفينة بريطانية خاصة (فاني Fanny) يقودها باركنسون حسب الاتفاق المعتاد عليه في مثل هذه الاحوال من ناحية الاجور والغنائم[٤٣] • ولكن تلك التحضيرات كلها جاءت متأخرة جدا بالنسبة الى استفادة جيش كريم خان منها •

وعوض الزعيم الزندي هذا التقصير بجلب التموينات من داخل فارس ومصادرة السفن في الحويزة وموانىء الخليج العربي • واستخدمت تلك السفن للابحار في شط العرب واستطلاع جزيرة محرزي ، ولكن كريم خان وجد ان رجال كعب قد انسحبوا منها : اذ اندفع الشيخ سلمان مع رجاله الى البحر « ولم يجد القائد الفارسي وجنوده غير المهرة ـ الذين تحولوا الى بحارة في انفسهم الجرأة على ملاحقتهم »[٤٤] • وأعقب ذلك مرور حوالي ستة أسابيع تميزت بعمليات غير ذات جدوى في اراضي المستنقعات والمماطلة المغيضة للفرس من جانب العثمانيين ، وأجبرت حرارة منتصف مايس كريم خان بالعدول عن مواصلة المزيد من المحاولات • وارسل رسالة مقتضبة الى المتسلم عبر فيها عن سخطه للتأخير في وصول المساعدات التركية وأخبره بان الجيش الفارسي ينسحب الان من الحفار[٤٥] • ووصلت هذه الرسالة في حوالي ١٥ مايس في الوقت الذي كان المتسلم يشرف على صعود جنوده الى المراكب للتقدم في شط العرب[٤٦] •

---

(٤٣) Perry, pp. 139-140.

(٤٤) Ibid., p. 140.

(٤٥) Selections from State Papers, p. 192.

(٤٦) Ibid., Lorimer, p. 1219.

وبقيت الورقة الوحيدة في يد كريم خان التي قرر ان يلعبها ضد الشيخ سلمان ولم تكسبه المجد ولا الفخار : اذ أمر بتهديم سد السابلة الشهير وتخريب مساحات واسعة من الارض الزراعية(٤٧) ، وكان على وشك القيام بتدمير بساتين النخيل الثمينة في المنطقة حينما وصله مبعوث من الشيخ سلمان حاملا عروضا بتقديم اتاوة ورهائن إذا ما تعهد كريم خان بالتوقف عن القيام بالمزيد من أعمال التخريب • وأعقب ذلك اتصالات اخرى ضمنت انسحاب الفرس مقابل هدية كبيرة وتسليم ابن الشيخ رهينة ودفع اتاوة مقدارها ٣٠٠٠ر٣ تومان(٤٨) •

بدا في أول الامر ان العثمانيين سيلغون حملتهم وان المشروع بأكمله قد انهار • ولكن الاوامر صدرت من بغداد الى المتسلم بمواصلة الحملة ، فقام سليمان باشا بتحشيد قواته المحلية ، وفوجي المشاة اللذين ارسلهما والي بغداد وكتائب رماة البنادق الى جانب بعض المتطوعين حيث بلغ المجموع الكلي ٥٠٠ر٤ رجل(٤٩) • واستغرق هذا الجيش بضعة أيام ليتقدم اثنى عشر ميلا على طول الضفة اليمنى من شط العرب ، كما أبحر اسطول الاسناد وبضمنه السفينة البريطانية (فاني) مرافقا سير الجيش • وحين وصل الجيش النهاية

---

(٤٧) Perry, pp. 140-1.

(٤٨) A. Layard, 'A Description of the Province of Khuzistan', J.R.G.S. vol. XVI (1846), p. 55;

كسروي ، ص ١٣٨–١٨٤ ؛ يقول الجغرافي Kinneir الذي شهد خرائب السد بعد نصف قرن من تهديمه « انه لو لم يقم الفرس بتدمير السد ، لصمد لعدة قرون » . Quoted in : Perry, p. 135

ويذكر كيرزن انه بسبب هذا التخريب توقف جريان الماء في احد فروع نهر الكارون وتحول الفرع الى واد جاف اطلق عليه اسم (كارون الاعمى) . Curzon, 11, pp. 343-4

(٤٩) Perry, p. 141.

الشمالية لجزيرة محرزي ، أقام القسم الاكبر منه معسكرا ورسا جزء من الاسطول لقضاء الليل ، اما المتسلم وسفينة القيادة للقبودان باشا فقد توقفا على مسيرة ساعتين من البصرة .

لم يكن لهذه التطورات أي أثر في زعزعة ثقة الكعبيين بأنفسهم ، بل على العكس من ذلك ، أخذ شيخهم زمام المبادرة . فما ان حل الظلام حتى اندفعت سفنهم مبحرة بين قطعات الاسطول المعادي « ومجرد منظر أشرعتهم جعل رجال القبودان باشا يهربون مذعورين الى الساحل ، ورجعت سفن كعب عائدة الى مراسيها بعد ان استولت على ثلاث تكنات كغنائم »[٥٠] . وفي الصباح التالي ، قامت مجموعة من غلافات كعب بالابحار بهدوء اعلى النهر مجتازة الاسطول العثماني الذي كان يحاول تنظيم قطعه ، وهاجمت بعض القرى المجاورة للبصرة واستولت على عدد كبير من القوارب[٥١] . وقرر الشيخ سلمان انهاء الاشتباكات ، وكانت هذه هي رغبة المتسلم أيضا الذي أدرك عجزه عن تحقيق نتيجة حاسمة ، فتم التوصل الى عقد الصلح مع دفع أتاوة بسيطة . وفي خلال أقل من ثلاثة أسابيع من تحرك الحملة عادت أدراجها خائبة الى البصرة[٥٢] . ولعل هدف الشيخ سلمان في الصلح مع العثمانيين تعود الى رغبته في هدنة تمكنه من انجاد الامير العربي مير مهنا زعيم بندر ريق الذي كان يتعرض انذاك لهجوم فارسي بريطاني[٥٣] . وهكذا نجح الشيخ سلمان خلال أشهر قليلة في رد جيوش الفرس والعثمانيين على اعقابهما بدون ان يحقق أي منهما هدفه[٥٤] .

---

(٥٠) Ibid.

(٥١) Ibid.; أمين ، ص ٤٤ .

(٥٢) Lorimer, p. 1219.

(٥٣) انظر : نورس ، ص ٢٢٧ ؛ انتهى الهجوم في صيف ١٧٦٥ باندحار المهاجمين .

(٥٤) أمين ، ص ٤٥ .

العمليات البريطانية ضد كعب ١٧٦٥ – ١٧٦٨ :

لم ينظر الوكيل رينج Wrench والبريطانيون الاخرون الذين أسهموا في حملة المتسلم الاخيرة نظرة جدية الى احتمال استياء الشيخ سلمان من مساعدتهم المادية للعثمانيين • والتدخل البريطاني المستمر الى جانب خصومه ، جعل الشيخ يعتقد بان البريطانيين هم المانع الرئيس امام طموحاته • ولهذا ، وثقة منه بقدرته على منازلة القوى المناوئة ، وجه سلمان ضربته الاولى الى البريطانيين[٥٥] • ففي ليلة ١٨ تموز ١٧٦٥ ، هوجمت سفينة تجارية ذات صاريين هي (سالي Sally) القادمة من مدراس في طريقها الى البصرة من قبل ست غلافات كعبية ، وتمكن الكعبيون من السيطرة عليها قبل ان يتاح لربانها ورجاله الوقت لمغادرة قمراتهم[٥٦] • وفي الصباح التالي ، وبينما كانوا يبحرون مع غنيمتهم متجهين الى قبان ، التقوا بيخت المقيم البريطاني في بوشهر وهو في طريقه الى البصرة مبحرا بصحبة سفينة ذات ثلاث صوار هي (فورت وليام) • وعلى الفور استولى رجال كعب على اليخت ، وحاولت (فورت وليام) الفرار الى الخليج الا انها اصطدمت بالقعر الضحل قرب مصب شط العرب ، وبدهاء كبير انتظر رجال كعب انحسار المد الذي أدى الى ميلانها بزاوية جعلت من المستحيل استخدام مدافعها ، وعند ذلك أبحروا نحوها واقتحموها وأسروا طاقمها • وعندما حل المد التالي قاموا بتعويمها وعادوا بغنائمهم الثلاث الى قبان[٥٧] • وعلى الفور كتب رينج الى الشيخ سلمان محتجا وطالبا تفسيرا لاجرائه هذا واعادة السفن الاسيرة باسرع وقت[٥٨] •

---

(٥٥) Abdul Amir Amin, British Interests in the (P.) Gulf (Leiden, 1967), p. 85.

(٥٦) Lorimer, pp. 1631-2;

(٥٧) أمين ، ص ٤٥–٤٦ ; Selections from State Papers, pp. 193-4;

(٥٨) Amin, p. 85.

وجاءه الجواب بان الشيخ سلمان يجد نفسه مؤهلا للانتقام من البريطانيين الذين ساعدوا الاتراك في حربهم ضده والذين لا يبدو انهم يرغبون في عقد معاهدة صلح رسمية مع قبيلته[٥٩] . ومع ذلك تم التوصل الى نـوع من الاتفاق ، وأعيد الربان وضباط السفن الاسيرة بعد ثلاثة أسابيع ، تلاهم بعد وقت قصير بقية البحارة[٦٠] . وأعقبت ذلك اتصالات غير مجدية حول السفن نفسها وحمولتها دامت قرابة تسعة أشهر ، وفي اثناء ذلك تم التوصـل الى اتفاق بين الوكيل البريطاني والمتسلم ، بتأييد من باشا بغداد ،على شن حرب جديدة ضد كعب . وبموجب هذا الاتفاق ، كان على البريطانيين ارسال قوة بحرية تقوم بمهاجمة كعب من البحر في الوقت الذي يزحف الاتراك ضدهم برا . ومن أجل حث رؤسائه على الاسراع بارسال السفن ، أشار الوكيـل البريطاني في تقريره الى رئاسة بومباي بانه « ما لم يتم تدمير قبيلة كعب فان التجارة البريطانية في المنطقة ستتوقف كليا »[٦١] . وقد استجابت رئاسـة بومباي ، التي اقلقتها أنباء أسر السفن البريطانية ، لطلب الوكيل مؤيـدة اتفاقه مع السلطات العثمانية ووعدته بارسال الدعم البحري في اسرع وقت[٦٢] .

وفي ١٠ مارت ١٧٦٦ ، وصلت القوة البحرية البريطانية من بومبـاي للاشتراك في الحرب المقررة . وحتى مع هذا التطور ، فان الشـيخ سلمان رفض الرضوخ للتهديد[٦٣] ، معلنا بانه « لن يعيد غنائمه الى ان يتم التصديق رسميا من قبل بومباي على الاتفاقية التي توصل اليها مع رينج »[٦٤] .

---

(٥٩) Selections, p. 193.

(٦٠) Perry, p. 143.

(٦١) Selections from State Papers, pp. 193-4; Amin, pp. 85-6.

(٦٢) Selections..., p. 195.

(٦٣) انظر : أمين ، ص ٤٧ .

(٦٤) Perry, p. 143.

تألفت القوة التي أرسلتها بومباي من أربع سفن من صنع أوربي وثلاث سفن أصغر حجما آسيوية الصنع وخمسين من المشاة الاوربيين و ٣٥٠ من السيبوي وخمسة وعشرين من جنود المدفعية ، والجميع تحت قيادة الكابتن بيلي Baillie ربان الطراد (سوالو Swallow)[٦٥] • وباشر القائد البريطاني بالاستعداد للابحار تدعمه قوات المتسلم بهدف تدمير مراكب كعب عند مصب شط العرب ولفرض الحصار على قبان • وأبدى كريم خان رغبته في الاسهام بالحملة المقررة على كعب ، وذكر انه على استعداد للزحف على رأس قوة من ٢٠,٠٠٠ رجل اذا ساعده الاسطول البريطاني في حملته ضد مير مهنا شيخ بندر ريق[٦٦] • ولكن الشركة البريطانية ترددت في الاستجابة للطلب الفارسي لخشيتها من المجازفة في مغامرة غير مضمونة النتائج ، ومنعت حكومة بومباي الوكيل البريطاني من استخدام السفن البريطانية المرسلة الى شط العرب « لاي غرض سوى تدمير بني كعب »[٦٧] •

وتراجع رجال كعب من قبان الى الدورق ذات الموقع الحصين حيث تحيط بها المستنقعات ، وسحبوا معهم غلافاتهم لتكون في حماية القلعة التي أشادوها حديثا[٦٨] • ومن موقعهم هذا بدأوا حرب عصابات منظمة « وأخذ مغاويرهم في القوارب الصغيرة بالاغارة على أطراف معسكر المتسلم » فاحدثوا فيه الارتباك[٦٩] • ومع مرور الوقت ، بدأت قوات الحصار تشعر بالتوتر والاجهاد ، وكتب الوكيل البريطاني الى عمر باشا ، الوالي العثماني الجديد لبغداد ، يطلب منه الاسراع في ارسال التعزيزات والمؤن للاسطول البريطاني،

---

(٦٥) Selections from State Paper, p. 195.
(٦٦) Amin, p. 87.
(٦٧) (I.O.R.) Bombay Public Consul., vol. XXIV, 25th Feb. 1766.
(٦٨) Amin, p. 88.
(٦٩) Perry, p. 144.

والمح بانه « اذا استمر الوضع كما هو عليه فان الشركة البريطانية ستجد نفسها مضطرة الى تأسيس وكالة في مكان أكثر أمناً »(٧٠) • وقد استجاب الوالي للطلب واعد قوة من ١٫٥٠٠ رجل بقيادة محمد كهية لارسالها الى موقع العمليات ، كما أوعز للمتسلم بدفع مبلغ ١٠٠٠ تومان الى القيادة البريطانية •

باشرت القوات البريطانية بقيادة نسبت Nesbitt وبروير Brewer (عاد بيلي القائد المعين للحملة الى البصرة بسبب المرض) العمليات العسكرية في الاسبوع الثاني من شهر مايس • وفي ١٧ منه ، اخترقت السفن نهر انجراحي الى مسافة أربعين ميلا حيث اصبح بامكانها رؤية قلعة كعب والسفن الاسيرة قائمة بالقرب منها • ولكن البريطانيين لم يجرؤوا على مهاجمة القلعة بدون ان يتلقوا الدعم التركي(٧١) • وفي بداية حزيران ، شن البريطانيون هجوما على مراكب كعب الصغيرة وعلى متراس كعبي متقدم ، فجوبهوا بمقاومة ضارية أجبرتهم على الانسحاب في منتصف الليل بعد ان خسروا ضابطا ومدفعيا وأصيب أربعة منهم بجروح • وكرروا محاولتهم في ٢٣ آب وانتهت بالفشل أيضا بعد ان خسروا قتيلين وجرح سبعة منهم ، وحينما حاول القائد نسبت استعادة السفن الاسيرة ، قام الكعبيون باحراقها(٧٢) •

وفي خلال ذلك وصلت القوة العثمانية التي ارسلها والي بغداد الى البصرة ، وفي آب تحركت القوات العثمانية برفقة اسطول القبودان باشا المؤلف من ١٢ غلافة ، فوصلت في اوائل ايلول بالقرب من الدورق حيث اقامت معسكرها بالقرب من المعسكر البريطاني على بعد ميلين من حصن كعب • ولم يرهب وصول القوات الجديدة المدافعين أو يضعف من معنوياتهم ، ففي ١٤

---

(٧٠) Ibid.

(٧١) Ibid., p. 145.

(٧٢) Ibid., pp. 145-6.

أيلول شن الكعبيون غارة ليلية على العثمانيين وتمكنوا من تدمير سبع غلافات بضمنها سفينة القيادة[٧٣] • وفي فجر ٢٣ أيلول ، قام البريطانيون بمحاولة مستميتة لتحقيق النصر ، فتحرك بروير على رأس رجاله ومدفعيته مهاجما الحصن ، ولكنهم جوبهوا بنيران كثيفة واندفع الكعبيون بحماس للقاء العدو ، وقامت مجموعة من فرسان كعب تدعمها قوة من المشاة بهجوم مضاد أسفر عن ايقاع هزيمة كاملة بالبريطانيين وخسروا قائدهم وثلاثة ضباط وثمانية عشر جنديا واصيب اثنان وخمسون منهم بجراح واستولى الكعبيون على كل المدافع والذخائر[٧٤] ودفعت هذه الهزيمة[٧٥] الوكيل البريطاني الى اصدار اوامره بسحب القوات البريطانية من الدورق ، وأرسل السفينة (سكسس Success) لتأمين سحب كل القوات البرية ، فيما عدا ستة من رجال المدفعية تقرر ابقاؤهم لمساعدة العثمانيين ، كما تقرر ابقاء الاسطول ليواصل مهمته في فرض الحصار على شط العرب[٧٦] •

كان هذا التطور واحدا من سلسلة أحداث أشرت بوضوح الى ارتقاء قدر هذه القبيلة وهزيمة أعدائها ، وجعلت كعبا القوة المهيمنة الوحيدة على عربستان • والى جانب ما حققه الشيخ سلمان من انتصارات عسكرية ، نجح دبلوماسيا في استغلال الموقف ، فبتقديمه هدايا ضخمة لكريم خان

---

(٧٣) Selections from State Papers, p. 208.

(٧٤) Perry, p. 147.

(٧٥) يصفها مؤرخ تاريخ جيش بومباي كادل بالكارثة « اذ لم يعد من مجموع القوات التي ارسلت أصلا لمحاربة كعب سوى سبعة رجال من الاوربيين فقط »
Patrick Cadell, History of the Bombay Army (London, 1938), p. 74.

(٧٦) Perry, p. 147; Amin, p. 89;
ظل اسطول الحصار لمدة سنتين بدون ان يحقق نتيجة حاسمة •
Lorimer, p. 1639; Wilson, p. 187.

(٢٠٠٠ تومان وحمولة خمسة بغال من البضائع الثمينة و ١٠٠ فرس و ٤٠٠ شال) تمكن من تحييد الحاكم الفارسي ثم في دفعه الى الوقوف ضد الاعتداء البريطاني ــ العثماني . وفي ١٧ تشرين الاول ، أرسل كريم خان رسائل الى كل من الوكيل البريطاني ووالي بغداد يطلب منهما سحب قواتهما من المنطقة[٧٧] . وعلى الاثر انسحب الجيش العثماني من الدورق في الاسبوع الاول من تشرين الثاني « تلافيا لاندلاع الحرب مع فارس » حسب تعبير الوالي العثماني[٧٨] .

وهكذا انتهت الحملة البريطانية ــ العثمانية الرابعة ضد كعب بالاخفاق التام ، وبخسارة كبيرة للبريطانيين في الارواح والاموال والكرامة : فقد قتل في الاقل عشرون رجلا وحوالي خمسين اصيبوا بجروح في الاشتباكات حول الدورق وضاعت ثلاث سفن مع حمولتها ، وقدر مجموع الخسائر المالية الكلية بـ ١٠٤ر١٧١ باونات ، وهو ما يعادل عدة ملايين في وقتنا هذا . ولكن « الضربة التي أصابت كرامتهم كانت الاكثر ايذاء على المدى الطويل »[٧٩] . وفي آب ١٧٦٨ ، وبعد مرض دام حقبة وجيزة توفي الشيخ سلمان ، بعد حكم دام احدى وثلاثين سنة كانت حافلة بالنشاط والانجازات[٨٠] . ويقول عنه كيرزن[٨١] « كان شخصية جبارة تعدت شهرته حدود بلاده ، وتمتع بقدرات رجل السياسة الناجح ، انه متحرر التفكير وبعيد النظر وترك اسما لا ينسى على مر الايام » .

---

(٧٧) Ibid. 1638-9; Amin, p. 89.

(٧٨) Selections from State Papers, p. 209.

(٧٩) Perry, pp. 147-8.

(٨٠) Ibid., p. 149.

(١٨) Perry, p. 135.

امارة كعب بعد موت الشيخ سلمان :

يومىء موت الشيخ سلمان وسنوات الحرب مع الفرس والعثمانيين والبريطانيين التي دامت اكثر من عشر سنين الى بداية ضعف هذه الامارة العربية • فبالرغم من انتصاراتهم العسكرية والسياسية على هذه القوى الثلاث ، فان حقولهم ومزارعهم اجتاحتها كوارث بسبب ظروف الصراع وخاصة التخريب الذي قام به الفرس سنة ١٧٦٥ في اراضيهم وتدمير قائدهم لسد السابلة الشهير ، بعد ان فشل في تحقيق النصر على القبيلة[٨٢] • كما ان موقعهم بين جيران أقوياء جعلهم معرضين للهجوم والابتزاز من جانب الفرس والعثمانيين على السواء[٨٣] •

وكان خليفة سلمان ابنه غانما الذي اشترك في قيادة العمليات الحربية والمفاوضات في سنوات حكم ابيه الاخيرة • وابرز ما ميز عهده القصير (١٧٦٨ ــ ١٧٦٩) قيام علاقات طيبة بين قبيلته ومتسلم البصرة ، واسهام الاسطول الكعبي في تعزيز قوات الحملة التي قادها المتسلم ضد قبيلة المنتفك[٨٤] • ولم تتميز السنة التي حكم فيها داود اخو غانم بشيء ، وبعد وفاته ، خلفه بركات بن الشيخ عثمان وظل في الحكم حتى سنة ١٧٨٢[٨٥] • وخلال الاثنتى عشرة سنة من حكم بركات ، كانت كعب قادرة على المحافظة على استقلالها وازدهارها ، ولكنها لم تستطع ان تصل الى الارتقاء الذي عرفته بقيادة الشيخ سلمان • وعانت عربستان كما عانى سكان البصرة من وباء

---

(٨٢) Perry, pp. 149-50.

(٨٣) Curzon, 11, p. 323.

(٨٤) Perry, p. 150.

(٨٥) كسروي ، ص ١٨٦ •

الطاعون الذي اجتاح المنطقة في ١٧٧٢ ـ ١٧٧٣[٨٦] . ولكن ، على نحو متميز ، كان الكعبيون اول من استعادوا نشاطهم حينما توقف الوباء فجأة في صيف ١٧٧٣ ، وقاموا بالاغارة على البصرة[٨٧] بذريعة أن المتسلم تجاهلهم بطلبه (الحماية) من شيخ المنتفك عبدالله بدلا من كعب ، فشن بركات هجوما مفاجئا بغلافاته أسفر عن تدمير بيت القبودان باشا وجزء كبير من اسطوله ، وجدد الحصار على شط العرب ، فوجد المتسلم نفسه مجبرا على شراء مرضاة شيخ كعب بالمال[٨٨] . وفي نيسان ١٧٧٤ ، حاولت قوة من كعب الاستيلاء على (فيضى اسلام Fayḍ-i Islam) وهي سفينة حربية تركية متمركزة عند مصب شطب العرب ، ولكنهم انسحبوا منها حينما أسرعت اليهم أكبر سفن الشركة الحربية (ريفنج Revenge ذات ٢٨ مدفعا) من البصرة[٨٩] وفي كانون الثاني من السنة التالية ، أرسل بركات مجموعة من المغاوير في

---

(٨٦) يذكر الرحالة بارسونز الذي زار البصرة في السنة التي تلت الوباء ان ربع مليون نسمة ماتوا بسببه من مجموع السكان البالغ ٣٠٠٫٠٠٠ .

(Abraham Parsons, Travels in Asia and Africa (London, 1808) p. 151)

ومع انه قد بالغ بهذه الارقام ـ قدر نيبور عدد سكان البصرة سنة ١٧٦٥ ب ٥٠٫٠٠٠ (Kelly, p. 36) ـ فانها توحي بمدى هول تلك الكارثة . لتفصيلات اكثر عن الدمار الذي سببته الكارثة ، انظر :

Amin, pp. 107, 109-110;

أحمد مصطفى أبو حاكمة ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، نشأة وتطور الكويت والبحرين ، ترجمة : محمد أمين عبدالله (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص ١١٧ـ١١٨ .

(٨٧) Perry, p. 150.

(٨٨) Lorimer, p. 1221.

(٨٩) Perry, p. 151.

زوارق صغيرة هددت البصرة ، انتقاما لقيام المتسلم بسجن بعض افراد من كعب بتهمة السرقة(٩٠) • وقد اتفق ذلك مع اقتراب جيش فارسي يقوده صادق خـــان •

ولعل هدف كعب من تحالفها المؤقت مع كريم خان واسهامها في اربـــع عشرة سفينة في الهجوم على البصرة ، هو تحقيق أكبر فائدة من الاصطدام القريب بين عدويها • كما ان القيمة الاساسية لتحالف كعب مع كريم خـــان « تكمن في ان فارس اعترفت اعترافا فعليا بتلك القوة العربية وسيادتها التامة على المنطقة ••• وكانت قد عجزت عن اخضاعها ، ولايمكن في العرف السياسي الدخول في تحالف مع طرف اخر ، اذا لم يكن ذلك الطرف معترفا بسيادته ومكانته السياسية »(٩١) • ويبدو ان اسهامهم في عمليات الحصار التي دامت أكثر من سنة(٩٢) كان رمزيا ،ويشير بيرى الى ذلك بالقول : «••• ومن الغريب

---

(٩٠) Selections from State Papers, p. 291.

(٩١) النجار ، ص ٤٩ .

(٩٢) لتفاصيل الحصار الفارسي للبصرة ، انظر :

Malcolm, II, pp. 141-3; S. B. Miles, Countries and Tribes of the (P.) Gulf (London, 2nd imp., 1966), pp. 270-1; Amin, pp. 110-114;

ويلاحظ ان سليل بن رزق يحـــدد خطـأ حصـــار البصرة بسنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦) ! كما يخطيء أيضا في قوله ان الامام احمد بن سعيد ، استجابة لنداء اهالي البصرة ، ارسل ١٠ ســـفن ونجح في طرد الفرس من المدينة ، وعاد الى مسقط بعد عودة سكانها .

George P. Badger; History of the Imams and Seyyids of Oman, by Salil ibn Razik (London, 1871), pp. 169-170;

بينما الواقع ان الامام أحمد قدم بالفعل باسطوله الى شط العرب في تموز ١٧٧٥ ، وأمد المدينة المحاصرة ببعض المواد التموينية ، وحينما فشـــلت وساطته بين الفرس والعثمانيين عاد الى مسقط . Miles, p. 273.

أن لا يرد ذكر لكعب في المصادر الفارسية فيما عدا الاعتراف الغامض بمساعدتهم للجيش الزندي أثناء مروره في بلادهم ، كما لا ترد لهم اشارة في أي مصدر فارسي أو أوربي خلال ثلاث سنوات من الاحتلال الفارسي »[٩٣] .
ويبدو ان طاقات كعب قد توجهت بشكل رئيس الى النشاط الاقتصادي فاهتموا بمزارعهم وأراضيهم في الدورق وقبان وهنديان . وهذا ما ميز حكم الشيخ غضبان بن محمد الذي خلف بركات سنة ١٨٨٢ وحكم لمدة عشر سنوات نجح في خلالها في تركيز سيادة الامارة العربية على جميع الاراضي الواقعة على الجانب الشرقي من شط العرب[٩٤] . وظلت الامارة الكعبية على قوتها واستقلالها في وسط الفوضى الدموية التي اجتاحت جارتها فارس أثناء تدهور وسقوط السلالة الزندية وارتقاء القاجار في ثمانينات وتسعينات القرن التاسع عشر .

والتطور الخطر في حياة الامارة حدث بسبب الانقسام في صفوف القبيلة في اوائل القرن التاسع عشر ، فقد سمح أميرها لشيخ قبيلة المحيسن من بني كاسب ــ احد أفخاذ كعب ــ مرداو بن علي بن كاسب بالاقامة على مصب الكارون ، فوضع ولده يوسف أساس مدينة المحمرة ، في موقع قرية الحفار سنة ١٨١٢ . فكان هذا ايذانا بانقسام القبيلة الكبيرة على قسمين : البو ناصر وقاعدتهم الفلاحية ، والبو كاسب وقاعدتهم المحمرة . وسادت المنافسة الطرفين مما أضعف كليهما[٩٥] ، ولو ان المحمرة كانت تابعة اسميا للفلاحية حتى منتصف القرن التاسع عشر[٩٦] .

---

(٩٣) Perry, p. 151.

(٩٤) Ibid., p. 152.

(٩٥) النجار ، ص ٤٩ .

(٩٦) Curzon, 11, 323.

وفي عهد الشيخ غيث بن غضبان (١٨١٢ ـ ١٨٢٨) ، تعرضت الفلاحية الى ضغط فارسي لانتزاع اعتراف الشيخ بالخضوع لطهران ، ولكن الشيخ رفض ذلك وطلب من سلطان عمان ، سعيد بن سلطان ، ارسال نجدات عسكرية لغرض وقف الضغط والمحافظة على استقلاله ، فتراجعت فارس مرغمة ولكن الى حين[٩٧] . وخلف غيثا اخوه مبادر بن غضبان (١٨٢٨ ـ ١٨٣١) الذي يقول عنه ستوكيلر Stocqueler ، وكان قد زار المنطقة في ١٨٣٠ « انه كان أقوى زعيم [في عربستان] ، يمتلك دخلا يبلغ ٦٠٠٠٠ تومان ، وقواته المسلحة مؤلفة من ١٥٠٠٠ من المشاة و ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ من الفرسان وعاصمته الفلاحية قوية التحصين »[٩٨] . كما ان اخاه وخليفته ثامر بن غضبان (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) شجع الزراعة وأصلح السدود وطور الري وحمى طرق القوافل . ولكن توطيد هذه الدولة العربية كان « ابعد من أن يسر الفرس الذين أخذوا يظهرون نشاطا متزايدا في عهد محمد شاه (١٨٣٤ ـ ١٨٤٨) للقضاء على استقلال هذه الامارة العربية »[٩٩] . ولهذا استغلت الحكومة الفارسية لجوء الزعيم البختياري الثائر محمدتقي خان في ١٨٤٠ الى الشيخ ثامر ، فهددت بالزحف على الفلاحية . وتلافيا لما يمكن ان ينتج عن ذلك من تعقيدات تهدد استقلال الامارة ، لجأ الشيخ ثامر الى العراق تاركا ابن اخيه فارس بن غيث على رأس الامارة . وقد كان الشيخ ثامر « آخر زعيم قوي لالبو ناصر أو الاسرة الحاكمة في الفلاحية حيث تدهور بعده مركزها ، بينما ارتقى نجم قبيلة المحيسن في المحمرة »[١٠٠] . فقد وقع الانقسام بين امراء كعب

---

(٩٧) النجار ، ص ٥٤ .

(٩٨) Quoted in : Curzon, 11, p. 323.

(٩٩) Ibid., pp. 323-4.

(١٠٠) Ibid., p. 324.

في الفلاحية وثار نزاع بينهم على الامارة بلغ أوجه في ١٨٤٩ ، فاغتنمت الحكومة الفارسية ذلك للتنكيل بهم وبسط نفوذها على عربستان ، ومع هذا فقد فوضت أمرهم الى الحاج جابر رئيس كعب في المحمرة (١٨٤٧ ـ ١٨٨١)[١٠١] . وهنا يبدأ عصر امارة المحمرة العربية التي استطاعت ان تحافظ على استقلالها الى سنة ١٩٢٥ حينما تم القضاء على الاستقلال العربي بالخداع والغدر[١٠٢] .

وهكذا يظهر بوضوح من استعراضنا لتاريخ امارة كعب في عربستان ، بان تلك الامارة لم تكن الا جزءا مهما من الوطن العربي تعرضت، كغيرها من الاجزاء الغنية والستراتيجية الاخرى للاطماع الاجنبية متمثلة بالفرس والعثمانيين والبريطانيين ، ومع كل الضغوط التي جابهتها استطاعت ولحقبة طويلة ان تحافظ على طابعها العربي الاصيل الذي لم يكن بامكان الفرس محوه بالرغم من سياسة التفريس التي دامت أكثر من نصف قرن .

---

(١٠١) النجار ، ص ٤٩ـ٥٠ ؛ يعلق كيرزن على استغلال الفرس للخلافات بين الامراء الكعبيين فيقول « تقوم سياسة الحكومة الفارسية دائماً على تحريض أحد أفراد العائلة ضد الآخر لتحقيق نفوذ جديد » .

Curzon, 11, p. 326.

(١٠٢) انظر دراسة مفصلة عن امارة المحمرة للدكتور النجار ، تاريخ امارة عربستان العربية .

المصـــــــــادر

١ ـ العربية والمترجمة

ابو حاكمة ، أحمد مصطفى ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، نشأة وتطور الكويت والبحرين ، ترجمة : محمد أمين عبدالله (بيروت ، بدون تاريخ) .

أمين ، د . عبدالأمير محمد ، القوى البحرية في الخليج العربي في القـــرن الثامن عشر (بغداد ، ١٩٦٦)

العزاوي ، عباس ، عشائر العراق (بغداد ، ١٩٥٦) ج ٤ .

علي ، علي شاكر ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ـ١٧٥٠ (رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة بغداد ١٩٧٦) .

الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة : موسى كاظم نورس (بيروت ، ١٩٦٣)

الكعبي ، فتح‌الله بن علوان ، زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر (بغداد ، ١٩٢٤) .

النجار ، د . مصطفى عبدالقادر ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ـ١٩٢٥ (القاهرة ، ١٩٧١) .

نورس ، د . علاء موسى كاظم ، العراق في العهد العثماني (بغداد ، ١٩٧٩) .

٢ ـ بالفارســـــية

الشوشتري ، سيد عبدالله بن نور الدين ، تذكره ي شوشتر (كلكتا ، ١٩٢٤) .

كسروي ، أحمد ، تاريخ بانصد سالة خوزستان (تهران ، ١٣١٣ هـ) .

٣ ـ بالانكليزيـــــة

Amin, Abdul Amir; British Interests in the (P.) Gulf (Leiden, 1967).

Badger, George P.; History of the Imams and Seyyids of Oman, by Salil ibn Razik (London, 1871).

Cadell, Patrick; History of the Bombay Army (London, 1938).

Curzon, George N.; Persia and the Persian Question (London, 1892), vol. II.

India Office Recodrs :

- Bombay Public Consultations, vol. XXIV.
- Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Co.'s Connection with the (P.) Gulf 1600-1800 (Calcutta, 1908).

Kelly, John B.; Britain and the (P.) Gulf 1795-1880 (Oxford, 1968).

Layard, A.; 'A Description of the Province of Khuzistan', J.R.G.S., vol. XVI (1846).

Lockhart, Laurence; Nadir Shah (London, 1938).

Lorimer, J. G.; Gazetteer of the (P.) Gulf, Oman and Central Arabia (Calcutta, 1915), vol. I, Part 2.

Maclolm, John; The History of Persia from the Most Early Period to the Present Time (London, 1815), vol. II.

Miles, S. B.; Countries and Tribes of the (P.) Guif (London, 2nd imp., 1966).

Niebuhr, C.; Travels Through Arabia and Other Countries in the East (Edinburgh, 1792).

Parsons, Abraham; Travels in Asia and Africa (London, 1808).

Perry, John R.; 'The Banū Ka'b an Amphibious Brigand State in Khūzistan', Extrait de le monde iranien et l'Islam, Tome I.

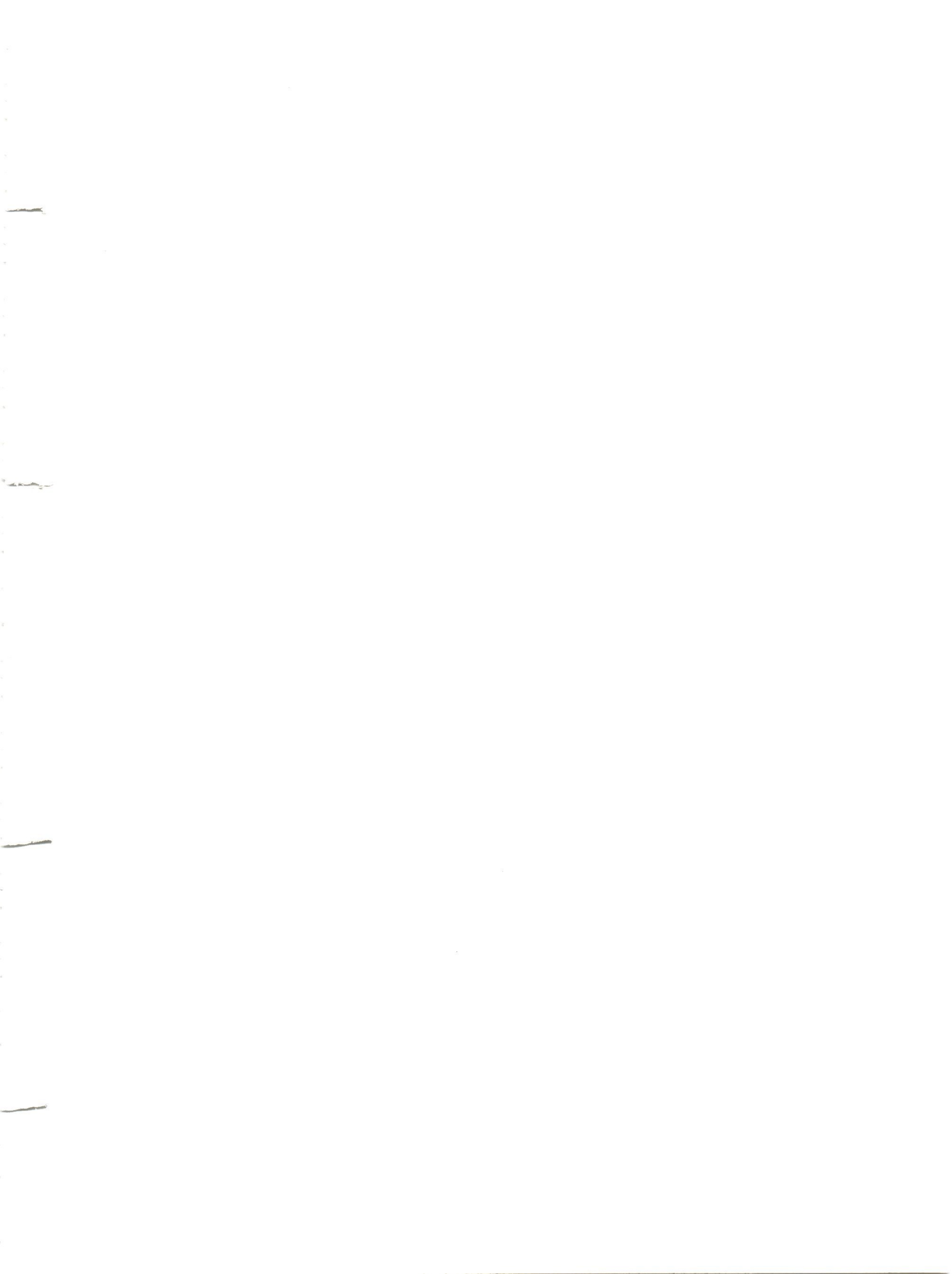
Ricks, Thomas M.; Politics and Trade in Southern Iran and the Gulf 1754-1765 (Ph. D. thesis, Indiana University, 1975).

Wilson, Arnold; The (Persian) Gulf (London, 2nd imp., 1954).

الفصل السابع

التجاوزات الايرانية على العراق بعد الحرب العالمية الاولى

الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار
مدير مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة



ورث القطر العراقي بعد الحرب العالمية الاولى جميع مشاكل الحدود التي كانت قائمة بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية .

والملاحظ ان بريطانيا كانت تعمل على اضعاف العراق وتحاول ان تخلق له من جديد مشكلة حدود[١] . فعلى الرغم من وضوح الحدود وتخطيطها الا انها كانت تمالىء فارس في مطالبها تمشيا مع ما كان لبريطانيا من مصالح معها . وقد شجع ذلك فارس على ان تطالب بالمزيد من تعديل الحدود .

وقد رفع وزير الخارجية الفارسية في (٩) كانون الثاني سنة ١٩٢٠ الى رئيس مؤتمر الصلح الاعلى مذكرة يشرح فيها مشكلة الحدود مطالبا بتعديل بعض اجزائها . وقد وعده اللورد كيرزون بان الحكومة البريطانية تستطيع ان تدعم بعض تلك الادعاءات[٢] .

وتفصح لنا مقابلة اجراها في لندن تيمور طاش وزير البلاط الايراني مع السير اوستن شمبرلن وزير الخارجية البريطانية عن عدم ممانعة بريطانيا من تعديل الحدود العراقية ـ الايرانية لو كانت الظروف تساعدها . ولكن خوف

---

(١) للاطلاع على التفاصيل يمكن الرجوع الى مجموعة التقارير التي اصدرتها بريطانيا بين ١٩٢٠ـ١٩٣٢ والمعطاة صورة منها الى عصبة الامم بعنوان :
IRAQ Reports, Reports by his Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq.

(٢) Baxter C. W. Memorandum on Relation Between Persia and Iraq.

بريطانيا من هياج الرأي العام العراقي واتهامه اياها بالتصرف بالاراضي العراقية ومياهها يمنعها من الاقدام على ذلك الامر[٣] ٠

ومن هنا يمكننا القول بان مشكلة الحدود في حقبة الانتداب البريطاني على العراق هي فصل من فصول العلاقات البريطانية ـ الفارسية اكثر من كونها من فصول العلاقات العراقية ـ الفارسية ٠

وعندما اعتلى رضا شاه الحكم (١٩٢٥ ـ ١٩٤١) لم يشأ الاعتراف بالوضع القائم في العراق ٠ وقد استغل مشكلة الحدود واخذ يشكك فيها ٠ واظهر كراهية متزايدة ضدها ليثير بوجه الحكومة العراقية العديد من المشاكل ٠

وقد هدد العراق بانه سيغير حدود بلاده ويتخذ الترتيبات اللازمة لتنفيذ تهديده ٠ وصعد اعتداءاته على طول الحدود وقام بسلسلة من الحوادث والاضطرابات ٠

ولم تنقطع حوادث الحدود مما جعل العراق يطالب باحالتها الى لجنة الاتصال المشتركة المتكونة من ممثلين من الجانبين للتحقيق فيها وتقديم التقارير بشأنها ٠

ويبدو ان المشكلة اعيت الطرفين مما جعل بريطانيا تتدخل لتقنع فارس بوجوب الاعتراف بالمملكة العراقية ٠ فسافر وفد عراقي برئاسة رستم حيدر رئيس الديوان الملكي الى طهران في نيسان ١٩٢٩ لتلقي الاعتراف[٤] ٠

---

(٣) وثائق المركز الوطني ببغداد ـ ملفات البلاط الملكي : ة/٤/٢/٦/ مذكرة سرية للغاية من الوزير المفوض العراقي بطهران الى وزارة الخارجية رقم ٧٧٠ مؤرخة ٣٠ ايلول سنة ١٩٣١ ٠

(٤) للاطلاع على تفاصيل ذلك راجع الحسني ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ ١ ص ٢٦٣ـ٢٦٧

ولكن فارس حتى بعد اعترافها بالعراق أبت الاعتراف بشرعية الحدود معه • وكان المراقبون السياسيون يعتقدون بان صفحة جديدة ستفتح بين البلدين • ولكن فارس اعلنت بانها لا ترى نفسها ملزمة بالترتيبات التي عينت بمقتضاها الحدود ولا تعترف بشرعيتها • وعدت الوثائق التي سبق ابرامها قد فقدت أهميتها • وان المعاهدات ليست ذات صيغة تنفيذية لتقرير الحدود • وقد طالب الشاه ان تبحث قضية الحدود من جديد • واعلن خروجه على الاتفاقيات التي عقدت بين فارس والدولة العثمانية قبل قيام الحرب العالمية الاولى •

وعليه فقد كثرت تجاوزات الفرس بحيث اصبحت خطرا يهدد علاقات البلدين • وصاروا يتعرضون لوسائل النقل النهرية العراقية في شط العرب الامر الذي اربك الملاحة واعاقها(٥) •

وقدمت الحكومة العراقية احتجاجاتها وشكواها الى الحكومة الفارسية• ولكن الاخيرة أصرت على مطاليبها غير المشروعة وطالبت بضم بعض الاراضي والمياه العراقية ثمنا لقيام علاقات ودية بين البلدين وتسوية الخلافات بينهما(٦) •

ولم تأبه فارس للشكاوى العديدة التي قدمها العراق اليها ، لا بل دفعها ذلك للقيام بالمزيد من الاعتداءات • وقد بلغت تلك الاعتداءات ذورتها بعد امتلاك فارس باخرتين حربيتين بدأت القيام باعمال مخلة بالسيادة والحقوق العراقية في شط العرب ومتجاهلة القوانين والانظمة والتعليمات التي ارسلت للسلطات الفارسية بصورة متكررة •

---

(٥) F. O. 371/16944 Shatt al Arab British Embassy Baghdad to F. O. (19th July 1933).

(٦) للتفاصيل عن ذلك راجع : مصطفى عبدالقادر النجار ـ التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب ـ الفصل الثالث • (البصرة ـ ١٩٧٤)

وقد عرضت الحكومة العراقية على فارس استعدادها للمفاوضات ورفعت اليها مذكرة جاء فيها (انها مستعدة لان تستأنف بروح الصداقة الخالصة البحث في المعاهدات والاتفاقيات التي كانت موضوع المفاوضة على اساس التحديد النهائي لخط الحدود المثبت في سنة ١٩١٤ وبشرط ان لا تؤدي هذه المفاوضات الى الاخلال بسيادة الدولة العراقية في أي قسم من الاراضي والمياه الداخلية ضمن حدود العراق بمقتضى التحديد الانف الذكر • وتعتقد الحكومة العراقية بانه من الممكن ايجاد حل مرض لجميع المستويات الادارية المعلقة بين الحكومتين اذا تخلل المفاوضات جو مشبع بروح الصداقة المتبادلة وحسن النية)[٧] •

ولكن فارس بدلا من أن تستجيب للنداء العراقي أخذت تلقي القبض على الرعايا العراقيين وتطلق النار على من يخالف تعليماتها ، وتصادر البضائع من السفن التي تقترب من شاطئها • وصارت تمد اسلاك التلفونات مقابل (الكشك البصري) و (الكشك الحويزاوي) مخترقة الحدود العراقية فاعتدت بذلك على مسافات تبلغ ٤١٨ر٤٨٨ مترا مربعا على ضفة شط العرب اليسرى • ورفعت اعمدة الحدود[٨] •

وعندئذ وجهت وزارة الخارجية العراقية احتجاجا شديدا الى الحكومة الفارسية طلبت فيه الكف عن هذه التجاوزات •

فكان جواب الحكومة الفارسية ان رابطت السفينة الحربية (كيلان) في مياه شط العرب واتخذت قاعدة لرجال خفر السواحل الفرس المسلحين[٩] • وعندما زار باقر خان كاظمي وزير الخارجية الفارسية بغداد في تشرين الثاني سنة ١٩٣٤ ، ذكر للحكومة العراقية بأن الاعمال التي يجريها الموظفون الفرس

---

(٧) وزارة الخارجية العراقية ـ قضية الحدود العراقية ـ الايرانية ص ٢١ •

(٨) F. O. 371/17890 Annex : Basrah Liva, Shatt el-Arab.

(٩) وزارة الخارجية العراقية ـ المصدر السابق ص ٢٠ •

في شط العرب موافقة لقواعد الحقوق الدولية ولا يمكن وصفها بالتجاوز • لان العراق يستند في حقوقه على وثائق تعدها فارس فاقدة لشرعيتها القانونية[10] •

وعندئذ وجد العراق انه لا مناص له في رفع شكوى ضد ايران الى عصبة الامم • فقدمها في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٣٤ • ويتضمن طلب الشكوى نقطتين اساسيتين :

الاولى : اعتداءات الموظفين الفرس على الحدود وعدم مراعاتهم لخط الحدود •

الثانية : عدم اعتراف الحكومة الفارسية بصحة وثائق الحدود بين البلدين • وقد الحقت بطلب الشكوى ثلاثة ملاحق :

الاول : خاص بمعاهدة ارضروم الثانية •

الثاني : خاص ببروتوكول سنة ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة تخطيط الحدود لسنة ١٩١٤ •

الثالث : يتشعب الى اربع فقرات : الاولى خاصة بتجاوزات فارس في شط العرب ، والفقرات الاخرى تخص التجاوزات الفارسية على الحدود العراقية بانشاء مخافر وحراستها بالقوة المسلحة في داخل الاراضي العراقية • والتجاوز على حصة العراق في مياه انهار الحدود المشتركة[11] •

---

(١٠) وثائق المركز الوطني ببغداد ـ مافات البلاط الملكي ٢/٤/٥ كتاب وزارة الخارجية الايرانية رقم ٤٠٨٧٤ في ١٣١٣/٩/٢٦ (١٧ ـ كانون الاول ـ ١٩٣٤) •

(١١) قامت وزارة الخارجية العراقية بطبع الشكوى في كراس باللغة الانكليزية وهناك ترجمة عربية له بعنوان : قضية الحدود العراقية ـ الايرانية (بغداد ـ ١٩٣٥) محفوظة في المركز الوطني لحفظ الوثائق ببغداد ـ ملفة رقم ٢/٤/٥ •

وقد عكف المجلس على مناقشة القضية واوصى بعدئذ باحالتها الى (المفاوضات المباشرة) .

ويبدو لنا من استعراض المراحل التي مرت بها الشكوى ان مجلس عصبة الامم كان عاجزاً عن حلها ، وان العصبة لم تكن آنذاك في وضع يمكنها من ان تتخذ موقفا حاسما لمشاكل معقدة مثل هذا النوع . ويبدو ان فارس كانت قد ادركت ذلك فلم تحاول حتى تقديم شكوى مقابلة .

كما ان المجلس لم يبد حماسة كبيرة في بحث المشكلة . ولم يدل أي عضو من أعضائه برأي في القضية . وكل الذي حدث ان المجلس كلف ممثل ايطاليا البارون الويزي بان يقوم بدور المقرر عله ينجح في تقريب شقة الخلاف بين الجانبين . ولم يحدث ان طالب المجلس باتخاذ أي اجراء من شأنه وقف التجاوزات الفارسية في الاقل أو احالة الشكوى الى محكمة العدل الدولية في لاهاي لابداء رأيها في الخلاف .

وقد جرت مباحثات بين الاطراف المعنية في روما اولا ثم في جنيف ثانيا . ولما لم يتم التوصل الى قرار بشأنها تم نقل المباحثات الى طهران . وأوفدت الحكومة العراقية وفدا الى طهران في آب ١٩٣٥ للتوصل الى حل مرض للطرفين . وقد استغرقت زيارة الوفد عشرين يوما بحثت خلالها مشاكل الحدود العراقية ـ الايرانية المعلقة على طول الحدود من الشمال الى الجنوب(١٢) .

واصرت فارس على وجوب تنازل العراق عن مرسى أمام عبادان على ان يكون عرضه منتصف الشط . وهو مطلب جديد لم يسمع من ايران من قبل .

---

(١٢) مصطفى عبدالقادر النجار ص ٢٣٤ .

ومع كل ذلك فان الحكومة العراقية انذاك فضلت حل المشكلة على أمل حل الخلاف بشكل نهائي وفتح صفحة جديدة من العلاقات مع ايران .

ولكن ايران التي اتبعت سياسة (خذ وطالب) التقليدية مع العراق كانت اهدافها التوسعية أبعد من امتلاك قسم من شط العرب .

وعندما جرى البحث في استعادة ذكر لنقاط الحدود طلبت ايران ان تذكر النقاط من الشمال الى الجنوب بعكس الاصل . ولكن العراق اعترض على ذلك بانه يسبب الارتباك واحتمال الخطأ . ومع ذلك فقد اظهر العراق استعداده لقبول أي ترتيب يستعاد بموجبه تخطيط الحدود من الجنوب الى الشمال اولا ثم تدرج هذه النقاط في ملحق نهائي من الشمال الى الجنوب بعد ذلك(١٣) .

كما ان الحكومة الايرانية كانت تنظر دائما الى قضية الملاحة في شط العرب على انها مرتبطة ارتباطا تاما بقضية الحدود وتحاول ان تجعل البحث في الملاحة جزءا لا يمكن فصله عن البحث في قضية الحدود(١٤) .

وقد استغلت ايران فرصة وقوع انقلاب عام ١٩٣٦ في العراق لتلح في تنفيذ مطالبها منذ الايام الاولى لوقوعه . وكانت المفاوضات بين الطرفين قد تعثرت واوشكت على التوقف .

والواقع ان ايران كانت منذ تأسيس الدولة العراقية تحاول ان تفتش عن ثغرة في بروتوكول او غموض في معاهدة او سكوت على نص تتنفذ من خلاله لخلق المبررات والتأويلات بغية تحقيق اهدافها .

---

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

(١٤) تحاول ايران دائما ان تربط بين المسائل المتعلقة بمياه الحدود في مندلي والوند وزرباطية وبين قضية شط العرب .

وعليه فانها استعجلت الامر مع الانقلابيين وبدأت المفاوضات معهم بعد مرور شهر واحد فقط من وقوع الانقلاب • وقد وافق العراق على منح ايران مرسى في عبادان لقاء اعتراف ايران بالحدود •

وجرى في ديوان وزارة الخارجية العراقية التوقيع على معاهدة الحدود بالحرف الاول من قبل وزير الخارجية العراقية ناجي الاصيل ووزير ايـران المفوض اغاي مظفر أعلم وذلك في ٢٦ حزيران سنة ١٩٣٧ • وفي ٤ تموز سنة ١٩٣٧ اعلن في بغداد وطهران عن توقيع معاهدة الحدود والبروتوكول الملحق بها بشكلها النهائي(١٥) •

تتكون المعاهدة من ست مواد الحق بها بروتوكول من خمس مـواد وكتبت في طهران باللغات العربية والفارسية والفرنسية وعند وجود اختلاف يكون النص الفرنسي هو النص المعول عليه •

واوضح في ديباجة المعاهدة ان الغرض من عقدها هو تحقيق ما اعلنـه الطرفان من (وضع حد بصورة نهائية لقضية الحدود بين دولتيهما) •

وقد نصت المادة الاولى منها على أن يعد بروتوكول سنة ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة تحديد الحدود لسنة ١٩١٤ وثائق مشروعة وعلى الفريقين أن يلتزما بمراعاتها • كما نصت على أن (يكون خط الحدود بين الدولتين هو الخط الذي عينته وخططته اللجنة المذكورة في أعلاه) •

الا انه بموجب المادة الثانية تنازل العراق عن جزء من شط العرب امام عبادان بحيث يمر خط الحدود بمجرى المياه العميق لمسافة يقرب طولها من ٧٫٧٥ كيلو مترا •

وتقضي المادة الثالثة من المعاهدة بتأليف لجنة لاجل نصب دعائم الحدود

---

(١٥) F. O. 371/24574 Treaty Concluded Between Iraq and Iran on July, 1937.

التي كانت قد عينت اماكنها اللجنة المذكورة (اي لجنة سنة ١٩١٤) وتعيين دعائم جديدة مما ترى فائدة في نصبها .

هذا وعلى اثر التوقيع على معاهدة سنة ١٩٣٧ تم عقد معاهدة صداقة بين العراق وايران في ١٨ تموز ١٩٣٧[١٦] . ومعاهدة اخرى بينهما لحل الخلافات بالطرق السلمية في ٢٤ تموز سنة ١٩٣٧ . واتفاق خاص لتنظيم اعمال لجنة تحديد الحدود العراقية الايرانية في ٨ كانون الاول سنة ١٩٣٨[١٧] .

واذا القينا نظرة فاحصة على المعاهدة وملحقها وجدنا انها اعترفت صراحة وبشكل واضح لا غموض فيه بمشروعية بروتوكول الاستانة ومحاضر جلسات لجنة تحديد الحدود . كما انها اعطت ايران مكسبا جديدا بالاضافة الى ما سبق ان كسبته سنة ١٩١٤ امام مدينة المحمرة . وبذلك اصبح لايران منطقتان تكون لها مياها وطنية في شط العرب بطول (١٥) كيلومترا احداهما امام المحمرة والاخرى امام عبادان .

وبذلك اصبح خط الحدود مع ايران ــ الذي يمر في منتصف النهر ــ اكثر حساسية . واصبحت مصالح العراق المتعلقة بالنفط وميناء البصرة اكثر تهديدا على اثر كل ازمة محتمل وقوعها بين البلدين .

وقد تنازل العراق عن هذا الجزء من مياهه الوطنية دون مقابل من ايران سوى اعترافها بصحة الوثائق التي تستند اليها الحدود . اما ايران فقد

---

(١٦) راجع نصها في : Journal de Teheran, 20th July 1937.

وتحليل الموقف تجاهها في :

F. O. 371/20829, E4755 British Legation-Teheran to the Right Honurable Anthony Eden (28th July 1937).

(١٧) راجع نصوص جميع تلك المعاهدات في مجموع المعاهدات والاتفاقيات الثنائية المعقودة بين العراق والدول الاجنبية . جـ٢ الذي اصدرته وزارة الخارجية ص ١١٥ـ١٤١ .

اعترفت بان شط العرب يكون مياها وطنية عراقية تخضع للسيادة العراقية الكاملة فيما عدا الاستثناءين .

ومن الملاحظ ان المعاهدة لم تتناول نصوصها تعريف الحدود بين العراق وايران بل انها احالت ذلك على بروتوكول سنة ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة الحدود لسنة ١٩١٤ . فقد اكتفت باقرار تلك الوثائق وبخط الحدود الذي تعين بمقتضاها .

وبموجب المادة الثالثة من المعاهدة ، والمادة الاولى من البروتوكول اكد الطرفان تعهدهما بتأليف اللجان المشتركة اللازمة للاستمرار بنصب دعائم الحدود التي سبق ان تم تعيين محلاتها ولتعيين محلات لدعائم جديدة اذا اقتضت الفائدة ذلك ، بعد ان اعترفت الحكومة الايرانية بخط الحدود الذي عينته اللجنة السابقة .

وقد حصلت ايران على مكسب جديد بموجب هذه المعاهدة عندما نصت صراحة على ان يكون شط العرب مفتوحا لمرور السفن الحربيه الايرانية والسفن الاخرى غير التجارية المستخدمة في مصالح حكومية . فلم يكن من قبلُ للسفن الايرانية الحربية الحق في المرور بشط العرب الا طبقا لمبدأ حق الملاحة البريء[١٨] .

وبالاضافة الى ذلك فان ايران حققت المكاسب الاتية :

١ — على الرغم من ان شط العرب نهر عراقي يجري في اراض عراقية فقد سمح لايران — وهي غير مالكة للنهر — باستعماله والانتفاع به دون اجازة رسمية من السلطات العراقية .

٢ — جعل امر تقرير الضرائب والامور المالية والفنية المتعلقة بالنهر من حق الدولتين . والواقع يقرر ان للعراق وحده الحق في البت بمثل هذه الامور .

---

(١٨) راجع الفقرة الاخيرة من المادة الثانية لمعاهدة ارضروم الثانية .

٣ ـ لم يحظ خط الحدود في شط العرب باهتمام كبير فما يخص موضوع استفادة ايران من مياه النهر على الرغم من ان خط الحدود يمر من خط الماء الواطيء حينا ومن خط الوسط حينا اخر • ومن خط التالوك حينا ثالثا(١٩) •

وبعد مقتل قائد انقلاب سنة ١٩٣٦ الفريق بكر صدقي واستقالة وزارة حكمت سليمان في ١٧ آب ١٩٣٧ جاءت الى الحكم وزارة جميل المدفعي لتجد امامها امر تصديق المعاهدة التي عرضت على اللجنة المختصة بالمجلس النيابي بغية تقديمها الى المصادقة •

ولكن اللجنة اعترضت بشدة على المادة الخامسة من المعاهدة والمادة الثانية من البروتوكول الملحق بها • وطالبت بتعديلها بحيث يترك للعراق مباشرة حق الرقابة على الصيانة والحفر في شط العرب • وتلافي سكوت النص في حالة عدم تمديد المدة •

وقد بذل سفير العراق المفوض في طهران بتكليف من حكومته جهودا كبيرة من اجل سد ذلك القصور الفني قبل التصديق على المعاهدة • غير ان وزارة الخارجية الايرانية رفضت الطلب بحجة عدم وجود أي غموض • وعندما وجدت العراق يلح عليها اوعزت الى مدير ميناء المحمرة بان يتصرف بقوة حيال العراقيين في شط العرب • فكان موضع احتجاج شديد من العراق(٢٠) •

ولما شرع مجلس النواب في مناقشة المعاهدة في الجلسة النيابية السابعة عشرة المنعقدة في (٦) اذار سنة ١٩٣٨ • وافق عليها باكثرية (٨٢) صوتا ضد عشرة اصوات •

وفي اليوم نفسه جرت مظاهرات صاخبة في بغداد والبصرة احتجاجا على

---

(١٩) مصطفى عبدالقادر النجار ، المصدر السابق . ص ٢٨٢ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .

قبول مجلس النواب للمعاهدة[٢١] . واقفلت المتاجر وعطلت الاعمال . والقت الشرطة القبض في بغداد على اكثر من عشرين مواطنا . وعلى الرغم من هذا فقد تجمع عدد كبير من الطـلاب في الطريـق المؤدي الى البرلمان وحاولوا اقتحامه ولكن تدخل الشرطة الخيالة في الامر حال دون وصول المتظاهرين الى المجلس . وقد فرضت الحكومة رقابة شديدة على الصحف ومنعتها مـن مهاجمة المعاهدة . وسادت بغداد موجة من الحزن . اما في البصرة فقد امر متصرفها عبدالرزاق حلمي بجلد الطلاب القائمين بالمظاهرات[٢٢] . وقد باءت جميع الجهود التي بذلت لحمل مجلس النواب على رفض المعاهدة بالفشل .

ومهما حصل فقد تم ابرام المعاهدة في (٢٠) حزيران سنة ١٩٣٨ . وتم تبادل وثائق الابرام وابلغت الى عصبة الامم .

كما بدأت لجنة تخطيط الحدود بالعمل في كانون الاول سنة ١٩٣٨ . وانجزت نصب (٦٨) دعامة بشكل نهائي . الا انها وجدت بعدئذ في المكان المسمى شط الاعمى تجاوزا من قبل ايران على الاراضي العراقية حيث قامت بتشييد المخافر دون التأكد من عائدية تلك الاراضي . وعندئذ توقفت اعمال اللجنة وعاد الوفد الايراني الى طهران في ايار سنة ١٩٤٠[٢٣] . ولم تحاول ايران ايجاد مخرج للازمة حتى سنة ١٩٤٩ حين عرض العراق عليها طلب محكم من دولة ثالثة . الا ان ايران رفضت ذلك . وبقي الوضع متأزما واستمرت حوادث الحدود حتى قيام ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في العراق .

وقد قامت ايران جريا على عادتها في انتهاز الاحداث الداخلية في العراق للحصول على مكاسب جديدة بالاتصال بالوضع الجديد ، بعد مرور شهرين فقط على قيام الثورة ، كما فعلت اثر انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ . واخذت

---

(٢١) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٢٤٥ .

(٢٢) عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية جـ ٥ ، ص ٢٢ .

(٢٣) وزارة الخارجية العراقية ـ حقائق عن الحدود العراقية ـ الايرانية ص٢١

تلح بطلبها على العراق بمذكرات متلاحقة ، وهي تعلم جيدا ان العراق في اعقاب ثورته لم يكن بوضع يمكنه من الالتفات الى مشاكل الحدود المعقدة تلك . ولا شك ان هدف ايران من ذلك هو استغلالها عدم الاستقرار في العراق لتفرض شروطها ، وبذلك تكسب الجولة كما كسبتها سنة ١٩٣٧ . فساد العلاقات العراقية الايرانية توتر كبير . وحشدت القوات المسلحة الايرانية على طول الحدود . وكان الوضع ينبىء بالانفجار في اية لحظة .

وبعد مرور اقل من عام على ثورة العراق ابلغ وزير ايران المفوض في بغداد الحكومة العراقية في السابع من مايس سنة ١٩٥٩ بان بلاده اعلنت ان خسرو آباد قد عد ميناء بحريا تابعا للمحمرة وطلبت من الحكومة العراقية الاعتراف به . وهو الهدف الذي كانت تخفيه من الحاحها على العراق اثر ثورته في وجوب التوصل الى اتفاق سريع بشأن القضايا المعلقة .

ولما وجدت ايران اصرار العراق على عدم قبول طلبها ابلغته بانها ستتخذ من جانبها الاجراءات اللازمة لحفظ ما سمته « حقها القانوني ، ان لم تعمل السلطات العراقية على ازالة العراقيل التي تضعها في هذا السبيل »[٢٤] . وتمسكت بان خسرو اباد ميناء ايراني مع ان مياهه مياه عراقية .

ومنذ ذلك الحين اخذت البواخر الايرانية ومعها بواخر شركة النفط الانكليزية ـ الايرانية تخالف تعليمات ميناء البصرة . وصارت تدخل شط العرب متجهة نحو خسرو اباد بحراسة زوارق ايرانية مسلحة دون استحصال موافقة سلطات الموانىء العراقية ودون استصحابها مرشدا عراقيا كما تقتضي الاصول المرعية المعترف بها . كما عادت حوادث الحدود الى ما كانت عليه قبل ابرام معاهدة سنة ١٩٣٧ .

---

(٢٤) وزارة الخارجية العراقية ـ المصدر السابق ص ٢٠ .

وقد دعا العراق على لسان وزير خارجيته في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩٥٩ الى وجوب حل الخلافات بالاساليب السلمية المباشرة وغير المباشرة • وفي حالة فشلها فانه يعتمد على هيئة الامم المتحدة والهيئات الدولية الاخرى • وانه يتمسك بحقوقه تمسكا شديدا ويدافع عنها بكل قوة • ويرد عن نفسه أي اعتداء بكل الوسائل الشرعية[٢٥] •

كما عرض العراق على الحكومة الايرانية سنة ١٩٦١ احالة الخلاف الى محكمة العدل الدولية • الا ان ايران رفضت دعوة العراق • وقد احصت الحكومة العراقية على ايران في ذلك الوقت سلسلة من المخالفات يمكن تحديدها كالاتي :

- قيام السفن الحربية الايرانية بمخالفة انظمة السير في شط العرب بسيرها بسرعة لا تسمح بها سلامة الملاحة وعدم التقيد بالانظمة والقواعد العالمية للملاحة •
- تحرك السفن التجارية الايرانية بدون مصاحبة مرشد عراقي كما تقتضيه تعليمات الملاحة في شط العرب •
- قيام السفن الايرانية برفع العلم الايراني بينما تقضي القواعد الدولية برفع العلم العراقي لانها تمر في مياه وطنية عراقية •
- قيام السلطات الايرانية بحجز السفن العراقية •
- عدم تعاون السلطات الايرانية في تطبيق لوائح الصحة العالمية •
- انشاء مركز كمركي ايراني عائم في مدخل شط العرب بدون اخذ موافقة العراق ، اضافة الى رسو حوض عائم امام عبادان في المياه الوطنية العراقية بصورة دائمية •

---

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

- عدم التزام السفن الايرانية بدفع الاجور والعوائد المترتبة على حركتها في شط العرب حسبما تقتضيه تعليمات الملاحة ونظمها •
- عدم اعلام الحكومة العراقية بصورة رسمية عند قيام السلطات الايرانية بمنح اجازة لفريق ثالث لمرور احدى بواخره الحربية بزيارة المواني‌ء الايرانية على شط العرب •
- تدخل السلطات الايرانية احيانا وبصورة غير مشروعة في التحقيق في الحوادث التي تحصل في المياه الوطنية العراقية •
- خرق الاجواء العراقية من قبل الطائرات الايرانية •
- مهاجمة القرى الحدودية والقاء القبض على بعض الرسميين العراقيين اثناء قيامهم بجولات تفتيشية •
- احتلال بعض المناطق الحدوديةوانشاء المخافر الايرانية عليها[٢٦] •

هذا الى جانب قيام ايران بقطع مياه الانهار المشتركة بينها وبين العراق• وبذلك تسببت في موات الاراضي الزراعية العراقية الخصبة مما اضطر سكانها الى الهجرة الى مناطق اخرى •

ولم تحل هذه المشكلة بسبب تهرب السلطات الايرانية من التفاهم مع السلطات العراقية حيث قامت بقطع مياه نهر كنجان جم ونهر كنكير ونهر الوند ونهر قره تو كما شيدت السدود على أنهار اخرى وحولت مياهها الى الاراضي الايرانية مثل نهر الطيب ودويريج بحجة ان مياه هذه الانهر تنبع من ايران وهي مياه ايرانية لا يحق للعراق ان ينتفع منها على الرغم من انها تمر في اراضيه

---

(٢٦) فلاح شاكر اسود ـ مشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي ـ اضواء على العلاقات العراقية ـ الايرانية ـ جـ٢ ـ مقالات وابحاث ص ١٥٥ ـ ص ١٥٧ . (بغداد ـ ١٩٨٠) اعداد امانة الدراسات والبحوث في الاتحاد العام لنساء العراق .

وهذا خروج" صريح" على مبدأ الحق المكتسب في الانهر الذي تقره مبادىء القانون الدولي[٢٧] •

واستمرت ايران في تجاوزاتها ومخالفتها لمبادىء حسن الجوار ولم تنفع المذكرات والاحتجاجات التي قدمتها الحكومة العراقية لها وظلت متخـــذة مواقف متعنتة من قضايا الحدود المختلفة •

وعندما قامت ثورة السابع عشر من تموز في العراق سنة ١٩٦٨ • فاجأت ايران العراق بمشروع غريب لمعاهدة حدود تحل محل معاهدة سنة ١٩٣٧ ، وبروتوكول ملحق به يتضمن ادارة شط العرب والملاحة فيه ادارة مشتركة •

ولما رفض العراق الطلب الايراني أعلن نائب وزير الخارجية الايرانية في مجلس الشيوخ الايراني في ١٩ نيسان سنة ١٩٦٩ الغاء الحكومة الايرانيــة لمعاهدة الحدود المعقودة بين العراق وايران سنة ١٩٣٧ • وابلغت الحكومــة العراقية رسميا بالقرار[٢٨] •

ولوحظ ان القرار صاحبه تحشد عسكري كبير على الحدود العراقية ــ الايرانية • واخذت قطعات الاسطول الايراني وسرب من القوات الجويــة الايرانية باصطحاب السفن الداخلة والخارجة من الموانىء متحدية بذلك كل انظمة الملاحة الدولية •

واعلنت الحكومة العراقية رفضها للقرار الايراني[٢٩] • ورفعت الامر الى مجلس الامن لتحاشي الصدام المسلح مطالبة احالة النزاع الى محكمة العدل الدولية[٣٠] •

---

(٢٧) المصدر نفسه ص ١٥٧ •

(٢٨) مذكرة السفارة الايرانية في بغداد الى وزارة الخارجية العراقية رقم ٤٩٩ في ٢٩ نيسان نيسان سنة ١٩٦٩ •

(٢٩) مذكرة وزارة الخارجية العراقية الى السفارة الايرانية في بغداد رقم ٥١٦ في الاول من مايس ١٩٦٩ •

(٣٠) القى وزير الخارجية العراقي خطابا بشأن الموضوع امام الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الرابعة والعشرين لسنة ١٩٦٩ •

وكانت دوافع ايران بلا شك من وراء اختلاقها ازمات الحدود تكمن في المصالح الاقتصادية العديدة ولاسيما في مجال استغلال موارد الثروة النفطية في المناطق العراقية من شط العرب والخليج العربي • اضافة الى اطماعها التوسعية التي لم تعرف لها حدود في الاراضي العراقية •

ومن اجل تكريس هذه التجاوزات الاقليمية غير المشروعة قامت ايران بالضغط العسكري غير المباشر وذلك بدعمها الجيب العميل في شمال القطر حيث قامت بتزويده بالاسلحة والمعدات والخبراء وتدريب المتمردين •

وقد انفجر الوضع على الحدود في شباط ١٩٧٤ على شكل صدام مسلح بين الجيش الايراني والقوات المسلحة العراقية في (بدرة) راح ضحيته عدد من المواطنين كما تم اسقاط طائرتين عراقيتين في الاجواء العراقية •

وتأزم الوضع بين البلدين • وقدم العراق شكواه الى الامم المتحدة[٣١] حيث اتخذ مجلس الامن توصية بتعيين ممثل دولي يتولى دراسة المشكلة •

وبعد مباحثات عديدة اجراها المبعوث الدولي في كل من بغداد وطهران قدم تقريرا في ١٦ مايس سنة ١٩٧٤ الى الامين العام للامم المتحدة وضح حقائق الحدود العراقية الايرانية مشفوعة بالخرائط التفصيلية •

وقد اوصى مجلس الامن[٣٢] باستئناف المفاوضات بين البلدين في جو هادىء •

واجتمع الوفدان العراقي والايراني في استانبول من ١٢ الى ١٨ آب ١٩٧٤ كان حصيلتها صدور بيان صحفي لاستئناف المباحثات •

---

(٣١) مذكرة الخارجية العراقية الى الامين العام للامم المتحدة بتاريخ ١٢/٢/١٩٧٤ •

(٣٢) القرار رقم ٣٤٨ في ٢٨ مايس ١٩٧٤ •

وفي مؤتمر الدول المصدرة للنفط ـ اوبيك ـ الذي عقد في الجزائر قام الرئيس الجزائري بالتوسط بين العراق وايران والعمل على تقريب وجهات النظر بينهما . كان نتيجته عقد اتفاقية الجزائر في السادس من اذار عام ١٩٧٥ حيث حققت ايران لنفسها مكسبا فوريا مباشرا طالما حلمت به . وتم تشكيل لجنة مشتركة للقيام بتثبيت دعامات الحدود على الارض .

لقد قام النظام الايراني بالافادة من الاتفاقية في شط العرب ولكنه ظل يتلكأ في تنفيذ بنود الاتفاقية في الحدود البرية . حتى مجيء خميني الى الحكم.

وبدلا من ان يحل النظام الجديد المعضلة الحدودية استمر في التجاوزات واثارة الفتن المذهبية والعنصرية وكثرت اعتداءات الحدود . وصارت أجهزة الاعلام الايرانية توجه الشتائم الى العراق . وتعرضت الممثليات العراقية في ايران الى انواع الاعتداءات . واخذ المسؤولون الايرانيون يصرحون تصريحات معادية للعراق والاقطار العربية(٣٣) . كما قام سلاح الجو الايراني بالاعتداءات على حرمة الاجواء العراقية والزوارق الايرانية بمضايقة السفن العراقية والاجنبية المارة في شط العرب ،والقوات البرية الايرانية بقصف الاراضي العراقية(٣٤) .

وعندئذ وجد العراق نفسه مضطرا الى اتخاذ قراره بالغاء اتفاقية الجزائر في ١٧ ايلول ١٩٨٠ ليخوض معركة فرضت عليه من اجل استعادة كرامة العراق والامة العربية وهكذا كانت معركة قادسية صدام .


---

(٣٣) راجع تفاصيلها في دائرة الاعلام الداخلي العامة ـ لماذا ألغيت اتفاقية الجزائر بين العراق وايران . ص ٣١ .

(٣٤) المصدر نفسه ص ٣٦ ـ ٣٧ .


رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
« ٢٨٣ لسنة ١٩٨١م »


دار الحريـــة للطباعة
١٤٠١هـ - ١٩٨١م


توزيع العرب في الساحل الشرقي للخليج العربي
قبل الإسلام.
سكنت قضاعة في حلوان
حلوان
قضاعة
دجلة
الفرات
ديالى
العراق
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم
فارس
سابور
حنظلة
بخيرم
الكارمان
سامة بن لؤي
آل الصغار
تغلب
سيف زهير
سيف آل الصغار
الأعمارة
الأزد هرمز
آل عمارة
سيف عمارة
كرمان
بكر بن وائل
بني المهلب
جيرفت
فهم
القروض
مكران
طنب الكبرى
طنب الصغرى
ج. أبو موسى
الخليج العربي
خليج عمان
الأحواز
المناذر
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ كم
٣٠
٢٨
٢٦
٢٤
٤٨
٥٠
٥٢
٥٤
٥٦

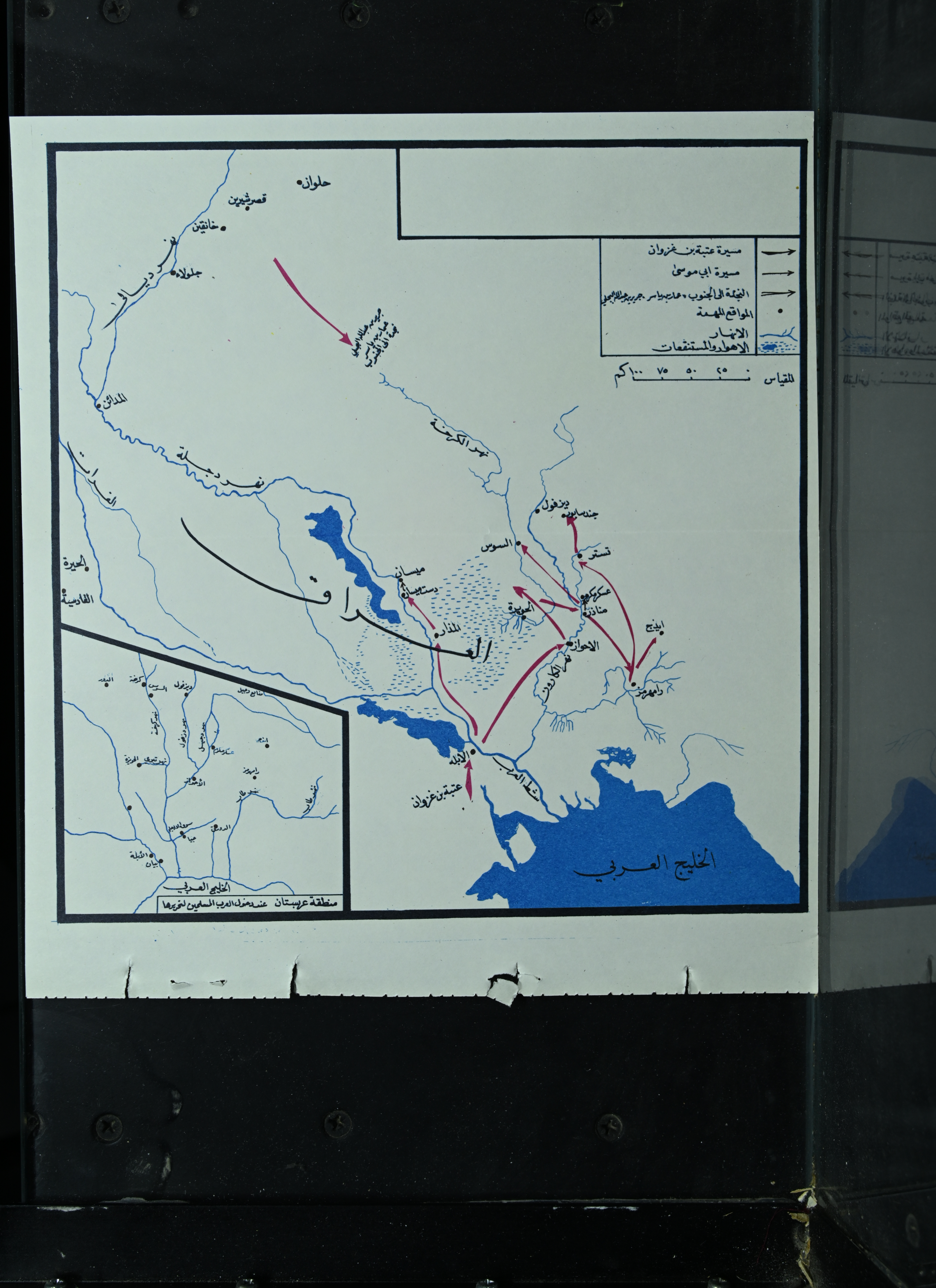


المدن العربية المبدلة اسماؤها الى الفارسية	
العربية	الفارسية
الأحواز	الأهواز
الخفاجية	سوسنكرد
المحمرة	خرمشهر
عبادان	آبادان
الخلفية	رامشير
رامز	رامهرمز
قرية الملا	ده ملا
الفلاحية	شاه كان
الحويزة	هويزه
تستر	شوشتر
البسيتين	بستان
الصالحية	انديمشك
دسبول	دزفول
السوس	شوش
ايذج	ايزه
دارخزينه	درخزينه
الاحجار السبعة	هفتكل
الحميدية	فرح آباد
العميدية	اميديه
شط العرب	اروندرود
ج صيوخ	مينو
الخسرويه	خسروآباد
الخزعلية	خزعل آباد
التلال السبعة	هفت تيه
ميناء خور عبدالله	بندرشابور


أملاك عثمانية في القرن السادس عشر
أراضي سلخت بموجب معاهدة ١٦٣٩
أراضي سلخت ١٨٣٠ واقرت سلخها معاهدة ١٨٤٧
أراضي سلخت ١٨٢٠ واقرت سلخها اتفاقية سنة ١٩١٣
أراضي سلخت بموجب اتفاقية سنة ١٩١٣
أراضي سلخت في أواخر القرن التاسع عشر واقر سلخها سنة ١٩١٣
وضعها: الدكتور عماد عبد السلام رؤوف
خانة
لاهيجان
بانة
دربند
مريوان
شهرزور
اورمان
باوه
نوسود
قشلاق
روانسر
همذان
كرمنشاه
ذهاب
قصر شيرين
قلعة شاهين
كرند
كيلان
نفطشاه
سومار
سيروان
مهران
زرباطية
بدرة
بغداد
جنكولة
بيات
دهلران
سبع آبار
الكوت
نهر دجلة
نهر الفرات
نهر ديالى
الجبل الكبير (كبيركوه)
دويرج شمالي
دويرج
العمارة



طهران
رشت
بندرشاه
همذان
كرمنشاه
اصفهان
شيراز
كرمان
زاهدان
بندرعباس
بوشهر
الكويت
مسجد سليمان
الأحواز
الموصل
اربيل
كركوك
السليمانية
بغداد
كربلاء
الحلة
الكوت
العمارة
النجف
الديوانية
السماوة
الناصرية
البصرة
الخليج العربي
مدار السرطان
ارتفاع اليابس بالأمتار
عمق البحار بالأمتار
٣٦٠٠-٥٤٠٠
٩٠٠-٣٦٠٠
٤٥٠-٩٠٠
٢٠٠-٤٥٠
٠-٢٠٠
تحت سطح البحر
٠-٢٠٠
٢٠٠-١٨٠٠
دون ١٨٠٠
١٠٠
٢٠٠
٤٠٠ كم



حلوان
قصر شيرين
خانقين
جلولاء
نهر ديالى
المدائن
نهر دجلة
الفرات
الحيرة
القادسية
العراق
نهر الكرخة
ميسان
المذار
الأبلة
عتبة بن غزوان
شط العرب
السوس
ديزفول
جنديسابور
تستر
عسكر مكرم
مناذر
الأحواز
نهر الكارون
رامهرمز
ايذج
الحويزة
الخليج العربي
مسيرة عتبة بن غزوان
مسيرة ابي موسى
النجدة الى الجنوب
المواقع المهمة
الانهار
الاهوار والمستنقعات
المقياس
٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ كم
منطقة عربستان عند دخول العرب المسلمين لتحريرها
الخليج العربي